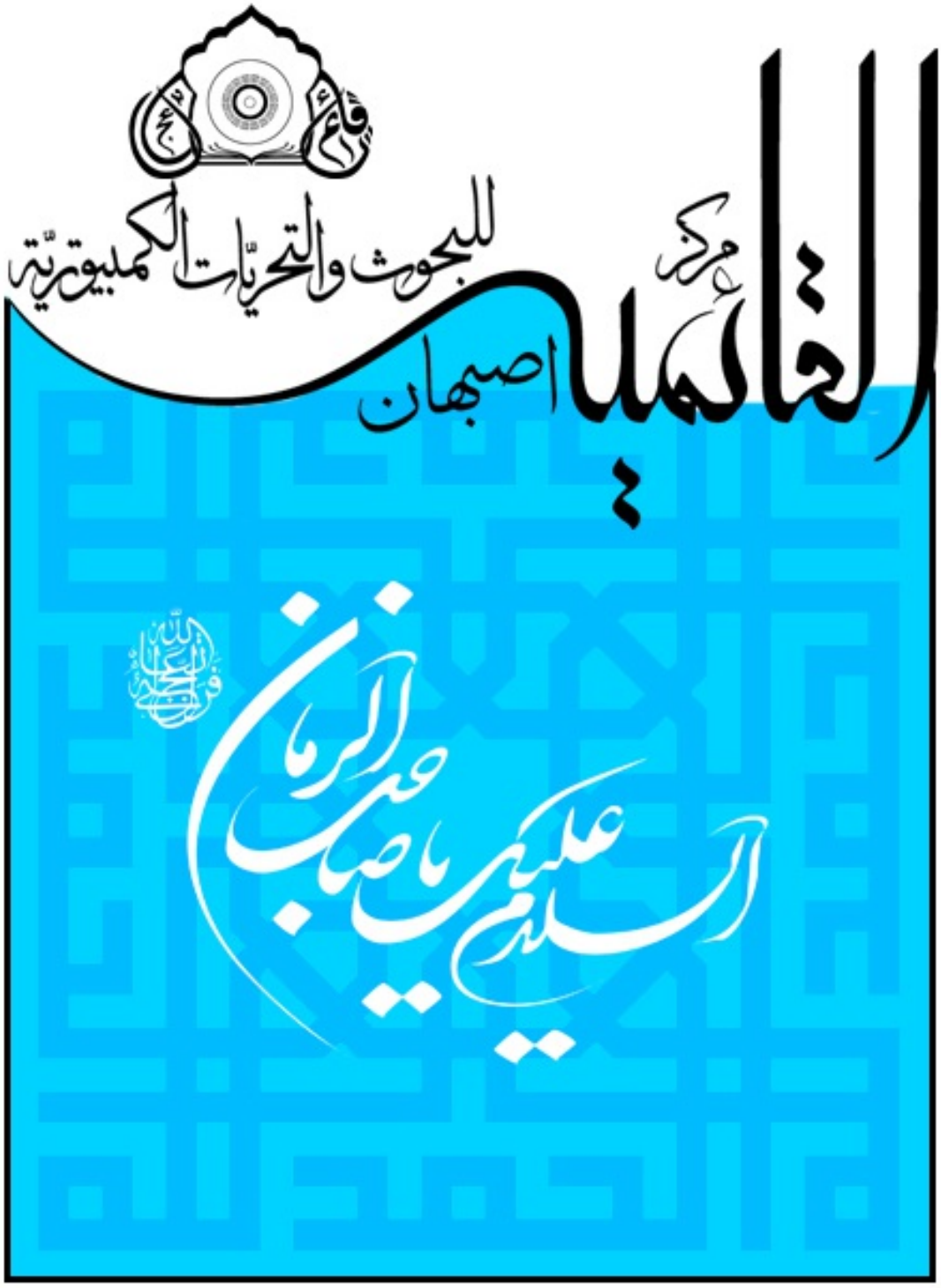

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ

١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۱۴ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[تتمة القسم السابع] ----- ۱۵
الباب السادس زواج زینب و أحداث أخری بعد المریسیع ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
الفصل الأول: متفرقات فی السنة الخامسة ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۶
النبی صلّی اللّه علیه و آله یعلم الغیب: ----- ۱۶
سباق الخیل: ----- ۱۷
سباق الإبل أیضا: ----- ۱۸
سقوطه صلّی اللّه علیه و آله عن الفرس و نسخ حکم شرعی: ----- ۲۰
الصحیح فی قضیة الصلاة: ----- ۲۲
برکات و فوائد: ----- ۲۲
الصحیح فی قضیة السقوط عن الفرس: ----- ۲۳
الزلزال فی المدینة: ----- ۲۳
النهی عن ادّخار لحوم الأضاحی: ----- ۲۴
فرض الحج: ----- ۲۵
ملاحظات و توضیحات: ----- ۲۷
النبی صلّی اللّه علیه و آله یحیی الموتی: ----- ۲۷
التقلید و المحاکاة: ----- ۲۸
قیمة الدعاء و آثاره: ----- ۲۹
التشکیک الخفی: ----- ۲۹

لا تکسروا عظما: ----- ۲۹
إسلام خالد و عمرو بن العاص: ----- ۳۰
الفصل الثانی: زینب بنت جحش فی بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
زینب بنت جحش .. فی بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۳۰
ابن حارثة! أم ابن محمد؟! ----- ۳۱
رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أحب إلیه: ----- ۳۱
تاریخ زواج النبی صلّی اللّه علیه و آله بزینب بنت جحش: ----- ۳۴
قصة هذا الزواج: ----- ۳۵
موقف عائشة من هذا الزواج: ----- ۳۷
اللّه المزوج، و جبریل الشاهد: ----- ۳۸
المنافقون، و هذا الزواج: ----- ۳۸
وقفات مع حدیث الزواج: ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
ألف: الکفاءة فی النکاح: ----- ۳۹
ب: ما کان لهم الخیرة: ----- ۴۰
ج: المعلم لکتاب اللّه أولی: ----- ۴۲
د: زید یراجع النبی صلّی اللّه علیه و آله فی طلاق زینب: ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳
إفتخار زینب علی نساء النبی صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۴۳
ه: أمسک علیک زوجک: ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳
أخطاء منشؤها الجهل: ----- ۴۳
کیف تمت الخطبة؟! ----- ۴۴

و: و اتق اللّه: ۴۴
ز: مکانة زید لدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۴۵
ح: زید العفیف و التقی: ۴۵
ط: زوجناکها: ۴۶
ی: جمال زینب فی حسابات عائشة: ۴۷
مهر زینب و دلالاته: ۴۹
الفصل الثالث: اکاذیب و أباطیل فی حدیث زواج زینب ۵۱
اشارة ۵۱
ماذا یقول الأفّاکون؟! ۵۱
نقد الروایات المتقدمة: ۵۵
اشارة ۵۵
ألف: ما الذی یخفیه النبی صلّی اللّه علیه و آله فی نفسه؟! ۵۵
اشارة ۵۵
لا معنی للأمر بالإمساک: ۵۷
ب: ما الذی أبداه اللّه تعالی؟! ۵۷
ج: اللّه تعالی مصرّف القلوب: ۵۸
د: التحریض و الرجم بالغیب: ۵۸
ه: الأمر بتقوی اللّه!! ۵۹
و: أمسک علیک زوجک: ۵۹
ز: عشق النبی صلّی اللّه علیه و آله لزوجة غیره: ۵۹
اشارة ۵۹
عشق الأنبیاء علیهم السّلام ممدوح!! ۵۹
ح: لا تمدنّ عینیک: ۶۰
ط: الحسد: ۶۰

ی: یراها .. فأعجبته!: ----- ۶۰
ک: العشق فی سن الکهولة!! ----- ۶۰
ل: تناقض الروایات فی أمر الهوی: ----- ۶۱
م: الجائزة للمذنبین: ----- ۶۱
ن: زینب لا تمتنع، و زید لا یستطیع: ----- ۶۲
س: لماذا یکتم النبی صلّی اللّه علیه و آله هذا عن نفسه؟!: ----- ۶۲
ع: النبی صلّی اللّه علیه و آله یتعرض للنساء!! ----- ۶۳
استدلال ابن الدیبع فاسد: ----- ۶۳
لا یضر الهوی بالنبوة: ----- ۶۶
لم یزوجه اللّه إیاها لأنه أحبها: ----- ۶۷
الأمر مفروض علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۶۸
بین خشیة الناس، و خشیة اللّه: ----- ۶۸
خشیة النبی صلّی اللّه علیه و آله علی الدین: ----- ۶۹
«أحق» أن تخشاه: ----- ۶۹
لا یکفی التشریع بالقول: ----- ۷۰
هل کانت زینب متزوجة قبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟! ----- ۷۱
الفصل الرابع: الحجاب فی حدیث الزواج ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
متی و لماذا نزل الحجاب؟! ----- ۷۲
آیة الحجاب: ----- ۷۴
مشاجرة زینب مع عمر: ----- ۷۴
تناقض أسباب فرض الحجاب: ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
ألف: من تناقضات الروایات: ----- ۷۷

ب: حماسة عمر لفرض الحجاب: ۷۸
ج: موافقات عمر: ۷۹
د: فمرّ عمر: ۷۹
غير أننا نقول: ۷۹
ه: هلا لنفسک کان ذا التعليم؟ ۸۰
و: عمر .. و سودة: ۸۰
ز: الخطاب للناس لا للنساء: ۸۰
ح: سودة خرجت ليلا: ۸۰
ط: الأجانب لا يجالسون نساء النبی صلّی اللّه عليه و آله: ۸۱
متی فرض الحجاب؟! و متی تزوج صلّی اللّه عليه و آله بزينب؟! ۸۱
الحجاب فی الکتب القديمة: ۸۳
اشارة ۸۳
۱- العهد القديم «التوراة»: ۸۳
۲- العهد الجديد: «الإنجيل»: ۸۴
الحجاب فی الجاهلية: ۸۴
اشارة ۸۵
المجتمع الإيرانی القديم: ۸۵
المجتمع الهندی: ۸۶
المملکة الرومانية: ۸۶
قدماء اليونان: ۸۶
تغطية الوجه فی حياة النبی صلّی اللّه عليه و آله: ۸۷
هل کان علی عليه السّلام يجهل الجواب؟! ۹۱
تغطية الوجه بعد وفاة النبی صلّی اللّه عليه و آله: ۹۱
لماذا الحجاب؟! ۹۴

الفصل الخامس: استطرادات على هامش حديث الزواج ---- ۹۵
اشارة ---- ۹۵
علاقات حميمة بين زينب و عائشة!! ---- ۹۵
روحيات زينب: ---- ۹۶
تصحيح خطأ: بين زينب و حمنة: ---- ۹۸
النبى صلّى اللّه عليه و آله سماها: ---- ۹۹
أطولكن يدا: ---- ۱۰۱
لمن صنع النعش؟: ---- ۱۰۲
جهد العاجز: ---- ۱۰۴
هل يجهل عمر حكم اللّه؟! ---- ۱۰۴
عائشة: أنا أم رجالكم: ---- ۱۰۵
الباب السابع سرايا و غزوات بين المريسيع و الحديبية ---- ۱۰۶
اشارة ---- ۱۰۶
الفصل الأول: غزوة بنى لحيان ---- ۱۰۷
اشارة ---- ۱۰۷
غزوة بنى لحيان: ---- ۱۰۷
إلى عسفان فى مائتى راكب: ---- ۱۰۸
أبو بكر إلى كراع الغميم: ---- ۱۰۸
دعاء السفر: ---- ۱۰۹
زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله قبر أمه و براءته منها: ---- ۱۱۰
لعن زوارات القبور: ---- ۱۱۳
كسوف الشمس: ---- ۱۱۵
الفصل الثانى: غزوة ذى قرد (الغابة) ---- ۱۱۵
اشارة ---- ۱۱۵

غزوة الغابة: ----- ۱۱۵
بعض تفاصيل هذه الغزوة: ----- ۱۱۷
مؤاخذات على ما تقدم و ما يأتي: ----- ۱۲۲
من هو المغير؟: ----- ۱۲۳
الغدر مرتعه و خيم: ----- ۱۲۴
كيف علم ابن الأكوع بالغارة؟!: ----- ۱۲۴
رباح مولى الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ----- ۱۲۵
رباح .. اسم مكروه: ----- ۱۲۵
رؤية سلمة للمغيرين: ----- ۱۲۶
حليب اللقاح إلى المدينة: ----- ۱۲۶
يا خيل اللّه اركبي: ----- ۱۲۷
أمير الغزوة: ----- ۱۲۷
عبد الرحمن بن عيينة: ----- ۱۲۸
عمر سلمة بن الأكوع: ----- ۱۲۸
هل أفلتت اللقاح؟ و من الذى أنقذها؟!: ----- ۱۲۹
سهم فى جبهة أبى قتادة: ----- ۱۲۹
ملكت .. فاسجح: ----- ۱۳۱
لابن الأكوع سهم الراجل، و سهما الفارس: ----- ۱۳۱
هل كان هناك قتال؟! ----- ۱۳۳
الشك فى أخذ اللقاح: ----- ۱۳۳
تركوا فرسين: ----- ۱۳۳
يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو: ----- ۱۳۴
صلاة الخوف: ----- ۱۳۴
الغفارية التى أفلتت: ----- ۱۳۶

طلحة الفیاض: ۱۳۷
أفاعیل و فظائع طلحة: ۱۴۰
الفصل الثالث: سبع سرایا ۱۴۱
اشارة ۱۴۱
۱- سریة القرطاء: ۱۴۱
اشارة ۱۴۱
قصة ثمامة: ۱۴۳
ربط الأسیر فی المسجد: ۱۴۴
متی أسر ثمامة؟! ۱۴۵
أین أسر ثمامة؟! ۱۴۶
ثمامة المجهول لآسریه: ۱۴۶
أکلة لحم جزور أحب إلیه: ۱۴۷
الإحسان إلی ثمامة .. ثم إسلامه: ۱۴۷
أمعاء الکافر .. و المؤمن: ۱۴۸
توجیهات معقولة: ۱۴۹
ثمامة أول من اعتمر: ۱۴۹
هل قطع النبی صلّی اللّه علیه و آله أرحامه؟! ۱۵۰
۲- سریة عکاشة إلی غمر مرزوق: ۱۵۰
۳- سریة أبی مسلمة إلی ذی القصّة: ۱۵۱
۴- سریة أبی عبیدة إلی ذی القصّة: ۱۵۱
۵- سریة زید إلی بنی سلیم: ۱۵۱
اشارة ۱۵۲
طبیعة سرایا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۱۵۲
الشهداء فی سریة ابن مسلمة: ۱۵۳

شکوک أخری حول سریة ابن مسلمة: ۱۵۴
۶- سریة زید إلی العیص: ۱۵۵
اشارة ۱۵۵
فضة صفوان: ۱۵۶
علی نفسها جنت براقش: ۱۵۶
مدائح لأبی العاص بن الربیع: ۱۵۷
النبی صلّی اللّه علیه و آله لا یتصرف بما لیس له: ۱۵۷
لا یخلص إلیک: ۱۵۷
رد زینب علی أبی العاص: ۱۵۸
۷- سریة زید إلی الطرف: ۱۵۹
الفصل الرابع: سرایا أخری قبل الحدیبیة ۱۵۹
اشارة ۱۵۹
۱- سریة زید إلی حسمی: ۱۵۹
اشارة ۱۶۰
ألف: إرسال دحیة إلی قیصر: ۱۶۱
ب: لماذا إرجاع الأموال؟! ۱۶۱
ج: العصبیة للحق، لا للعشیرة: ۱۶۳
د: خمس مائة رجل!! لماذا؟! ۱۶۳
ه: تسرع غیر مقبول: ۱۶۳
و: کیف أصنع بالقتلی؟! ۱۶۴
ز: مالهم، عرفوه فأخذوه: ۱۶۴
ح: مبالغات لا مبرر لها: ۱۶۵
ط: زید لا یطیعنی: ۱۶۵
۲- سریة کرز بن جابر إلی العرنیین: ۱۶۵

اشارة ----- ۱۶۵
عدد الرعاة المقتولين: ----- ۱۶۸
أين كانت اللقاح؟! ----- ۱۶۸
و نحن نشک فی ذلک، إذ: ----- ۱۶۸
أين صلب الجناة؟: ----- ۱۶۸
من هو أمير السرية؟: ----- ۱۶۸
آية جزاء المحاربين: ----- ۱۶۹
الصحيح فی نزول الآية: ----- ۱۷۱
الرواية الصحيحة: ----- ۱۷۱
۳- سرية زيد إلى وادی القری: ----- ۱۷۱
۴- سرية ابن عوف إلى دومة الجندل: ----- ۱۷۲
اشارة ----- ۱۷۲
شكوک فی سرية ابن عوف: ----- ۱۷۳
الفهارس ----- ۱۷۵
اشارة ----- ۱۷۵
۱- الفهرس الإجمالی ----- ۱۷۵
۲- الفهرس التفصيلی ----- ۱۷۶
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۱۸۲

الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۱۴

اشارة

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمة القسم السابع]

الباب السادس زواج زینب و أحداث أخری بعد المریسیع

اشارة

الفصل الأول: متفرقات فی السنهٔ الخامسهٔ الفصل الثانی: زینب بنت جحش فی بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله الفصل الثالث: اکاذیب و أباطیل فی حدیث الزواج الفصل الرابع: الحجاب فی حدیث الزواج الفصل الخامس: استطرادات علی هامش حدیث الزواج الصحیح من السیرهٔ النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۴،ص:۷

الفصل الأول: متفرقات فی السنهٔ الخامسهٔ

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹

النبى صلّى اللّه عليه و آله يعلم الغيب:

و بعد أن عالج النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذيول قضية جهجاه، سار بالناس حتى نزل على ماء فويق النقيع، يقال لها: نقعاء. (و على حد تعبير البيهقى: لما نزل صنعاء، من طريق عمان سرح الناس أنعامهم الخ ..)

فهاجت ريح شديدة آذتهم، و تخوفوها. و ضلت ناقة النبى «صلى اللّه عليه و آله» القصوى، و كان ذلك ليلا. فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: لا تخافوا إنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة.

قيل: من هو؟.

قال: رفاعة بن زيد بن التابوت.

قال أبو نعيم البيهقى: «كان موته غائظا للمنافقين، فسكنت الريح آخر النهار، فجمع الناس ظهرهم، و فقدت راحلة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». فسعى الرجال لها يلتمسونها».

فقال رجل من المنافقين، هو زيد بن اللصيت، أحد بنى قينقاع: كيف يزعم أنه يعلم الغيب، و لا يعلم مكان ناقته؟! ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى؟!

(فأراد الذين سمعوا منه ذلك أن يقتلوه، فهرب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» متعوذا به).

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰

فأتى النبى «صلى اللّه عليه و آله» جبرئيل «عليه السلام»؛ فأخبره بقول المنافق و مكان ناقته؛ و أخبر بذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه (و ذلك الرجل يسمع)، و قال: ما أزعم أنى أعلم الغيب و ما أعلمه، و لكن اللّه أخبرنى بقول المنافق، و مكان ناقتى. هى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة.

فخرجوا يسعون قبل الشعب، فإذا هى كما قال. فجاؤوا بها. و آمن ذلك المنافق «۱».

فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات. و كان من عظماء اليهود، و كهفا للمنافقين.

و فى المنتقى: ذكر فقدان الناقة فى السنة التاسعة من الهجرة، حين توجه النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى تبوك، و هبوب الريح بتبوك «۲».

و نقول: إننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

۱- إن هبوب الريح غير العادية، و إخبار النبى «صلى اللّه عليه و آله»

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۰ ص ۲۸۴ و تاريخ المدينة ج ۱ ص ۳۵۳ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۹۴ و عيون الأثر ج ۱ ص ۲۸۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۳۴۹ و المصادر الآتية فى الهامش التالى.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۷۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۸۹ و ۲۹۰ و راجع تفصيل القصة فى: دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۵۹- ۶۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۱۶ و ۱۷ و ۲۲ و راجع ج ۲ ص ۳۴۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۶۲ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۳۰۴ و ۳۰۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱

لناس بأن سبب هذه الريح هو موت عظيم من عظماء الكفار فى المدينة. قد جاء بعد تسجيل نصر حاسم للمسلمين على بنى المصطلق، و لعل هذا النصر قد ترك فى نفوسهم بعض الآثار التى يريد اللّه أن يزيلها. رحمة منه تعالى بالمؤمنين، و تثبيتا لهم، و تزكية لنفوسهم، و تصفية لأرواحهم من أدران الغرور، حين يظنون أنهم هم الذين صنعوا هذا النصر، بما يملكون من شجاعة، و إقدام و بسالة، و بما أتقنوه من فنون حربية، و بحسن سياستهم، و سلامة تدبيرهم.

فأراد اللّه سبحانه أن يوجه أنظارهم نحو الغيب، لكى تخشع قلوبهم، و تخضع نفوسهم أمام عظمته سبحانه؛ ليؤكد لديهم الشعور بالرعاية الإلهية، و بالتوفيقات الربانية.

فربط الأمور بالغيب ضرورى لهم، فى حالات قوتهم، كضرورته لهم فى حال ضعفهم، و هو لازم لهم حين يسجلون النصر الحاسم، كما هو لازم لهم حين يواجهون المشكلات الكبرى، و يمسهم القرح و الأذى.

۲- إننا نلاحظ: أن هذا الإخبار الغيبى لهم بموت عظيم من عظماء الكفار فى المدينة، إنما أطلقه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بعد أن أثار اللّه تعالى فيهم قدرا من الضعف، أو الخوف و الاضطراب أمام أمر لا يجدون لهم حيلة فيه، أو طريقا لتلافيه. و ذلك حين هبت ريح شديدة آذتهم، و تخوفوها .. فجاء هذا الخبر ليربط على قلوبهم، و ليكون أبعد أثرا فى نفوسهم، و لكى يبقى محفورا فى ذاكرتهم، ماثلا- أمام أعينهم، لا يحتاجون فى تذكره عند الحاجة إليه إلى بذل أى جهد أو عناء .. و هو خبر مفرح لهم من جهة، و مطمئن لهم إلى أنهم فى رعاية اللّه تعالى، و تحت جناح رسول اللّه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲

«صلى اللّه عليه و آله» من جهة أخرى ..

كما أن ذلك من شأنه أن يؤكد على علاقتهم بالرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»، و يزيد من ثقتهم بحسن تدبيره، و بصحة كل قراراته، لأنه متصل بالغيب، و مرعى بعين اللّه تبارك و تعالى.

۳- أما فيما يرتبط بناقته «صلى اللّه عليه و آله» .. فإن الرواية قد صرحت: بأن اللّه تعالى قد تدخل لفضح نوايا زيد بن اللصيت، و من هم على شاكلته، و أبطل كيدهم فى الانتقاص من مقام النبوة الأقدس، و التشكيك بعلمه الغيب قد جاء فى هذا السياق ..

و لكن الأهم من ذلك: هو ظهور حرص رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على تحصين الناس من الخلل فى عقائدهم، حين صرح بما يدل على أن علمه بالغيب لم يكن من خلال ذاته، و إنما بالإستناد إلى اللّه تعالى، و الاتصال به، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: ما أزعم أنى أعلم الغيب و لا أعلمه، و لكن اللّه أخبرنى بقول المنافق الخ ..

سباق الخيل:

و فى السنة الخامسة أيضا: أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالسبق بين ما ضمّر من الخيل، و ما لم يضمّر «۱».

(و عن ابن عمر: أجرى «صلى اللّه عليه و آله» ما ضمّر من الخيل) فأرسلها من الحفيا- بفتح الحاء و سكون الفاء- إلى ثنية الوداع. و هو خمسة

---

(۱) تضمّر الخيل: يظاهر عليها بالعلق مدة ثم تغشى بالجلال و لا تعلف إلا قوتا حتى تعرق فيذهب كثرة لحمها و تصلب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳

أميال، أو ستة، أو سبعة.

و أجرى ما لم يضمّر، فأرسلها من ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق، و هو ميل أو نحوه. قال ابن عمر: فوثب بى فرسى جدارا «۱».

و ذكر مغلطاى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» فى سنة أربع سابق بين الخيل. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۱۴ ۱۳

سباق الخيل: ..... ص : ۱۲ و سابق أبو سعيد الساعدى «۳» على فرس النبى «صلى اللّه عليه و آله» الذى يقال له: «الظرب»؛ فسبقت غيرها من الخيل. و كساه النبى «صلى اللّه عليه و آله» بردا يمانيا «۴»، بقيت بقية عند أحفاده إلى زمان الواقدى ..

و سبق أيضا أبو أسيد الساعدى على فرس النبى «صلى اللّه عليه و آله»، اسمه «لزاز»، فأعطاه النبى «صلى اللّه عليه و آله» حلة يمانية «۵».

و سابق «صلى اللّه عليه و آله» بين الخيل مرة، و جلس على سلع، فسبقت له ثلاثة أفراس: «لزاز»، ثم «الظرب»، ثم «السكب» «۶».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و ۵۰۳ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۱۰ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۳ ص ۱۲۰ و تحفة الأحوذى ج ۵ ص ۲۸۵ و فتح البارى ج ۶ ص ۵۴ و المصنف ج ۵ ص ۳۰۴.

(۲) سيرة مغلطاى ص ۵۵ و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۲۶۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۷ ص ۳۹۳.

(۳) لعل الصحيح: أبو أسيد الساعدى، كما هو الحال فى المصادر الأخرى.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۷ ص ۳۹۴.

(۵) راجع: أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۱۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۷ ص ۳۹۴.

(۶) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴

سباق الإبل أيضا:

و قالوا: فى هذه الغزوة أيضا: «أوقع «صلى اللّه عليه و آله» السباق بين الإبل، فسابق بلال (رض) على ناقته القصواء، فسبقت غيرها من الإبل» «۱».

و عن أنس: كان للنبى «صلى اللّه عليه و آله» ناقة تسمى العضباء، لا تسبق، أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابى على قعود، فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، حتى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: حق على اللّه أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه «۲».

و نقول:

۱- إن هذا كله يدخل فى نطاق التدريب العسكرى، و رفع مستوى الخبرة الحربية لدى المقاتلين، لأن الإسلام لا يريد لأهله أن يكونوا ضعفاء،

---

(۱) المبسوط ج ۶ ص ۲۹۰ و سنن أبى داود ج ۵ ص ۴۳۷ و مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۲۵۴.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۱۲ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۲ و ۲۳ و البحار ج ۶۰ ص ۱۴ و مسند أحمد ج ۳ ص ۱۰۳ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۴۳۷ و السنن الكبرى ج ۱۰ ص ۱۷ و ۲۵ و مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۲۵۵ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ۳۹۸ و مسند الشهاب ج ۲ ص ۱۱۹ و رياض الصالحين ص ۳۱۹ و فيض القدير ج ۵ ص ۲۳۰ و كشف الخفاء ج ۱ ص ۳۶۳ و ج ۳ ص ۱۹۰ و صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج ۳ ص ۲۲۰ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۴۹۴ و الجامع لأحكام القرآن ج ۹ ص ۴۲ و ۱۴۶ و تهذيب الكمال ج ۱ ص ۲۱۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۲۰ و أحكام القرآن ج ۳ ص ۶۴۹ و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵

بل يريد أن يكونوا دائما على أهبة الاستعداد للدفاع عن النفس، و عن الدين، و أهل الدين.

غير أن ما يثير الانتباه هنا، أمران:

أحدهما: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يستثنى نفسه من هذا الإعداد و الاستعداد، بل هو يشارك فى إعداد وسائل الحرب، و يجرى فرسه مع أفراس غيره، و يأتى فرسه فى المقدمة. مما يعنى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أعده أفضل إعداد.

الثانى: أن أعظم رجل بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فضلا، و علما، و جهادا، هو على سيد الوصيين، و أمير المؤمنين، هو الذى كان يتولى أمر التدريب على الرمى فى المدينة.

و هذا معناه: أن القيادة المسؤولة لا تكتفى بإصدار الأوامر و النواهى للآخرين، ثم تكون فى موقع المتفرج الذى يطلب من الآخرين أن يحموه و أن يضحوا بأرواحهم من أجله. بل تكون فى موقع الممارسة جنبا إلى جنب مع كل العاملين و المجاهدين.

كما أن مشاركته «صلى اللّه عليه و آله» ليست مشاركة عادية، بل هى مشاركة قيادية، و على أتم وجه، و فى أفضل حالة، بل هى تصل إلى حد أن يكون القمة و القدوة و المعلم فيما يطلب من الآخرين أن يتعلموه، و أن يحسنوه، ثم يكون ما أعده هو الأمثل و الأفضل، و لا يرضى بالمساواة مع ما أعده غيره.

۲- إن هذه المسابقات ربما تكون لإعداد آلة الحرب، و هى الخيل و الإبل التى يراد رفع مستوى تحملها، و يراد اكتشاف الصالح و الأصلح

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶

منها، ليمكن الاستفادة منها فى المواقع المناسبة فى الظروف الحساسة ..

۳- إنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يكتفى بإجراء السباق بين ما ضمّر من الخيل. بل هو يسابق أيضا بين ما لم يضمّر، ثم هو يجعل له ميدانا و مدى أقصر من مدى الخيل المضمّرة، آخذا بنظر الاعتبار أيضا قدرات ذلك النوع من الخيل.

و لعل ذلك يعود: إلى أن الخيل غير المضمّرة أيضا لها دورها فى تسيير الأمور فى حالات الحرب، و فى تسريع التنقلات، و إمداد المقاتلين فى الجبهات بما يحتاجون إليه من مؤن و عتاد، و غير ذلك ..

كما أنه لا بد للقائد الحكيم و المدبر من أن يحتاط للأمر، إذ ربما يحتاج فى حالات معينة إلى الاستفادة من هذه الخيل حتى فى ساحات القتال ..

۴- و هكذا يقال بالنسبة للسباق بين الإبل، فإنها كانت هى الوسيلة الأفضل للتنقل فى المسافات البعيدة، و قطع البوادى الشاسعة، فى بلاد تقل فيها الينابيع، و يشتد فيها الحر، و تمس الحاجة فيها إلى الإبل القادرة على قطع تلك المسافات، و على تحمل العطش أياما فى تلك الأجواء الحارة.

۵- إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد جعل للفائزين فى السباق جوائز تشجعهم على تحسين الأداء فى المستقبل، لتكون هذه الجوائز شارة عز على صدورهم من جهة، و حافزا لغيرهم ليحسن الإعداد و الاستعداد للمرات اللاحقة من جهة أخرى .. و لتكون بمثابة معونة للفائزين، الذين قد يكونون بحاجة إلى أمثالها، من جهة ثالثة.

۶- أما ما ذكرته بعض الروايات، من أن أعرابيا سبق على قعوده ناقة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المسماة ب «العضباء»، فشق ذلك على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷

المسلمين و على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فإننا لا نكاد نفقه له معنى مقبولا، لأنه إذا كان سبب انزعاج المسلمين و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هو كون السابق أعرابيا، فإن أعرابيته لا تلغى حقه، و لا تسقط كرامته عند اللّه، و لا توجب حرمانه من الامتيازات التى يستحقها.

و إن كان السبب هو انتساب العضباء إلى الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، فإن ذلك يثير علامة استفهام حول صدقية سبق أفراس، و إبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لأن الناس ما كانوا يرضون بأن تسبق، بل إنهم كانوا يعلمون: أن ذلك يزعج الرسول «صلى اللّه عليه

و آله»، و هذا يجعلهم يترددون فى التقدم على أفراسه، و إبله «صلى اللّه عليه و آله» ..

و لا مجال لقبول الزعم: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يعتبر المسألة مسألة شخصية بالنسبة إليه، بحيث يكون سبق الأعرابى على قعوده لناقته حطا من مقامه، و إنقاصا من قدره.

فإن ذلك ليس فقط يعد طعنا فى النبوة، بل هو طعن فى توازن شخصيته، و سلامة تفكيره «صلى اللّه عليه و آله» ..

۷- و يجوز لنا أن نحتمل: أنه قد كان هناك تعمد للتقليل من شأن العضباء، و اعتبارها قد انحط مقامها، و وضع ما ارتفع منها. و بيان أن هذه الناقة التى كانت قوتها مصدر اعتزاز للمسلمين، و لم يكن لها منافس، قد وجد ما تفوّق عليها من إعرابى عابر.

و نحن و إن كنا لا نملك شيئا يفيد فى تأييد هذا الاحتمال، و لكننا نتجرأ على إطلاقه فى ساحات التداول لأننا نعرف أن ثمة كرها عميقا لأهل البيت

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸

«عليهم السلام» و كل ما له أدنى ارتباط بهم، و أقل انتساب إليهم.

و لهذه الناقة التى يتحدثون عنها خصوصية تثير ذلك الحقد الدفين، و تدعوهم إلى الحط من قدرها، و إثارة ما يوجب الاستخفاف فى أمرها.

و هذه الخصوصية هى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال للعضباء عند وفاته: أنت لا بنتى فاطمة «عليها السلام» تركبك فى الدنيا و الآخرة.

فلما قبض أتت إلى فاطمة «عليها السلام» ليلا، فقالت: السلام عليك يا بنت رسول اللّه قد حان فراقى الدنيا الخ ..» «۱».

سقوطه صلّى اللّه عليه و آله عن الفرس و نسخ حكم شرعى:

قالوا: و فى شهر ربيع الأول، أو فى ذى الحجة من سنة خمس سقط رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن فرسه، فجحشت «۲» ساقه، أو كتفه، و جرحت فخذه اليمنى. و لما رجع إلى المدينة أقام فى البيت خمسا (أياما) يصلى قاعدا «۳».

و حسب نص آخر: جحش فخذه الأيمن.

و فى الصحيحين: جحش شقه الأيمن.

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۸۶ و البحار ج ۱۷ ص ۴۱۷ و مستدرك سفينة البحار ج ۱ ص ۳۷ و بيت الأحزان للشيخ عباس القمى ص ۳۳.

(۲) جحشت ساقه: أى تقشر جلدها.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و البحار ج ۲۰ ص ۲۹۸ و راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۰ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۶ و تحفة الأحوذى ج ۲ ص ۲۹۱ و نصب الراية ج ۲ ص ۵۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۱۶۶ و عن البخارى ج ۱ ص ۱۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹

و فى غيره: انفكت قدمه «۱».

و فى رواية: أن الأصحاب كانوا يقتدون به قياما، فأمرهم بالجلوس، و قال: إنما جعل الإمام إماما ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، و إذا سجد فاسجدوا، و إذا جلس فاجلسوا.

قال الديار بكرى: «لكن عند أكثر العلماء هذا الحديث منسوخ؛ لأنه صح أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» صلى فى مرض موته جالسا، و الأصحاب اقتدوا به قياما، و النبى «صلى اللّه عليه و آله» قرره» «۲».

قال الأشخر اليمنى: إنه «صلى اللّه عليه و آله» «كان يصلى بالناس جالسا، و أبو بكر و الناس يصلون خلفه قياما، كما رواه الشيخان و غيرهما عن عائشة.

---

(۱) راجع: شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۶ و اختلاف الحديث للشافعى ص ۶۶ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۲ ص ۲۲۴ و ج ۸ ص ۳۷۷ و فتح البارى ج ۱ ص ۴۱۰ و مسند الحميدى ج ۲ ص ۵۰۲ و صحيح مسلم بشرح النووى ج ۴ ص ۱۳۰ و ۱۳۱ و المصنف للصنعانى (ط سنة ۱۴۲۳ ه) ج ۲ ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۱۶۶ و إرواء الغليل ج ۲ ص ۱۱۹ و مسند أحمد ج ۳ ص ۲۰۰.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و ۵۰۳ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۶ و شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ص ۲۹۶ و اختلاف الحديث للشافعى ص ۶۷ و راجع:

المصنف لابن أبى شيبة ج ۲ ص ۲۲۴ و ج ۸ ص ۳۷۷ و عون المعبود (ط دار الكتب العلمية) ج ۲ ص ۲۱۸ و ۲۱۹ و الموطأ ج ۱ ص ۱۳۵ و تحفة الأحوذى ج ۲ ص ۲۹۱- ۲۹۵ و سير أعلام النبلاء ج ۲۳ ص ۱۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰

هذا هو الصواب، أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان هو الإمام، كما هو صريح الحديث الذى سقته، و هو لفظ مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة بإسناده عن عائشة الخ ..» «۱».

و نقول:

إننا نشك فى صحة هذا الحديث بلحاظ شكنا ببعض خصوصياته:

فأولا: إننا لا نجد مبررا لسقوطه «صلى اللّه عليه و آله» عن ظهر فرسه، إلا إذا فرض أنه يعانى من ضعف جسدى، نتيجة مرض مّا، أو أن سقوطه بسبب أن الفرس جموح، و كلاهما لا شىء فى الروايات يشير إليه، أو يدل عليه.

و ليس لنا أن نحتمل: أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» لا يحسن ركوب الفرس، و لا بالتماسك فوق ظهره، فإن ذلك من النقص الذى لا يصح نسبته إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا سيما بعد أن قضى سنوات، يمارس فيها الحروب ضد أعدائه. و كان «صلى اللّه عليه و آله» يركب الفرس فيها، و يكون هو الأقرب إلى العدو من كل أحد .. مع تعرض الفرس أثناء الحرب لكثير من المحفزات للحركة، و ربما تنالها بعض الطعنات، و يلحق بها بعض الجراح أيضا.

ثانيا: إن الروايات تقول: إنه قد جحشت ساقه، أو فخذه، أو شقه الأيمن، فمع الاقتصار على خصوص ما ورد فى هذا النص باعتباره هو المعتمد، و الأكثر شيوعا.

---

(۱) راجع شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱

و نقول:

معنى كلمة «جحشت: تقشر جلدها» و من الواضح: أن تقشر الجلد لا يوجب العجز عن القيام فى الصلاة .. فما معنى قولهم: إنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يصلى قاعدا .. و هو- على الأقل- يقدر على التكبير و القراءة من قيام، و مع القدرة على ذلك، فإن الصلاة من جلوس لا تجزى.

ثالثا: دعواهم نسخ ذلك بما جرى فى آخر حياته «صلى اللّه عليه و آله» .. حيث صلى الناس حينئذ قياما، خلفه، و هو جالس، فقررهم «صلى اللّه عليه و آله» على ذلك.

إن هـذه الـدعوى: غير ظاهرة الوجه، إذ لم نجـد ما يـدل على أنه «صـلى اللّه عليه و آله» قد أمرهم بالقيام، فإن كانوا قد بادروا هم إلى القيام خلفه و هو جالس، من دون أن يأمرهم بذلك، فقررهم على فعلهم.

فـالسؤال هـو: لمـاذا وقف الصـحابة خلفه، مع أنه «صـلى اللّه عليه و آله» كـان قـد أمرهم فى حادثـة وقوعه عن الفرس بـأن يصـلوا من جلوس، إذا كان الإمام يصلى جالسا. بل كان عليهم أن يبادروا إلى الجلوس، التزاما بما كان قد علمهم إياه. فلماذا انعكس الأمر؟!

رابعا: إن دعوى النسخ لا مجال لقبولها، لأنهم يقولون: إن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» حين أمر الناس بالجلوس فى صـلاتهم خلفه قد علل ذلك بقوله: «إنما جعل الإمام إماما ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا الخ ..» «۱».

---

(۱) راجع هـذه الفقرة فى المصادر التاليـة: إختلاف الحديث ص ۶۶ و ۶۷ و سـنن البيهقى ج ۲ ص ۹۷ و ۳۰۳ و ج ۳ ص ۷۸ و ۷۹ و حلية الأولياء ج ۳ ص ۳۷۳-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲

فهـذا التعليـل يمنع من النسـخ؛ إذ إن كـانت العلـة للجلوس هى أن الإمام قـد جعل إماما فى جميع الأحوال، فمن الواضـح: أنه لم يطرأ شىء يوجب زوال هذه العلة، بل هى لا تزال باقية على حالها، فلا مبرر لا دّعاء النسخ مع بقاء علة ثبوت الحكم.

خامسا: إن ظاهر الرواية التى ذكرت هذا التعليل هو: أنها تريد بيان لزوم متابعة الإمام فى أفعاله الصـلاتية، فإذا ركع ركعوا، و إذا جلس جلسوا. و إذا قام قاموا- من حيث إن هذه هى أفعال الصلاة-.

و ليس المقصود: أنه إذا طرأ على الإمام ما يمنعه من القيام، فإن حكمهم يصـير هو عدم القيام، إذ لا يصح القول: إذا صلى راكعا صلوا معه راكعين، و إذا صـلى ساجـدا أو نائمـا فعليهم أن يصـلوا نائمين أو ساجـدين، و إذا صـلى بالإيماء صـلوا بالإيماء!! فإنه ليس هناك صلاة على هذه الصفة و لا تلك.

و هذا يعطينا: أن عبارة: «و إذا صلى قاعدا، فصلوا قعودا أجمعون» مقحمة فى هذه الرواية، أو محرفة عن قوله: «و إذا قعد فاقعدوا».

- و مصـنف عبد الرزاق (ط سنة ۱۴۲۳ ه) ج ۲ ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و جمع الجوامع للسـيوطى ج ۲ ص ۳۲۵ و الأـدب المفرد ص ۳۶۰ و فتح البارى ج ۲ ص ۲۱۶ و سنن أبى داود كتاب الصلاة باب ۶۹ و سنن النسائى كتاب الصلاة باب ۴ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۲ ص ۲۲۴- ۲۲۷ و ج ۸ ص ۳۷۷ و ۳۷۸ و مسـند الحميـدى ج ۲ ص ۵۰۲ و تحفـة الأـحوذى ج ۲ ص ۲۹۲ و صـحيح مسلم (بشرح النووى) ج ۴ ص ۱۳۰- ۱۳۲ و سنن الدارمى (ط سنة ۱۴۰۷) ج ۱ ص ۳۱۹ و سير أعلام النبلاء ج ۲۳ ص ۱۳۰ و كنز العمال ج ۸ ص ۲۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳

الصحيح فى قضية الصلاة:

و الصحيح فى هذه القضية: هو ما روى عن أبى جعفر «عليه السلام»:

من أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» صلى بأصحابه جالسا، فلما فرغ قال:

«لا يؤمّن أحدكم بعدى جالسا» «۱».

فيكون جواز اقتداء القائم بالجالس من خصائص رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

بركات و فوائد:

و قد كان من بركات هذه الخصوصية: أنها قد فضحت من حاول التعدى على مقام ليس له، و التصدى لما لم يؤذن له به، بهدف التوصل إلى تبرير اغتصاب أعظم مقام بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أعنى به مقام الإمامة.

الصحيح فى قضية السقوط عن الفرس:

أما حديث سقوطه «صلى اللّه عليه و آله» عن فرسه فلعل له أصلا أيضا، إذا كانوا قد تعمدوا التعتيم على بعض التفاصيل و تجاهلها، مثل أن يكون بعض المنافقين قد نفّروا به فرسه، حتى وقع عن ظهره، تماما كما حاولوا قتله بتنفير ناقته به «صلى اللّه عليه و آله». و ذلك أشهر من أن يذكر.

---

(۱) من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۲۴۹ و وسائل الشيعة (ط سنة ۱۳۸۵ ه) ج ۵ ص ۴۱۵.

(۲) راجع: غوالى اللآلى ج ۲ ص ۲۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴

و لعل حساسيتهم تجاه هذا الأمر، هى التى منعت الإمام الصادق «عليه السلام» من ذكر التفاصيل أيضا، رغم أنه قد صرح به، فقد روى عنه «عليه السلام» قوله:

كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» وقع عن فرس، فسحج (أى قشر) شقه الأيمن، فصلى بهم جالسا فى غرفة أم إبراهيم «۱».

الزلزال فى المدينة:

و زعموا: أنه فى سنة خمس من الهجرة زلزلت المدينة، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إن اللّه عز و جل يستعتبكم فأعتبوه «۲».

و نقول:

إن اللّه تعالى يقول: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ .. «۳». و الناس يخافون من الزلزلة، و يرون أنها مصيبة، بل هم يرون أنها عذاب لهم.

و هم لا يشعرون بالأمن إذا كانت الزلازل تهددهم، مع أن الأحاديث الشريفة قد صرحت: بأن الأئمة «عليهم السلام» أمان لأهل الأرض، كما

---

(۱) من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۲۵۰ و وسائل الشيعة (ط سنة ۱۳۸۵ ه) ج ۵ ص ۴۱۵.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۲، و راجع: سيرة مغلطاى ص ۵۵ و المصنف لابن أبى شبة ج ۲ ص ۳۵۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۶۳ و عيون الأثر ج ۲ ص ۳۵۶ و الغدير ج ۸ ص ۸۴.

(۳) الآية ۳۳ من سورة الأنفال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵

أن النجوم أمان لأهل السماء «۱».

و لسوف يتعاظم شعورهم بالسكينة و بالأمن من الزلازل و الصواعق، حين يكون الرسول «صلى اللّه عليه و آله» بين ظهرانيهم.

فحدوث الزلزال و الحال هذه سوف يزعزع يقينهم هذا، و سيصيبهم بخيبة أمل، و ربما بصدمة عنيفة. و سيثير فى أنفسهم الريبة و الشك فى صحة ما يرونه و يشاهدونه، و اللّه أكرم عليهم، و أرحم بهم، من أن يعرّضهم لهذا الامتحان الصعب.

و لعل مما يشير إلى ما ذكرناه: ما روى عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال: إن إبراهيم مرّ ببانقيا «۲»، فكان يزلزل بها، فبات بها، فأصبح القوم و لم يزلزل بهم.

فقالوا: ما هذا؟ و ليس حدث!

قالوا: ههنا شيخ و معه غلام له.

قال: فأتوه، فقالوا له: يا هذا، إنه كان يزلزل بنا كل ليلة، و لم يزلزل بنا هذه الليلة، فبت عندنا، فبات و لم يزلزل بهم ..

ثم تذكر الرواية: أنه اشترى منهم منطقة النجف «۳».

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۷ ص ۳۰۰ و ۳۰۸- ۳۱۰ و ج ۳۶ ص ۲۹۱ و ۳۴۲ و ج ۲۳ ص ۶ و ۱۹ و ۳۷ و ج ۲۴ ص ۶۷ و ج ۵۳ ص ۱۸۱ و ج ۷۵ ص ۳۸۰ و العمدة ص ۱۶۱ و ذخائر العقبى ص ۱۷ و عن ينابيع المودة ص ۲۰ و الطرائف ص ۱۳۱.

(۲) بانقيا: قرية بالكوفة.

(۳) راجع: البحار ج ۹۷ ص ۲۲۶ و ج ۱۲ ص ۷۷ عن علل الشرايع و مستدرک سفينة البحار ج ۱ ص ۴۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶

فحضور إبراهيم «عليه السلام» فى بلدهم قد منع الزلزال عنهم، فكيف لا- يمنع حضور النبى «صلى اللّه عليه و آله» الزلزال عن أهل المدينة؟!

إلا- إذا فرض وجود مصلحة فى إحداث هذا الزلزال، كما أشير إليه فى بعض الروايات، ففى توحيد المفضل، قال: إن الزلزلة و ما أشبهها، موعظة، و ترهيب، يرهب بها الناس ليرعووا و ينزعوا عن المعاصى «۱».

و كذا الحال لو أريد إظهار آية أو مقام للإمام «عليه السلام» «۲».

النهى عن ادّخار لحوم الأضاحى:

و فى السنة الخامسة أيضا: دفّت دافّة العرب، أى اجتمعت جموعها و قدموا المدينة، فنهى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن ادّخار لحوم الأضاحى، فوق ثلاث، ثم رخص لهم فى الادّخار ما بدالهم «۳».

و الظاهر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أراد بهذا الإجراء توفير الطعام

---

(۱) البحار ج ۵۷ ص ۱۳۰ و ج ۳ ص ۱۲۱ و التوحيد ص ۹۱ و مستدرک سفينة البحار ج ۴ ص ۳۰۳.

(۲) راجع: البحار ج ۷ ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و ج ۴۱ ص ۲۵۳ و ۲۵۴ و ۲۷۱ و ۲۷۲ و ج ۴۲ ص ۱۷ و ج ۵۷ ص ۱۲۹ و راجع ج ۲۵ ص ۳۷۹ و ج ۱۲ ص ۲۴ و ج ۴۹ ص ۸۲ و ج ۵۰ ص ۴۶.

(۳) الفصول المختارة ص ۱۳۱ و الطرائف ص ۱۹۳ و غوالى اللآلى ج ۱ ص ۴۵ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۱۰۵۵ و البحار ج ۱۰ ص ۴۴۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۳ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۰ و البرهان للزركشى ج ۲ ص ۴۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۲۳۳ و شرح معانى الآثار ج ۴ ص ۱۸۹ و مستدرک سفينة البحار ج ۱۰ ص ۱۱۵ و تأويل مختلف الحديث ص ۱۸۴ و ۱۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷

للعرب الذين اجتمعوا فى المدينة، لأن ادّخار لحوم الأضاحى سوف يقلل من كميات اللحوم التى تعرض فى السوق، فإذا كان هناك ازدياد فى عدد الناس الذين يحتاجون إلى الغذاء، و كان هناك نقص فى كميات اللحوم المعروضة فإن ذلك سيوقع الناس فى حرج و إرباک، أو يتسبب فى غلاء بعض السلع الأخرى المتداولة. فنهى النبى «صلى اللّه عليه و آله» الناس عن ادّخار اللحوم، و ألزمهم

بعرضها، من أجل تلبية حاجات الناس إليها.

و هذا هو أحد الموارد التى ينشئ الحاكم فيها أوامره التدبيرية، فى أمور عامة، و يكون لهذه الأوامر تأثيرها على حق الناس فى تصرف بعينه، فيحظر عليهم استعمال هذا الحق، رعاية لصالح المجتمع المسلم.

و بذلك يكون الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» قد وضع قانون حماية المستهلك من خلال إغراق السوق بالسلع، لكى لا تتسبب قلتها بارتفاع الأسعار و الإجحاف بحقه.

فرض الحج:

قالوا: و فى السنة الخامسة نزلت فريضة الحج. لكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أخّره إلى السنة العاشرة، من غير مانع، فإنه خرج فى ذى القعدة من السنة السابعة لقضاء العمرة و لم يحج، و فتح مكة فى رمضان السنة الثامنة، و لم يحج. و بعث أبا بكر أميرا على الحاج فى السنة التاسعة، و حج «صلى اللّه عليه و آله» فى السنة العاشرة، و هى المعروفة بحجة الوداع.

و قالوا: اختلف فى وقت فرض الحج، فقيل: قبل الهجرة، و وصفوا هذا القول بالغرابة، و المشهور بعدها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸

و قيل: فى الرابعة و قيل: سنة خمس. و كذا فى المنتقى، و جزم به الرافعى فى موضع، و قيل سنة ست، و صححه الرافعى أيضا فى موضع آخر، و كذا النووى، و هو قول الجمهور.

و قيل: فى سبع، و قيل: فى ثمان، و كذا فى مناسك الكرمانى أيضا.

و رجحه جماعة من العلماء.

و قيل: فى تسع و صححه عياض.

و قيل: فى العاشرة «۱».

و استدل القائلون: على فرض الحج فى سنة ست: بأن قوله تعالى:

وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ .. قد نزل فى سنة ست ..

و قد يناقش فى هذا الدليل بأن قوله: وَ أَتِمُّوا .. يراد به الإكمال بعد الشروع، و ليس المراد به ابتداء الفرض «۲».

و قد ذكر الحج فى قصة ضمام بن ثعلبة، و كان قدومه- على قول الواقدى-: سنة خمس «۳».

و استدل القائلون، على فرض الحج فى سنة تسع: بأن فرضه قد جاء فى

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۳ و البحار ج ۲۰ ص ۲۹۸ و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۳ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۶ و ۳۱۷ و راجع ص ۳۱۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۸ و سيرة مغلطاى ص ۵۷ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۸۰ و ۲۸۱ و شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ج ۱ ص ۲۸۰ و ۲۸۱ و عون المعبود ج ۵ ص ۲۵۳.

(۲) راجع: المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۳.

(۳) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹

أوائل سورة آل عمران، و صدر هذه السورة قد نزل فى سنة تسع، و فيها قدم وفد نجران، و صالحهم على الجزية، و الجزية نزلت عام تبوك فى سنة تسع «۱».

و نقول:

۱- قد ذكرنا فى بحث لنا حول آيات الغدير «۲»: أن اللّه كان ينزل سورة كاملة، أو شطرا كبيرا من السورة دفعة واحدة إذا كانت من الطوال، ثم يبدأ نزول آياتها تدريجيا، كلما حدث ما يقتضى ذلك.

فلعل سورة آل عمران قد نزلت فى أول الهجرة، و إن كانت المناسبات التى اقتضت إعادة إنزال بعض آياتها قد تأخرت إلى سنة تسع ..

و استدل القائلون بأن الحج قد فرض قبل الهجرة بما يلى:

۱- عن ابن عباس: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حج قبل أن يهاجر ثلاث حجج «۳».

۲- عن ابن الأثير: أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر «۴».

۳- و عن الثورى: حج النبى «صلى اللّه عليه و آله» قبل أن يهاجر حججا «۵».

---

(۱) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۳.

(۲) راجع كتابنا: مختصر مفيد ج ۴ ص ۴۵.

(۳) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۴ عن ابن حبان و الحاكم.

(۴) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۴۴۴ و فتح البارى ج ۸ ص ۸۰.

(۵) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۴ و فتح البارى ج ۸ ص ۸۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۴۴۴ و مستدرك سفينة البحار ج ۳ ص ۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰

۴- و قال ابن الجوزى: حج حججا لا يعلم عددها «۱».

۵- و قال الحبر الطبرى: حج «صلى اللّه عليه و آله» قبل الهجرة حجتين «۲».

۶- عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال: لم يحج النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعد قدومه المدينة إلا واحدة، و قد حج بمكة حجات «۳».

۷- و عنه «عليه السلام»: حج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عشر حجاب، مستسرا فى كلها «۴».

۸- عنه «عليه السلام»: حج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عشرين حجة «۵».

۹- و عن عمر بن يزيد، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام»: أنه «صلى اللّه

---

(۱) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۲۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۴۴۴.

(۲) شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۸۱ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۵۲ و البحار ج ۲۱ ص ۳۹۸ و أحكام القرآن ج ۳ ص ۳۰۲.

(۳) الكافى ج ۴ ص ۲۴۴ و تهذيب الأحكام ج ۵ ص ۴۴۳ و وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ۸ ص ۵۸۸ و البحار ج ۱۸ ص ۲۸۰ و ج ۲۱ ص ۳۹۹.

(۴) الكافى ج ۴ ص ۲۴۴ و وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ۸ ص ۸۸ و ۸۹ و تهذيب الأحكام ج ۵ ص ۴۵۸.

(۵) الكافى ج ۴ ص ۲۴۵ و ۲۵۲ و علل الشرائع ج ۲ ص ۴۵۰ و من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۲۳۸ و تهذيب الأحكام ج ۵ ص ۴۴۳ و ۴۵۹ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۰ ص ۱۶ و ۳۷ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۵۲ و البحار ج ۲۰ ص ۳۹۸ و ۳۹۹ و ۴۰۷ و ج ۹۶ ص ۳۹ و مستدرك الوسائل ج ۱ ص ۲۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱

عليه و آله» قد حج عشرين حجة غير حجة الوداع «۱».

و هناك أقوال أخرى، فلتراجع فى مظانها.

و لا منافاة بين روايات العشرة و العشرين، فإن العشرة التى استسر بها هى تلك التى كانت فى المدينة.

۱۰- و قد يمكن تأييد ذلك: بأن الحج قد شرع فى مكة بما روى عن أبى عبد اللّه «عليه السلام»، قال: العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج على من استطاع؛ لأن اللّه تعالى يقول: وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ .. و إنما نزلت العمرة بالمدينة «۲» و نحوه غيره «۳».

ملاحظات و توضيحات:

و نحن نسجل هنا الملاحظات و التوضيحات التالية:

ألف: إن حج النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعد الهجرة سرا قد يكون بالاحتجاب عن الناس بطريقة التدخل الإلهى الإعجازى، فإن اللّه سبحانه قادر على كل شىء.

ب: قد يقال: إن حج النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن لأجل أن الحج كان قد فرض، فلعله كان آنئذ على صفة الندب، أو لعله كان واجبا على

---

(۱) الكافى ج ۴ ص ۲۵۱ و ۲۴۴ و ۲۴۵ و راجع: مسند أحمد ج ۳ ص ۱۳۴ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۸ ص ۹۴.

(۲) الكافى ج ۴ ص ۲۶۵.

(۳) مستطرفات السرائر ص ۵۷۵ و البحار ج ۱۵ ص ۳۶۱ و ج ۲۱ ص ۳۹۹ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۸ ص ۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲

رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دون غيره ثم وجب على الناس بعد ذلك.

و لكن الرواية الأخيرة تؤكد: أن الحج و العمرة كانا واجبين على الخلق كلهم.

و على كل حال: فإن أحدا لا يستطيع أن ينفى فرض الحج على الناس فى مكة، فلعله قد شرع و أبلغه النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى من أسلم معه، و كانوا يحجون مع الناس، دون أن يظهر منهم ما يوجب الصدام معهم، لأن المشركين أيضا كانوا يحجون، و إن كان فى حجهم مخالفات و تحريفات ..

و ربما يكون المسلمون قد استعملوا التقية فى هذا الأمر، إما فى طريقة الأداء، أو بامتناعهم عن الحج، بسبب المخاطر التى تواجههم فيه.

و أما الحج بعد الهجرة، فحتى لو أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أبلغهم بوجوبه عليهم، فإنهم لم يكونوا قادرين على القيام به، بسبب الحروب القائمة بينهم و بين أهل مكة .. و قد استمر هذا الأمر إلى ما بعد الفتح، كما هو معلوم ..

النبى صلّى اللّه عليه و آله يحيى الموتى:

و فى السنة الخامسة، أو فى غيرها كانت قصة أولاد جابر.

فقد روى: أن جابرا دعا النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذات يوم إلى القرى، فأجابه «صلى اللّه عليه و آله». و جاء و جلس، ففرح جابر، و ذبح له حملا ليشويه.

و كان لجابر ولدان صغيران، فطلب الكبير من الصغير أن يريه كيف ذبح أبوه الحمل، فأضجعه، و ربط يديه، و رجليه، ثم ذبحه، و حزّ رأسه،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳

و جاء به إلى أمه. فدهشت، و بكت، فخاف الصبى، و هرب إلى السطح، فتبعته فرمى بنفسه عنه، فمات أيضا.

فسكتت المرأة، و أدخلت ابنيها البيت، و غطتهما بمسح فى ناحية من البيت. و اشتغلت بطبخ الحمل، و كانت تخفى الحزن، و تظهر السرور، و لم تعلم زوجها بالأمر.

فلما تم الطبخ، و قرب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» جاءه جبرئيل، و قال: يا محمد، إن اللّه يأمرك أن تأكل مع أولاد جابر.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذلك لجابر، فطلب جابر ابنيه.

فقالت امرأته: إنهما ليسا بحاضرين.

فأخبر جابر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك، فقال: إن اللّه يأمرك بإحضارهما.

فرجع إلى امرأته فأخبرها، فبكت، و كشفت له الغطاء عنهما، فتحير جابر، و بكى، و أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالأمر. فنزل جبرئيل، و قال: يا محمد، إن اللّه يأمرك أن تدعو لهما، و يقول: منك الدعاء، و منا الإجابة و الإحياء.

فدعا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فحييا بإذن اللّه «۱».

و فى مناسبة أخرى: ذبح جابر شاة، و طبخها، و ثرد فى جفنة، و أتى به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». فأكل القوم. و كان «صلى اللّه عليه و آله» يقول لهم: كلوا و لا تكسروا عظما. ثم إنه «صلى اللّه عليه و آله» جمع العظام،

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۰ عن شواهد النبوة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴

و وضع يديه عليها، ثم تكلم بكلمات، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها «۱».

و نقول:

إن لنا مع هذه الروايات وقفات، هى التالية:

التقليد و المحاكاة:

إن ما ذكرته الرواية عن ذبح الولد لأخيه ليس أمرا محالا، و لا غريبا.

بل له نظائر عبر التاريخ و إلى يومنا هذا؛ فإن اتجاه الأطفال نحو التقليد و المحاكاة أمر معروف و مألوف للناس، و يرون مظاهره و شواهده فى أطفالهم باستمرار.

و لكن تصرف أم الطفلين هو الذى يثير الدهشة حقا، فكيف واجهت هذه الصدمة بمجرد البكاء، ثم لم تفقد وعيها، و لم تصرخ، و لم تولول، ليجتمع الناس إليها، و يسألوها عما جرى؟!

بل كيف أطاقت حمل طفليها إلى ناحية البيت؟!

و كيف استطاعت أن تقف على رجليها، و تصلح الطعام لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

ثم هى لم تخبر زوجها بما جرى؟! بل زادت على ذلك كله: أنها كانت تخفى الحزن، و تظهر السرور برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۰ عن المواهب اللدنية عن أبى نعيم، و سبل الهدى و الرشاد ج ۱ ص ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵

قيمة الدعاء و آثاره:

إن اللافت هو: أن اللّه تعالى هو الذى أمر جبرئيل بأن يخبر الرسول «صلى اللّه عليه و آله» بأن عليه أن يدعو للطفلين، و أن يطلب من اللّه إحياءهما، و يعده بالإجابة له ..

ألا ـ يدل ذلك على: أن اللّه عز و جل يريد أن يعرّف الناس بمقام نبيه «صلى اللّه عليه و آله» عنده، و محله لديه، و أن يربط على قلوبهم، و يزيد ثقتهم باللّه سبحانه، و بالرسول و بالرسالة؟!

كما أنه يريد: أن يعرف الناس بضرورة أن يكون كل شيء حتى الدعاء بأذن من اللّه سبحانه و برضاه.

يضاف إلى ذلك: تعريفهم بقيمة الدعاء، و بأنه داخل فى سلسلة العلل للتأثير فى الكائنات، حتى ما كان بمستوى إحياء الموتى، و ليكن إرسال جبرئيل للنبى «صلى اللّه عليه و آله»- ليبلغه أمر اللّه تعالى له بالدعاء لهما- إعلام بهذه الحقيقة الخطيرة و الهامة جدا.

التشكيك الخفى:

هذا .. و قد علق الديار بكرى على حديث إحياء ولدى جابر بقوله:

«كذا فى شواهد النبوة، لكنها لم تشتهر اشتهارا» «۱».

و نقول:

إنه يقصد: أن إحياء الموتى حدث عظيم، و هائل، من المفترض أن يطير

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۰.

خبره فى كل اتجاه .. فإذا لم يحصل ذلك، كان هناك مبرر للتشكيك فى صحة النقل.

غير أننا نقول: إن الآيات و المعجزات تارة تكون فى مقام التحدى، و من أجل إثبات النبوة للجاحدين و الطغاة مثلا .. فمن المفترض أن تظهر فى الملأ العام، و أن يكون ثمة اهتمام بنشر أخبارها، و التعريف بآثارها ..

و تارة يكون المقصود بها: تكريم عبد صالح، و تأكيد اليقين فى قلبه، و بعث السكينة فى نفسه، من دون أن يكون ثمة غرض من إشاعة أخبارها، بل قد تكون المصلحة فى كتمانها، إذا كان نشرها يعطى الفرصة لأصحاب الأهواء للتشكيك بها، أو التسبب ببعض أشكال الحرج لمن يراد تكريمهم و إعزازهم، و الحفاظ عليهم.

و هناك أقسام أخرى أشرنا إليها فى كتابنا: رد الشمس لعلى «عليه السلام»، فيمكن الرجوع إليه.

لا تكسروا عظما:

و نحن لا نشك فى: أن اللّه تعالى يحيى الشاة بدعاء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، سواء أكسروا عظامها أم تركوها سالمة، و لكننا نحتمل أن يكون أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» للآكلين بأن لا يكسروا عظما لسببين:

أحد هما: أن لا يغلو صغار العقول برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بزعم أنه هو اللّه، استنادا إلى قوله تعالى: .. قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ ...

الثانى: التوطئة لإظهار هذه المعجزة، و تهيئتهم للاستفادة منها فى تقوية

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۷

إيمانهم إلى أقصى حد ممكن، و ذلك حين يعرفون: أن القضية أكثر من مجرد كرامة أظهرها اللّه لنبيه «صلى اللّه عليه و آله»، دون أن يكون له «صلى اللّه عليه و آله» دور فى صنعها و إظهارها .. بل هى عمل مقصود لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، سعى إليه خطوة خطوة حتى أتمه و أنجزه وفق ما خطط و أراد، الأمر الذى يشير إلى أن اللّه سبحانه و تعالى قد أعطاه القدرة على صنع ما هو من هذا القبيل، و يبلغ هذا الحد أيضا، فهذا من شؤونه، و من وظائفه و صلاحياته كنبى و رسول.

إسلام خالد و عمرو بن العاص:

و زعموا: أن خالدا و عمرو بن العاص أسلما فى السنة الخامسة من الهجرة «۱».

و لكن سيأتى، إن شاء اللّه: أن الصحيح هو: أن إسلام خالد، كان فى سنة سبع.

قال ابن حجر: و وهم من زعم أنه أسلم سنة خمس «۲».

و أسلم عمرو بن العاص سنة ثمان.

و قيل: بين الحديبية و خيبر «۳».

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۰.

(۲) الإصابة ج ۱ ص ۴۱۳.

(۳) الإصابة ج ۳ ص ۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۹

الفصل الثانى: زينب بنت جحش فى بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۱

زينب بنت جحش .. فى بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

قال اللّه تعالى:

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً، وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا، ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً، الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً، ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً «۱».

---

(۱) الآيات ۳۶- ۴۰ من سورة الأحزاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۲

ابن حارثة! أم ابن محمد؟!

و يقولون: إن السبى كان قد وقع على زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى، فاشتراه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من سوق عكاظ، أو أن خديجة اشترته، ثم وهبته لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فلما نبئ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دعاه إلى الإسلام، فأسلم.

و كان أبوه يتسقط أخباره، فلما عرف أنه فى مكة قدمها، و كان رجلا جليلا، فأتى أبا طالب، و قال: سل ابن أخيك: فإما أن يبيعه، و إما أن يفاديه، و إما أن يعتقه.

فلما قال ذلك أبو طالب لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، قال: هو حرّ، فليذهب حيث شاء.

فأبى زيد أن يفارق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال حارثة: يا معشر قريش اشهدوا أنه ليس ابنى، أو قال: اشهدوا أننى تبرأت من زيد، فليس هو ابنى و لا أنا أبوه.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: اشهدوا أن زيدا ابنى.

فكان يدعى زيد بن محمد «۱».

---

(۱) لهذا الحديث نصوص مختلفة، و قد ذكرنا هنا ملخصا للقضية، حسبما وردت فى المصادر التالية: البحار ج ۲۲ ص ۱۷۲ و ۲۱۵ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۲ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۶۳ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۶۷ و ۴۶۸ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۳۶، و راجع: شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ج ۱ ص ۲۸۹ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۲۴۳ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۱ ص ۵۴۵ و ۵۴۶ و ۵۴۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۰ ص ۱۳۸ و ۱۳۹ و ج ۱۹ ص ۳۴۸-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۳

و فى نص آخر: أنه لما اختار النبى «صلى اللّه عليه و آله»، جذبه أبوه، و قال: يا زيد، اخترت العبودية على أبيك و عمك؟!

فقال: إى و اللّه، العبودية عند محمد أحب إلى من أن أكون عندكم «۱».

و زوّجه النبى «صلى اللّه عليه و آله» مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة، و لما قدم المدينة زوّجه زينب بنت جحش.

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أحب إليه:

و نقول:

إننا نسجل هنا النقاط التالية:

۱- إن الإنسان حين يسمع الناس يتحدثون عن بعض العظماء، و الأفذاذ منهم، فإن تلك الأحاديث تبهره، و تلهب فى نفسه جذوة الشوق لرؤيتهم، و العيش معهم، و الكون إلى جانبهم.

و لكنه إذا حصل على ما يتمناه، و عاش معهم بالفعل، فإنه سيجد أنهم

- و الإستغاثة ج ۱ ص ۷۵ و أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۵ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۴۰ و ۴۱ و ۴۲، و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۱۴

و روح البيان ج ۷ ص ۱۳۷ و غرائب القرآن للنسيابورى (بهامش جامع البيان) ج ۲۱ ص ۸۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۳ و حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج ۳ ص ۲۷۹ و ۲۶۸ و الروض الأنف للسهيلى ج ۱ ص ۲۸۶ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۲۴۷ و السمط الثمين ص ۲۲۵.

(۱) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۳ و حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج ۳ ص ۲۷۹ و راجع: طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۴۱ و ۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۴

دون المستوى الذى ظنه فيهم، و أقل مما توهمه عنهم، فإذا طالت الصحبة، و دامت مخالطته لهم، فإن مستوى الإعجاب سوف يتراجع عما هو عليه، و يتضاءل بصورة تدريجية، تبعا لما يتكشف له من نقائص، و ما يظهر له من نقاط ضعف فيهم، يسعى الناس عادة لإخفائها، و التستر عليها.

و لكن هذا التراجع و ظهور نقاط الضعف قد لا يبرر له قطع الرابطة معهم، و ذلك لأن عامل الإلف، و العادة، و ربما الانجذاب إلى صفات أو حالات أو مصالح معينة يجدها فيهم، تدفعه إلى توثيق العلاقة بهم، و إدامتها، و تحفظ له بعض الحيوية فيها.

و لكن حياة زيد بن حارثة مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم تكن على هذه الصفة، بل كان «رحمه اللّه» يكتشف فيه «صلى اللّه عليه و آله» كل آن ما هو جديد و فريد من الميزات و الخصائص الإنسانية التى لا نظير لها، و التى كان لتنامى قدرات زيد الروحية، و الإيمانية، و الفكرية، و الإدراكية الأثر الفعال فى التعرف عليها، و التفاعل معها ..

۲- و من جهة أخرى: فإن لعلاقة الرحم بالرحم خصوصية لا توجد فيما عداها، مما عرفه الناس و ألفوه، خصوصا إذا كانت علاقة والد بولده، و ولد بأبيه، و لا سيما إذا كان الوالد جليلا، و كان الولد عاقلا نبيلا .. فكيف إذا ذكت هذه العلاقة، و تأججت أوارها بفعل مأساة، تمثلت فى التحول من عز الحرية، إلى ذل الأسر و العبودية، حيث لا بد أن يؤذيه إحساسه بالضعف بعد القوة، و بالمهانة و الاستهانة، بعد العيش فى منازل السؤدد و الكرامة؛ فكيف إذا أصبح يواجه بالقسوة بعد الرحمة، و بالإذلال بعد الدلال و الإدلال ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۵

فإن من الطبيعى أن يضاعف ذلك حنينه إلى الحياة التى فارقها، و أن يزداد مقته للواقع الذى يعانى منه، و لسوف تتأكد علاقته الروحية بوالديه، و تشتد لهفته للقائهما، و العيش تحت جناحهما، حيث يتبلور شعوره بالقوة و بالكرامة، و بالعزة. و تنتعش روحه بما يفيضانه عليه من حب، و بما يغمرانه به من رأفة و رحمة، و من دفء و حنان. و ليهنأ بالراحة، و ليهدأ تحت ظلال السلام و السلامة، و السكينة و الأمان.

و كان زيد من أول الأمر شديد الحنين إلى أهله و قومه ..

فقد ذكر ابن سعد: أن أناسا من كلب- قبيلة زيد- حجوا فرأوا زيدا فعرفهم و عرفوه، فقال: بلغوا أهلى هذه الأبيات، فإنى أعلم أنهم قد جزعوا على، و قال:

أحن إلى قومى و إن كنت نائيابأنى قتيل البيت عند المشاعر

فكفوا من الوجد الذى قد شجاكمو لا تعملوا فى الأرض نص الأباعر

فإنى بحمد اللّه من خير السرةكرام وعد كابرا بعد كابر «۱» و قد أشارت هذه الأبيات إلى: أن زيدا كان يعرف شدة محبة أبيه له، و تعلقه به.

فقد ذكر ابن سعد: أن ناسا من كلب- قبيلة زيد- حجوا فرأوا زيدا.

و لكن زيدا لم يكتف برفض العودة مع أبيه إلى البيت الذى رباه، بل هو قد رضى بالبقاء تحت و طأة آلام كل تلك المعانى التى قد يحيطه بها الكثيرون من الناس من حوله.

(۱) الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۶

ثم زاد على ذلك: بأن تحمل أقسى و أعنف الآلام الروحية، و هو يرى أباه يعلن براءته منه على الملأ من قريش، و هى براءة تدلل على عمق الجرح الذى أحدثه قراره فى نفس أبيه المفجوع به، حيث واجهه بأعنف صدمة عاطفية، و هو يرى خيبة آماله فى ولده، و فلذة كبده و أعز ما و من فى الوجود عليه.

و الذى يزيد فى هذه الآلام: أن ولده هذا لم يراع مكانة أبيه، بل هو قد عرض موقعه الاجتماعى للاهتزاز، حين أصر على البقاء فى كنف إنسان آخر، عاش معه ردحا طويلا على صفة العبودية. و إذا بهذا العبد يفضل سيده حتى على أهله و عشيرته، و حتى على أبيه و أمه.

فما معنى: أن يفضل هذا الولد حياة العبودية مع سيده هذا على ما سواها، دون أن يطلب لنفسه أى امتياز، أو ضمانة، أو دون أن يفكر بأى تغيير فى مسار هذه الحياة، مع من يطلب البقاء معهم، و العيش فى كنفهم؟!

ألا يدل ذلك: على أن فى الأمر سرا عميقا و دقيقا، قد يتجلى هذا السر فى بعض وجوهه، فى أن السبب فى عظمة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن هو تميّزه و تفرّده فى الصفات و السمات البشرية ..

و إنما سببها هو: أنه ذلك الإنسان الإلهى الصافى، و الخالص، الذى استحال على زيد بن حارثة، رغم طول صحبته له، و اطلاعه عن قرب على حالاته المختلفة- لقد استحال عليه-: أن يجد فيه أى حالة من حالات الضعف البشرى ..

بل هو يراه دائم التعالى و التسامى و الرقى فى منازل الكرامة و فى المقامات المحمودة، و يشاهده و هو يزداد بهاء و سناء، و توهجا و تألقا فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۷

سماء العظمة و السؤدد.

بل إنه كلما زادت معارفه، و نما إدراكه، و تكاملت قواه، يزداد قوة على اكتشاف المزيد من مزايا شخصية الرسول «صلى اللّه عليه و آله» و أسرارها، و يتأكد انبهاره بأنوارها؛ فيجد نفسه مضطرا لمنحه المزيد من الحب، و يقوى ارتباطه به، و يضاعف حنينه إليه، و لا يفضل شيئا فى الوجود عليه.

بل هو يرفض أباه، ليكون مع الذى تبناه.

و هذا دليل على صحة إيمان زيد، و على عمق إدراكه لمفاهيم الإسلام، و مدى تفاعله مع قيمه، و انسجامه مع أحكامه و شرائعه ..

۳- و مما يؤكد هذا الذى ذكرنا: أن حارثة بن شراحيل قد عرض على النبى «صلى اللّه عليه و آله» ثلاثة خيارات، تؤكد جميعها على: أن زيدا يواجه حالة من الإذلال فى بقائه على الصفة التى هو عليها، و يريد أبوه أن يخرجه منها ..

و الخيارات الثلاثة هى: العتق، و المفاداة، و البيع «۱».

و فى هذا تهيئة نفسية لزيد ليختار- حيث يصبح له الخيار- أن يكون إلى جانب أبيه ليتخلص من كل نظرات الاحتقار و الاستصغار التى ربما توجه إليه، يحس بلذعاتها، و لسعاتها، النظرات التى أنتجتها ظروف لم يكن لزيد أى دور، أو أى خيار أو اختيار فى صنعها.

۴- إن مبادرة الرسول «صلى اللّه عليه و آله» إلى الانتصار لزيد،

(۱) قد تقدمت المصادر التى ذكرت ذلك، و راجع أيضا: تاريخ مدينة دمشق ج ۱۰ ص ۱۳۹ و الإستغاثة ج ۱ ص ۷۵ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۸

و إعلانه أنه قد تبناه، يمثل إنقاذا لموقف زيد، بأفضل أسلوب، و أرشد طريقة، حيث منحه بذلك أعظم و سام، و جعله فى أعلى مقام، غير آبه بالأعراف الاجتماعية الخاطئة، التى تنطلق من العنجهيات الفارغة، و من مفاهيم الجاهلية اللاإنسانية، التى تقضى بالتمييز بين الأحرار و العبيد، و بين السادة و الموالى ..

و بذلك يكون قد أسقط المفهوم الجاهلى و أدانه، و رفضه، بالأفعال لا بالأقوال من جهة .. و قطع الطريق على حارثة بن شراحيل من جهة أخرى.

ثم يكون قد أصلح ما أفسده موقف حارثة، و جبر الكسر الاجتماعى، و الروحى الذى حدث لزيد بسبب تبرى أبيه منه، حيث منحه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ما لم يكن يحلم به، و حباه شرفا يغبطه عليه خيار الأمة و كرامها.

۵- لا مجال للتوهم الذى يقول: إن حارثة بن شراحيل لم يكن شديد التعلق بولده، و لأجل ذلك سرعان ما أعلن التخلى عنه، و التبرأ منه ..

و ذلك لأن والده قد قال أبياتا عبر فيها عن حقيقة ما يختلج فى نفسه من شوق لولده، و من تلك الأبيات:

بكيت على زيد و لم أدر ما فعلأحى فيرجى أم أتى دونه الأجل

فو اللّه ما أدرى، و إن كنت سائلاأغالك سهل الأرض، أم غالك الجبل

تذكرنيه الشمس عند طلوعهاو تعرض ذكراه إذا قاربت الطّفل

و إن هبت الأرواح هيجنا ذكرهفيا طول ما حزنى عليه، و يا و جل

سأعمل نص العيس فى الأرض جاهداو لا أسأم التطواق أو تسأم الإبل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۴۹ حياتى أو تأتى على منيتىو كل امرء فان، و إن غره الأمل «۱» ۶- إن قضية زيد بن حارثة و تبنى النبى «صلى اللّه عليه و آله» له، و براءة أبيه منه قد حصلت قبل بعثة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

تاريخ زواج النبى صلّى اللّه عليه و آله بزينب بنت جحش:

و يذكرون: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد تزوج بزينب بنت جحش فى شهر ذى القعدة من السنة الخامسة للهجرة «۳»، و نزلت آية الحجاب فى

---

(۱) راجع: مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۱۴ و تفسير القرآن العظيم ج ۱۴ ص ۱۱۸ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۳ ص ۴۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۰ ص ۱۳۸ و ج ۱۹ ص ۳۴۷ و ۵۳۰ و أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۵ و المنتخب من المذيل للطبرى ص ۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۱۶۴.

(۲) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۲۴۷.

(۳) راجع ذلك فى المصادر التالية: البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۵ و البحار ج ۲۰ ص ۲۹۷ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۱۸۹ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۷ و صفة الصفوة ج ۲ ص ۴۶ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۳ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۲ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۰ و ۵۰۱ و ۲۶۷ عن المنتقى و غيره و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۳۳ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۴ و حاشية الصاوى على الجلالين ج ۳ ص ۲۸۰.

و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۱ و ج ۴ ص ۳۵۶ و حياة الرسول و فضائله للنبهانى ص ۲۰۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۳۰۴ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۷ و مروج الذهب ج ۲ ص ۲۸۹ و فتح البارى ج ۸ ص ۳۵۱ عن الواقدى و ج ۷ ص ۳۳۳ و السيرة النبوية

لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و ج ۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۰

هذه المناسبة.

و قال أبو عبيدة، و خليفة بن خياط: تزوجها فى السنة الثالثة «۱».

و قيل: بعد قريظة «۲».

و قيل: سنة أربع من الهجرة النبوية الشريفة «۳» فى ذى الحجة.

- ص ۲۹۳ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۰ و الجامع الصحيح (مطبوع مع تحفة الأحوذى) ج ۹ ص ۵۰ و سيرة مغلطاى ص ۵۵ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۹ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۴ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۹ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۵۱۱ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۷۴ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۶۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۱.

(۱) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۵ و ۲۰۱ و ج ۴ ص ۲۵۶ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۰ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۹ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۳ و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۹۳ و الإصابة ج ۴ ص ۳۱۳ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۱۴ و تهذيب الكمال ج ۳۵ ص ۱۸۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۱۷ و سيرة مغلطاى ص ۵۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۳۰۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۳ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۳ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۳۳ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۴ و حاشية الصاوى على الجلالين ج ۳ ص ۲۸۰ و الجامع الصحيح (مطبوع مع تحفة الأحوذى) ج ۹ ص ۵۰.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۶۷.

(۳) المنتظم ج ۴ ص ۳۰۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) (ط سنة ۱۴۱۰ ه) ص ۲۵۶. و راجع: عيون الأثر ج ۲ ص ۳۰۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۱

و زينب هى ابنة عمة النبى «صلى اللّه عليه و آله»، لأن أمها هى أميمة بنت عبد المطلب.

قصة هذا الزواج:

و كان من قصتها: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» خطبها لزيد بن حارثة فظنت أنه يخطبها لنفسه، فرضيت، فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت و ترفعت عليه بنسبها و جمالها، و تابعها على ذلك أخوها عبد اللّه، و قالت:

«أنا ابنة عمتك يا رسول اللّه، فلا أرضاه لنفسى» (أو فلم أكن لأفعل).

قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إنى قد رضيته لك. فبينما هما يتحدثان أنزل اللّه عز و جل: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...

فرضيت هى و أخوها بذلك، و جعلت أمرها للنبى .. فأنكحها «صلى اللّه عليه و آله» زيدا، و دخل بها، و ساق لها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عشرة دنانير، و ستين درهما، و خمارا، و درعا، و إزارا، و ملحفة، و خمسين مدا من طعام، و ثلاثين صاعا من تمر ..

فمكثت عند زيد ما شاء اللّه (قريبا من سنة أو فوقها «۱») ثم وقعت

- و ۲۷۸ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۳ و سيرة مغلطاى ص ۵۵ و مسند ابن راهويه ج ۴ ص ۴۴ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۳

و روح البيان ج ۷ ص ۱۸۰.

(۱) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۶۶ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۳ ص ۴۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۲

الكراهية بينهما. فأتى زيد إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قال له: إنى أريد أن أفارق صاحبتى.

فقال: ما لك؟ أرابك منها شيء؟

قال: لا و اللّه يا رسول اللّه، ما رأيت منها إلا خيرا، و لكنها تتعاظم على لشرفها، و تؤذينى بلسانها.

فقال له «صلى اللّه عليه و آله»: أمسك عليك زوجك، و اتق اللّه فى أمرها.

ثم طلقها زيد.

فلما انقضت عدتها، قال «صلى اللّه عليه و آله» لزيد: ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك، اذهب، فاذكرنى لها. (أو قال: اخطب على زينب).

قال زيد: فلما قال ذلك عظمت فى نفسى، فذهبت إليها، فجعلت ظهرى إلى الباب، فقلت: يا زينب أبشرى، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يخطبك (أو يذكرك).

ففرحت بذلك، و قالت: ما أنا بصانعة شيئا، أو ما كنت لأحدث شيئا حتى إذا أؤامر ربى عز و جل.

فقامت إلى مسجد لها فصلت ركعتين، و ناجت ربها، فقالت: اللهم إن رسولك يخطبنى، فإن كنت أهلا له، فزوجنى منه.

فنزل القرآن. و هو: .. فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها .. فجاء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى دخل عليها بغير إذن «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۱ و البحار ج ۲۲ ص ۱۷۷ و ۱۷۹ و راجع: أسد-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۳

و فى رواية: لما انقضت عدتها قال له: يا زيد، ائت زينب فأخبرها: أن اللّه سبحانه قد زوجنيها. فانطلق زيد، و استفتح الباب.

فقالت: من هذا؟

قال: زيد.

قالت: ما حاجة زيد إلى، و قد طلقنى؟!

فقال: أرسلنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

- الغابة ج ۵ ص ۴۹۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و ۳۲۱ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۸۹ و ۲۹۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۴۷۲ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۲۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۲ و راجع: السنن الكبرى ج ۷ ص ۵۷ و سنن النسائى ج ۶ ص ۷۷ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۰ و غرائب القرآن ج ۲۲ ص ۱۲ و ۱۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۶ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۰ و ۴۵ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۱۶ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۰ و ۲۰۱ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الطبرانى عن قتادة و أنس، و راجع ما رواه عن: ابن جرير، و عبد بن حميد عن مجاهد، و ما أخرجه عن ابن سعد و أحمد و النسائى، و أبى يعلى، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه عن أنس. و راجع: سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۲۱۷ و سنن النسائى ج ۶ ص ۷۹ و مسند أحمد ج ۳ ص ۱۹۵ و حياة الرسول و فضائله للنبهانى ص ۲۰۸ و حلية الأولياء ج ۲ ص ۵۲ و ۵۳ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۸۳ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۹۶ و ۳۹۷ و المنتظم ج ۳ ص ۲۲۶ و ۲۲۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۸- ۲۸۲ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۶۰۱ و ۶۰۲ و فى هامشه عن صحيح مسلم ج ۲ ص ۱۰۴۸ و الطبقات الكبرى ج ۸

ص ۱۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۴

فقالت: مرحبا برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ففتحت له، فدخل عليها و هى تبكى.

فقال زيد: لا- أبكى اللّه عينيك، قد كنت نعم المرأة، إن كنت لتبرين قسمى، و تطيعين أمرى، و تتبعين دعوتى، (و فى نص آخر: «تشبعين مسرّتى») فقد أبدلك اللّه خيرا منى.

قالت: من هو؟

قال: رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فخرت ساجدة «۱».

و ذكر البلاذرى: أن زينب لما بشرت بتزويج اللّه نبيه إياها، و نزول الآية فى ذلك، جعلت على نفسها صوم شهرين شكرا للّه، و أعطت من بشّرها حليا كان عليها «۲».

موقف عائشة من هذا الزواج:

و تذكر الروايات أيضا: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان جالسا يتحدث مع عائشة، فأخذته غشية، فسرى عنه، و هو يبتسم، و يقول: من يذهب إلى زينب، و يبشرها: أن اللّه قد زوجنيها من السماء، و تلا «صلى اللّه عليه و آله»: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ .. القصة كلها.

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۱ و ۵۲۰ و راجع: الإصابة ج ۴ ص ۳۱۳ و تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۰۶.

(۲) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۶ و الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۱۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۵

قالت عائشة: فأخذنى ما قرب و ما بعد، لما يبلغنى من جمالها. و أخرى هى أعظم الأمور و أشرفها، ما صنع اللّه لها، زوّجها اللّه من السماء. و قلت:

هى تفتخر علينا بهذا.

فخرجت سلمى، خادمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» تشتد، فتحدثها بذلك، فأعطتها أوضاحا عليها. كذا فى المنتقى.

قال: و كانت زينب تفتخر على أزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله» تقول: زوجكن أهاليكن، و زوجنى اللّه عز و جل من فوق سبع سموات «۱».

قالوا: و ما أولم على امرأة من نسائه أكثر و أفضل مما أولم على زينب، أولم عليها بتمر و سويق، و شاة ذبحها، و أطعم الناس الخبز و اللحم، فترادف الناس أفواجا، يأكل فوج فيخرج، ثم يدخل فوج، حتى امتد النهار، أطعمهم خبزا و لحما حتى تركوه «۲».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و الإصابة ج ۴ ص ۳۱۳ و المنتظم ج ۳ ص ۲۲۶ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۰۲ و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۴ و المحبر ص ۸۶ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۲۱۱ و البحار ج ۲۲ ص ۱۷۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۱۶۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۴۴ و مجمع البيان ج ۸ ص ۱۶۴ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۵ و دفع شبهة التشبيه ص ۶۰ و ۲۵۵ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۴ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۱۷ و ج ۲ ص ۳۴۸ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۵ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۷۰۴ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۱.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و البحار ج ۲۲ ص ۱۷۷ و راجع ص ۱۷۹ و تذكرة الفقهاء (ط قديمة) ج ۲ ص ۵۸۰ و مسالك الأفهام ج ۷ ص ۲۶ و ۲۷ و المغنى ج ۸ ص ۱۰۵ و جواهر الكلام ج ۲۹ ص ۴۷ و المجموع ج ۱۶ ص ۳۹۲ و الشرح-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۶

اللّه المزوج، و جبريل الشاهد:

لكن نصا آخر يقول: قالت زينب: خطبنى عدة من قريش، فبعثت أختى حمنة بنت جحش إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أستشيره، فأشار بزيد، فغضبت أختى، و قالت: أتزوج بنت عمتك مولاك؟! ثم أعلمتنى، فغضبت أشد من غضبها، فنزلت الآية، فأرسلت إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقلت: زوجنى ممن شئت، فزوجنى بزيد «۱».

و فى نص آخر عن مذكور مولى زينب، قالت: خطبنى عدة من أصحاب النبى «صلى اللّه عليه و آله»، (أو من قريش) فأرسلت إليه أخى يشاوره فى ذلك.

و فى نص آخر: أرسلت أختى حمنة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فقال: فأين هى ممن يعلمها كتاب ربها، و سنة نبيها؟!

- الكبير ج ۸ ص ۱۰۵ و نيل الأوطار ج ۶ ص ۳۲۱ و مستدرك سفينة البحار ج ۱۰ ص ۴۵۰ و مسند أحمد ج ۳ ص ۱۷۲ و ۲۲۷ و الفوائد المنتقاة ص ۸۵ و إرواء الغليل ج ۷ ص ۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۲ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۳ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۶۱۵ و السنن الكبرى ج ۴ ص ۱۴۹ و مسند أبى يعلى ج ۶ ص ۹۲ و ۱۸۰ و الآحاد و المثانى ج ۵ ص ۴۲۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۹ ص ۵۶ و ج ۱۱ ص ۲۰۲ و البداية و النهاية لابن الأثير ج ۵ ص ۲۲۶ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۰۷ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ۳۰۴ و مسند أبى الجعد ص ۲۱۸ و عون المعبود ج ۱۰ ص ۱۴۹ و فتح البارى ج ۹ ص ۱۹۴ و صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۴۹.

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۱۷۷ و تفسير مجمع البيان ج ۸ ص ۱۶۱ و راجع: الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۷

قالت: من؟

قال: زيد بن حارثة.

فغضبت حمنة غضبا شديدا و قالت: يا رسول اللّه، أتزوج ابنة عمتك مولاك؟ فأخبرتنى، فقلت: أشد من قولها، و غضبت أشد من غضبها، فأنزل اللّه تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...

فأرسلت إليه: زوجنى من شئت. فزوجنى منه. فأخذته بلسانى، فشكانى إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فقال له: إذن طلقها. فطلقنى فبت طلاقى، فلما انقضت عدتى، لم أشعر إلا و النبى «صلى اللّه عليه و آله» و أنا مكشوفة الشعر، فقلت: هذا أمر من السماء، دخلت يا رسول اللّه بلا خطبة و لا شهادة؟!

قال: اللّه المزوج، و جبريل الشاهد «۱».

المنافقون، و هذا الزواج:

و قالوا: «لما تزوجها تكلم فى ذلك اليهود و المنافقون، و قالوا: حرم نساء الولد، و قد تزوج امرأة ابنه، فأنزل اللّه عز و جل: فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۳ و المعجم الكبير للطبرانى ج ۲۴ ص ۳۹ و ۴۰ و البيهقى فى سننه، و ابن عساكر، من طريق الكميت بن زيـد الأسدى، قال: حدثنى مذكور الخ .. و حلية الأولياء ج ۲ ص ۵۱ و ۵۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۴۶ و ۲۴۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۰ ص ۲۳۰ و ۲۳۱ و كنز العمال ج ۱۲ ص ۱۴۰ و سنن الدار قطنى ج ۳ ص ۲۰۸ و السنن الكبرى ج ۷ ص ۱۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۸

وَطَراً زَوَّجْناكَها .. إلى قوله: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ..

الآية .. «۱».

وقفات مع حديث الزواج:

اشارة

و بعد .. فقد كانت تلك طائفة من نصوص قصة زواج زينب، و قبل أن نشير إلى بقية الروايات التى ترتبط بهذا الموضوع لا بد لنا من تسجيل بعض الملاحظات حول بعض ما ورد فيها، و الإشارة إلى ما لا بد لنا من الإشارة إليه، و ذلك ضمن وقفات هى التالية:

ألف: الكفاءة فى النكاح:

قـد ذكرت الروايات المتقدمـة: أن حمنـة و أخاها، و كـذلك زينب أبناء جحش قد غضـبوا حين عرض عليهم النبى «صـلى اللّه عليه و آله» تزويج زينب بزيد بن حارثة .. معتبرين أن ذلك يحط من شأنهم، من حيث إن لهم شرفا و نسبا لا يسمح بذلك.

هذا .. و قد يجد البعض فيما ينسب إلى زينب بنت جحش، من أنها

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۱۷۲ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۱۸ و راجع: تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۴ و ۱۷۵ و راجع: عيون الأـثر ج ۲ ص ۳۰۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و الدرجات الرفيعة ص ۴۳۸ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۴۲ و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۴ و تاريخ دمشق ج ۱۹ ص ۳۴۸ و المنتخب من المذيل ص ۵ و زوجات النبى ص ۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۵۹

سمعت و هى تقول: «أنا سيدة أبناء عبد شمس» «۱».

بل فى بعض الروايات: أنها قالت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، عن زيد: «لا أرضاه، و أنا أيم قريش» «۲». ما يدل: على أنها كانت ترى لنفسها مقاما لم يكن لها، و إنما ساقها إليه طموح غير متواز، و غير واقعى ..

و نقول:

أولا: إن هذا يعيد إلى ذاكرتنا ما يزعمونه: من أن خديجة «عليها السـلام» كانت متزوجة قبل رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» برجلين من أعراب بنى تميم. و قد كانت «عليها السـلام» أعظم قدرا و أشـرف نسـبا، و أجل موقعا من زينب بنت جحش، فكيف رضـيت هذه المرأة الشـريفة العاقلة التى كان كل أشراف، و أمراء قريش حريصا على الزواج منها «۳»، كيف تركتهم جميعا، ثم اختارت أعرابيا من بنى تميم، ليكون زوجا لها، و أبا لأولادها؟!

مع أن زيـد بن حارثة أشـرف منزلا، و أعلى كعبا من ذينك الرجلين التميميين، المجهولين، المزعومين، اللذين لا يعرف عنهما الشـيء الكثير، بل إن اسم أحدهما غير معروف و لم يستطع التاريخ أن يفصح عنه بصورة دقيقة «۴».

---

(۱) السمط الثمين للمحب الطبرى (ط حلب) ص ۱۲۹.

(۲) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۸ ص ۱۰۱.

(۳) الإستغاثة ج ۱ ص ۷۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱ ص ۹ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۵۸.

(۴) راجع: بنات النبى أم ربائبه (ط سنة ۱۴۲۳ ه) ص ۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۰

هذا بالإضافة: إلى أن زيدا كان قد نال شـرف الانتساب إلى رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» بالتبنى، و الأهم من ذلك أنه ظفر بحب رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» حتى دعى ب «زيـد الحب». و قـد آخى النبى بينه و بين حمزة بن عبد المطلب، و إليه أوصـى حمزة حين أراد القتال يوم أحد.

ألا يدل ذلك على: كذب ما زعموه من زواج خديجة برجلين من الأعراب ليس لهما اسم، و لا رسم، و هى تلك الدرة الفريدة الغالية فى تاج قريش كلها؟!

ثانيا: إن غضب أبناء جحش من موضوع زواج زينب من زيد قد ارتكز إلى عناوين لا أهمية و لا دور لها فى حياة الناس.

و إنما أوجدتها و غذتها عنجهيات جاهلية فارغة، و خواء و تخيلات باطلة، و أفكار سقيمة و تحديدات خاطئة لمعنى القيمة الإنسانية.

و هى مفاهيم قـد حاربها الإسـلام فى كل مجال ظهرت فيه، حتى فى موضوع العلاقات الاجتماعيـة، و منها موضوع الزواج، الـذى أراد لمفهـوم الكفـاءة فيـه أن يختـزن معنى إيمانيـا يـوحى بـالمفهوم الصـحيح لمعنى القيمـة الإنسانيـة، الـذى يفـترض أن تحكم العلاقـات الاجتماعية: نشوءا، و حيوية و ثباتا.

و من هنـا نلاحـظ: أنه «صـلى اللّه عليه و آله» قـد رفض المفهوم الجـاهلى الـذى فرض نفسه على قرار أبناء جحش، و أثار فى داخلهم عاصـفة من الغضب. و أفهمهم «صـلى اللّه عليه و آله»: أن الإيمان و التقوى، و العلم، و العمل بكتاب اللّه، و بسنة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، هو القيمة، و هو المعيار لقياس صلاح البشر، و تحديد مكانتهم ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۱

و أمـا الأنسـاب و الانتسـاب، فإنهـا تنتهى فى أحيـان كثيرة إلى إثـارة كوامن العصبيـات، التى يكون قوامها الاعتزاز بالعرق، و الارتباط بالآخرين من خلاله، و تحديد الأولويات و الامتيازات على أساسه.

رغم أن الإنسان لم يكن له أى دور فى اختيار العرق و العشيرة، أو فى اختيار اللون و الطول، و .. و .. أو فى اختيار التخلص منه ..

بل هو أمر مفروض عليه، كما أنه ليس له أى تأثير يذكر فى صـياغة الشخصية الإنسانية، و اختيار ميزاتها، و بلورة خصائصها، و تحديد معالمها ..

و بـذلك يكون «صـلى اللّه عليه و آله» قـد كسـر عنفوان النزعات الطبقية، و أسـقطها بصورة عملية، و بقرار إلهى صارم، فإن التفاضـل إنما هو بالتقوى، فلا مجال للتفضـيل بغير ذلك، فاعتبار من جرى عليه رق ثم تحرر لا يكافئ من لم يجر عليه رق حتى لو كان أفضـل منه علما و زهدا، و تقوى، و استقامة، ما هو إلا تمييز طبقى مرفوض فى منطق الإسلام و القرآن.

ب: ما كان لهم الخيرة:

و قد ذكرت الروايات: أن قوله تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ .. «۱» قد نزلت ردا على رفض زينب الزواج من زيد، و فرضت عليها أن تتزوج به، فرضخت للأمر الإلهى بالرغم عنها.

و السؤال هو: لماذا حرمت زينب من حقها فى أن تختار لنفسها، و كيف

---

(۱) الآية ۳۶ من سورة الأحزاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۲

نجيب على الأسئلة التى تثار حول صحة و سلامة أسلوب كهذا؟.

و نجيب:

أولا: إن نزول آية: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً .. فى زينب بنت جحش غير ثابت على نحو القطع.

فقد ورد: أن هذه الآية نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط، التى كانت قد و هبت نفسها للنبى، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: قد قبلت، و زوّجها زيد بن حارثة.

فسخطت هى، و أخوها، و قالا: إنما أردنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فزوجنا عبده!! فنزلت الآية «۱».

و روى أيضا: أنها نزلت فى خطبة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لجليبيب امرأة من الأنصار، فأبت أمها، فنزلت الآية «۲».

---

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۱۷۷ عن ابن زيد، و أنوار التنزيل للبيضاوى ج ۴ ص ۱۶۳ و التبيان ج ۸ ص ۳۴۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۱ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۱ عن ابن أبى حاتم، و تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۰۴ و ۴۰۵ و لباب النقول ص ۱۵۹ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۸۳ و تاريخ المدينة ج ۲ ص ۴۹۳ و مجمع البيان ج ۸ ص ۱۶۱ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۱۰ و تفسير الجلالين ص ۶۴۱ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۳۳ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۱۳ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۷۰ و ۴۹۷.

(۲) راجع تفصيل هذه القصة فى: مسند أحمد (طبعة الحلبى) ج ۳ ص ۱۳۶ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۱۳ و ۵۱۴ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۱ ص ۲۵۶ و الإصابة ج ۱ ص ۲۴۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۷۰ و ۴۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۳

و لعل السبب فى التشدد فى هذا الأمر، هو: أنها إذا كانت قد و هبت نفسها له «صلى اللّه عليه و آله»، فإن مقتضى الهبة هو: أن يتصرف الموهوب له بالهبة كيف يشاء، فلا معنى لغضبها من أمر هى أوجدت له المبرر، و هيأت له صفة المشروعية! و هل كانت تمزح حين أقدمت على هبة نفسها لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

على أن من يقدم على أمر، فإن عليه أن يتحمل تبعاته، حتى لو كان جاهلا بها، فإن من يشرب السم، لا بد أن يموت حتى لو كان جاهلا بكونه سما .. كما أن من يفطر عامدا عالما بالحرمة فى شهر رمضان، فإن عليه الكفارة حتى لو لم يعلم مقدارها.

و أما ما اعتذرت به تلك المرأة من أنها أرادت نفس الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، فهو غير مقبول منها، لأن الواهب لا يحدد للموهوب كيفيات تصرفه بما ملّكه إياه.

ثانيا: إنه حتى لو كانت الآية قد نزلت فى زينب بنت جحش، فإن ذلك لا ينافى العدل، و لا يخرج زينب عن دائرة الاختيار إلى الإلجاء و الاضطرار، فإن ما فعله الرسول «صلى اللّه عليه و آله» ما زاد على أن خطب زينب لزيد، و قد أخبرها «صلى اللّه عليه و آله»: أنه قد رضيه لها.

و قد صرحت بعض النصوص: أنها كانت هى التى طلبت من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يختار لها من شاء، و أنها قالت: زوجنى من شئت، فأشار بزيد.

فكيف يصح منها هذا التفويض لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أو التوكيل، ثم ترفض ما صنعه ذلك المفوّض و الوكيل؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۴

حتى لقد صرحت فى بعض النصوص: بأنها لا ترضى من رضيه النبى «صلى اللّه عليه و آله» لها.

يضاف إلى ذلك: أن هناك صراحة ظاهرة و متضافرة فى الروايات الكثيرة بأن سبب رفضها لزيد هو تكبرها عليه، و اعتدادها بنفسها، و بشرف نسبها.

كما أن بعض الروايات قد ذكرت: أنها رفضته رغم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد بين لها فيه خصوصية رائعة يرغب المؤمنون الصالحون فى مثلها، و ذلك حين قال: أين هى ممن يعلمها كتاب ربها، و سنة نبيها؟!

فكل ذلك يشير: إلى أن من يكون على هذه الحال، و يبلغ به الأمر إلى حد أنه يسخط و يغضب من أمر رضيه له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

فإنه يستحق التأديب، و يحتاج إلى تربية، ليستفيد الآخرون درس الطاعة و الانقياد لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فأنزل اللّه على رسوله «صلى اللّه عليه و آله»: أن هذه المرأة قد أصبحت محكومة بحكم يتناسب مع حالها، و يلائم تصرفاتها، و هو وجوب القبول بالزواج ممن رضيه الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، و ليس لها أن تسخط شيئا رضيه اللّه و رسوله.

و هذا الحكم الإلزامى لا يخرجها عن صفة الاختيار- كما أن إيجاب الصلاة على المكلف لا يوجب ذلك- بل هى قادرة أيضا على الطاعة و على العصيان، و لأجل ذلك قال تعالى مباشرة: .. وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۵

ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً «۱».

كما أن هذا البيان يوضح: أن تزويج زينب من السماء ليس لأجل فضل استحقته، بل هو بمعنى: أن هذا الأمر قد قضاه اللّه، و ألزمها به، و فرضه عليها لأجل تكبرها و لغير ذلك و سيكون من فوائده إبطال أمر التبنى، فإذا خالفته فإنها تكون عاصية، و تكون قد عرّضت نفسها للضلال، و من ثم للوبال. كما سيأتى توضيحه إن شاء اللّه.

فاتضح: أن الصحيح هو كون هذه الآية مرتبطة بالآيات التى سبقتها، لتفيد: أن التشريعات المشار إليها، لا يراد بها الإضرار بأحد من الناس، بل هى لمصلحة الجميع، فلا بد من إطاعتها .. كما أنه إذا أمر اللّه و رسوله بأمر تدبيرى فلا بد من إطاعته، و ليس لأحد أن يعترض بشىء.

ج: المعلم لكتاب اللّه أولى:

و لا يفوتنا هنا الإشارة إلى: الأهمية التى يوليها الإسلام للمعرفة بكتاب اللّه، و بسنة النبى .. حيث أطلق «صلى اللّه عليه و آله» كلمته التى دلت على:

۱- ضرورة السعى من المرأة و الرجل على حد سواء إلى تعلم الكتاب و السنة.

۲- أرجحية من يعلم كتاب اللّه و سنة النبى «صلى اللّه عليه و آله» على غيره، فيما لو دار الأمر بينهما، حتى لو كان ذلك الغير ذا نسب شريف، و مقام منيف.

---

(۱) الآية ۳۶ من سورة الأحزاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۶

۳- إن العلم الشريف هو ذلك الذى يعرّف الإنسان بشرائع اللّه و أحكامه، و بكل المعانى التى يريد اللّه للبشر أن يطلعوا عليها، أما سائر العلوم مثل علم الفلك و الحساب و الفيزياء مثلا، فليست فى مستوى علم الدين و الشريعة، و نحو ذلك مما تكفل ببيانه كتاب اللّه، و سنة نبيه «صلى اللّه عليه و آله».

د: زيد يراجع النبى صلّى اللّه عليه و آله فى طلاق زينب:

اشارة

و عن مراجعة زيد لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى طلاق زينب، مع أنه قد كان بإمكانه أن يبادر إلى طلاقها، من دون مراجعة.

نقول:

لعله قد جاء على سبيل التأدب مع الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله». فإن زيدا يدرك أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» فضلا عن كونه قد تبناه، فإنه كان له بمثابة الوالد الرحيم، و هو الصادق الأمين، و الحريص على دلالته على الخير و الرشاد، و هدايته إلى الحق و السداد.

و هو بالإضافة إلى ذلك نبيّه الذى تجب طاعته عليه، و سيّده الذى غمره بإحسانه إليه، و هو الناصح الشفيق، و المعالج الرفيق، و الحبيب الصديق، و الهادى إلى سواء الطريق.

بالإضافة: إلى أنه هو «صلى اللّه عليه و آله» الذى خطبها له، و زوّجه إياها، و هو الحاكم و القاضى، الذى لا بد أن يستمع لشكواه و شكواها، كما أنه المرجع لها ليمنع عنها أذاه، و المؤمل له ليدفع عنه أذاها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۷

إفتخار زينب على نساء النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و من حديث افتخار زينب على نساء الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، بأنهن زوجهن آباؤهن، أما هى فزوجها اللّه سبحانه، نقول: إنه موضع شك كبير، إذ قد ذكرت الروايات: أن أخاها أبا أحمد بن جحش هو الذى زوجها «۱».

و أما قوله تعالى: زَوَّجْناكَها فيراد به الإذن بذلك و ليس التزويج الذى ينتزع منه معنى التكريم و الفضيلة لها.

ه: أمسك عليك زوجك:

اشارة

و قد أمر الرسول «صلى اللّه عليه و آله» زيدا: بأن يمسك عليه زوجه، و لا يطلقها، و ليس فى هذا الأمر إلزام و إيجاب، بل هو أمر رفق، و محبة، و رعاية. فلا تحرم مخالفته، إذا آثر زيد أن لا يعمل بالرفق و المحبة، حين يرى أن اللجوء للعمل بالرخصة أيسر عليه.

و لو كان الأمر بالإمساك إلزاميا، لكان يجب أن يعترض رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على زيد حين يجرى ذلك الطلاق. هذا إذا لم يكن الأولى الحكم ببطلان ذلك الطلاق من الأساس.

أخطاء منشؤها الجهل:

زعم بعضهم: أن زيدا، كان يدعى زيد بن محمد، فخفف ذلك عنها إلى حد كبير، إذ قالت: و من أعز من زيد بن محمد، و لهذا استمرت العشرة بينهما فى بداية الأمر، حتى أبطل اللّه التبنى، فصار يقال لزيد: زيد بن

---

(۱) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۲۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۸

حارثة، بدلا من زيد بن محمد، و من هنا نشأت بينهما جذور الخلاف، و أخذت تترفع على زيد. و قد فطن زيد لهذا الأمر بلباقة، و لم تكن نفسه الكريمة هينة عليه، فحاول التخلص منها، و عدم إزعاجها الخ ..

و نقول:

إن زواج زينب بزيد قد كان بعد نزول سورة الأحزاب التى تضمنت إلغاء التبنى، و قد مكثت زينب عند زيد حوالى سنة، ثم طلقها فتزوجها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى السنة السادسة.

كيف تمت الخطبة؟!

و المراجع لروايات زواج زينب بزيد يلاحظ: أن فيها الكثير من التناقض، و يستطيع القارئ الكريم أن يتلمس هذا الأمر من خلال المراجعة للروايات، و المقارنة بينها.

و كمثال على ذلك نذكر:

أنها تارة تقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أرسل عليا ليخطبها لزيد.

و أخرى تقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» ذهب بنفسه و خطبها له «۱».

و ثالثة، تقول: إنها هى التى أرسلت إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله».

و رابعة: .. الخ ..

كما أن بعضها يقول: إن آية: إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً. قد نزلت فى زينب و زيد.

---

(۱) راجع على سبيل المثال: تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۶۹

و أخرى تقول: نزلت فى جلبيب و امرأة أنصارية.

و ثالثة تقول: إنها نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة.

و على هذه فقس ما سواها.

و: و اتق اللّه:

و أما قول النبى «صلى اللّه عليه و آله» لزيد «رحمه اللّه»: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، فلا يدل على أن طلاق زينب قد أصبح حراما على زيد.

كما لا يدل قوله: وَ اتَّقِ اللَّهَ على: أن زيدا يظلم زوجته، و يعاملها بالسوء، و لا يتقى اللّه فيها.

بل المقصود هو: الدعوة إلى معاودة التجربة الإصلاحية معها، مع التزام جانب الدقة فى معاملتها، فلا يكون تصرفه إنفعاليا، بحيث

يكون فيه شيء من التفريط و العجلة، فتتعرض هى للمضايقة، أو يلحق بها اللوم، على أمر كان يمكن التغاضى عنه، أو التسامح فيه.

بل لا بد من رصد الموضوع، على أساس تطبيق كل مفردة من مفرداته على أحكام الشرع الحنيف، فلعل ما يعانيه منها لا يبلغ حد الإضرار بحقوقه الشرعية، أو لا يصل إلى حد أن تكون عاصية للّه فيه، و إن كان يسبب لزيد بعض الضيق أو الحرج فى حياته العملية .. فكأن اللّه تعالى يقول لزيد: إنه إذا أراد أن يعاملها على أساس الحسابات الدقيقة، و الأخذ بمر الحق و من دون أى إغماض أو تسامح، أو رفق، أو تفضل، فإن عليه أن ينتظر من اللّه تعالى مثل ذلك. أما إذا اتقى اللّه، و عاملها بالرحمة، و بالرفق و الإغماض، فإنه سوف يلقى نفس المعاملة عند

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۰

اللّه سبحانه أيضا.

و لا بد للرسول «صلى اللّه عليه و آله» من أن يتصرف مع زيد على هذا النحو، رغم أنه يعلم أن الأمر سينتهى إلى الطلاق بينهما، و يعلم بأنها ستكون بعد ذلك من زوجاته. لأن عليه «صلى اللّه عليه و آله» أن يتعامل مع الأمور لا بعلم النبوة، و إنما وفق ما قرره الشرع الشريف، و حسبما تفرضه طبيعة ظواهرها، التى لها أحكامها و سننها التى تجب مراعاتها.

ز: مكانة زيد لدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و قد ذكرت الروايات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر زيدا بأن يكون هو الذى يخطب له زينب .. فيطيع زيد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يخطبها له ..

و المثير للانتباه هنا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يوسط نفس الرجل الذى كان إلى وقت قريب زوجا لنفس هذه المرأة. و هذا أمر غير مألوف، بل هو غير مستساغ عند الناس عادة، لأنهم إنما يتعاملون بمنطق الشهوات، و نظرات الريب، التى تختزن معان كدرة، و ذات روائح كريهة، و موبوءة، فإن الذى كان زوجا لامرأة مّا يحمّل نظرته إلى المرأة التى طلقها من الخيالات و التصورات للحالات التى كانت فيها معه .. ما يكبت عنفوانها، و يؤذى به كبرياءها، و يجرح به روحها و مشاعرها ..

كما أن الذى يريد أن يكون الزوج الجديد لهذه المرأة لن يكون مرتاحا حينما تقتحم مخيلته صور عن زوجة كانت فى عصمة رجل آخر، بل لا بد أن تؤذى تلك الصور روحه، و ترهق مشاعره، مهما حاول التخلص منها،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۱

و إبعادها عنه، و الابتعاد عنها ..

و لكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى روحه الصافية، و الفانية فى اللّه تعالى. و التى لا ترى إلا الحق و الخير، و لا تتأثر بأى من الأجواء التى تثيرها الغرائز و الأهواء، و الإثارات المجانبة لرضا اللّه تعالى.

نعم، إن هذا النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» قد قدم النموذج الأكمل و الأمثل للإنسان الإلهى، الذى يريد أن يعلم الناس الحق، و أن يسهّل عليهم الخضوع له، و الانصهار به و فيه .. فيرسل زيدا، بالذات ليخطب له زينب بنت جحش، فى إشارة واضحة منه «صلى اللّه عليه و آله» إلى معرفته بطهر ضمير زيد، و سمو نفسه، و بصفاء إيمانه، و خلوص نيته.

كما أنه «صلى اللّه عليه و آله» ليس فقط لم يتضايق من حضور زيد الدائم عنده، و من قربه منه، بل بقى القريب و الحبيب، الذى يشتاق إليه، و يزداد تعلقه به، و حدبه عليه. و قد كان و لا يزال الأثير عنده، و المكين لديه.

ح: زيد العفيف و التقى:

و تقول الروايات: إنه حين جاء زيد ليخطب زينب لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أظهر: أنه ذلك الرجل التقى الغضيض البصر، العفيف الضمير، الصافى الإيمان، الذى يرسله الرسول «صلى اللّه عليه و آله» لخطبة امرأة كانت زوجة له، فلا يمد عينيه إليها، ليتبصر حالها بعد أن تركها، بل يوليها ظهره، و لا يستهين، و لا يستخف بها، بل تعظم فى نفسه.

و لكن المفاجأة الكبرى، التى تحمل معها أعظم الخزى، و أبشع صور الإسفاف البشرى، أن يجترئ صنّاع الأساطير على اختلاق روايات أخرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۲

تصور أعظم نبى، و أكرم مخلوق، و أفضل موجود فى هذا العالم، و هو خاتم الأنبياء «صلى اللّه عليه و آله» و عين اللّه، و خيرة اللّه و صفوته،- تصوّره- يمد عينيه إلى الأجنبيات، ليخون نفس ذلك الرجل العفيف فى نفس هذه المرأة التى كانت فى عصمته، فينظر إليها بعين الريب، و يقع فى حبالة حبها، بل هو يقتحم عليها إلى داخل دارها فيراها و هى تغتسل .. إلى غير ذلك من تفاصيل حملت قذارات أنفس صانعيها، الذين ضمّنوها كل ما قدروا عليه من ترّهات و أباطيل، و أعظم الإساءات لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. بل إنهم ليذكرون: أن هذا النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»،- و هو أغير الناس- يرضى بأن تبقى زوجته فى ليلة عرسها جالسة و حدها بين الرجال، و يخرج هو ليطوف على حجر نسائه .. فضلا عن رواياتهم حول إصرار عمر بن الخطاب عليه بأن يحجب نساءه، فلا يستجيب له.

ط: زوجناكها:

و قد جاء التعبير القرآنى لينسب التزويج بزينب إلى مقام العزة الإلهية، حيث قال تعالى: .. فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها ...

ثم جاءت الروايات لتتحدث عن افتخار زينب على سائر نسائه «صلى اللّه عليه و آله» بأن اللّه قد زوجها من السماء، دونهن ..

غير أننا نقول:

أولا: إن هذا التزويج الإلهى لم يأت إجلالا لزينب، و تقديرا لها على أمر اختارته، و طاعة قدمتها، أو ميزة تفردت بها، ترتبط بإيمانها، أو بأخلاقها، أو عمل قدمته كان فيه رضا اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۳

و ذلك، لأن الآية قد صرحت: بأن سبب هذا التزويج هو: .. لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ...

ثم أكد هذا المعنى بقوله: ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ...

فإذا كان هذا هو السبب، فلا مجال لاستفادة التكريم من تزويج كهذا، و لا سيما إذا كان اقتلاع هذا المفهوم الجاهلى يحتاج إلى ممارسة عملية، و إلى تدخل إلهى مباشر.

ثانيا: إن زينب، و إن كانت قد حاولت أن تدّعى لنفسها هذه الفضيلة، و ساعدتها على ذلك صاحبتها عائشة، إلا أنها كانت محاولة فاشلة؛ إذ ليس فى الآية ما يدل على أن اللّه تعالى هو الذى تولى إجراء العقد له «صلى اللّه عليه و آله» عليها فعلا، بل الآية تقول: إننا هيأنا لك أسباب الزواج منها من حيث إننا أصدرنا الإذن، و الأمر لك بذلك.

فإذا كان ثمة عقد فى السماء، فهو يحتاج إلى نص آخر لإثباته. و ليس فى البين سوى الرواية التى ذكرت: أن الإمام الرضا «عليه السلام» قد قال لعلى بن الجهم فى مجلس المأمون، بعد أن ألزم أصحاب المقالات الحجة: «إن اللّه عز و جل ما تولى تزويج أحد من

خلقه إلاـ تزويـج حوا من آدم، و زينب من رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» بقوله: .. فَلَمَّا قَضـى زَيْدٌ مِنْهـا وَطَراً زَوَّجْناكَها .. الآيـة. و فاطمة من على» «۱».

---

(۱) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۷۲ و الأمالى للصدوق (ط سنة ۱۴۱۰) ص ۸۴ و البحار ج ۱۱ ص ۷۴ و ج ۲۲ ص ۲۱۸ و مستدرک سفينة البحار ج ۴ ص ۳۱۹-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۴

و لكنها رواية: لا تثبت من ناحية السند.

بل لو صح الاستناد إليها فى تحديد أن المراد من قوله تعالى:

زَوَّجْناكَها هو التزويـج من قبله، فهى لا تـدل على أنه لأجل التكريم؛ لأن الآيـة حين حـددت سـبب هذا التزويج، و أنه هو القضاء على المفهوم الجاهلى البغيض، و ليس هناك أى داع آخر.

و من جهـة أخرى، فإن هذه الرواية: صـريحة بتكذيب ما يدّعونه من أن اللّه قد زوج حفصة ممن هو خير من عثمان، و أعنى به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و زوج عثمان من هى خير من حفصة، و هى بنت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

ثالثا: إنه إذا كـان اللّه تعـالى قـد تولى تزويـج زينب، ثم جاء «صـلى اللّه عليه و آله» و دخل عليها من غير إذن، فما معنى إرسال النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» زيدا ليخطب له زينب؟!

ملاحظـة: و اللاـفت هنـا: أن خديجـة بنت خويلـد التى هى من النسـاء الأـربع اللواتى كملن من بين سائر نساء البشـر، لم تنزل آيـة فى تزويجها من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و يلى خديجة فى الفضل أم سلمة، ثم

- و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۸۱ و قصص الأنبياء للجزائرى ص ۱۵ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۹۹۵ و مجمع البحرين للطريحى ج ۳ ص ۱۹۷ و مسند الإمام الرضا للعطاردى ج ۲ ص ۹۵ و حياة الإمام الرضا «عليه السلام» للقرشى ج ۱ ص ۱۵۵ و الصافى ج ۴ ص ۱۹۲.

(۱) كنز العمال ج ۱۱ ص ۵۸۹ و ج ۱۳ ص ۶۹۸ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۵

ميمونة بنت الحارث الهلالية، و لم ينزل فى تزويجهن برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» آية قرآنية كما كان الحال بالنسبة لزينب .. فلو كان فى هذا التزويج تكريم، فقد كان هؤلاء النسوة الكريمات أولى به من زينب فليلا حظ ذلك.

ى: جمال زينب فى حسابات عائشة:

إن عائشـة تعترف: بأنها لما علمت بموضوع زينب بنت جحش أخـذها ما قرب و ما بعد، لما يبلغها من جمالها، و أزعجها ما توقعته من افتخارها عليها بتزويج اللّه لها من السماء.

و من جهـة أخرى: فإن عمر بن الخطاب قد صـرح بامتياز زينب على حفصة و غيرها فى خصوصـية الجمال، فقال لا بنته حفصة: «ليس لكِ حظوة عائشة، و لا حسن زينب» «۱».

و نقول:

إن الملاحظ هو: أن عائشة لا تهتم بالنواحى الإنسانية و الإيمانية فى نظرتها للأمور و فى سياسـتها فى بيت رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»، بـل تهتم بمـا يبلغها من جمال ضـرتها، و تهتم أيضا، بأن لضـرتها ما تفتخر به عليها، من حيث نزول آيـة قرآنيـة تتحـدث عن أمر

زواج الرسول «صلى اللّه عليه و آله» بها.

مع أن هذه أمور دنيوية بحتة، و قد فرضتها الظروف على زينب، و لم يكن لزينب أى اختيار أو قرار فيها. و لكن أم سلمة كان كل همها هو أن

---

(۱) الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۸ ص ۱۳۷ و ۱۳۸ عن فتح البارى ج ۹ ص ۲۳۱- ۲۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۶

تكون فى موقع رضا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فطلبت من الرسول أن يدعو اللّه ليذهب عنها الغيرة، لكى لا يصدر منها أى شىء، يزعج أو يسىء إلى الرسول «صلى اللّه عليه و آله».

كما أن خديجة هى التى تندفع إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و تعمل على الاقتران به، من أجل مزاياه الإنسانية، و حبا بخصال الخير فيه.

و أما حديث عمر فإنه: و إن كان يتضمن اعترافا بحسن زينب، غير أننا نظن: أنه قد جاء لتأييد موقف عائشة، بادّعاء الحظوة لها عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بهدف إعطائها المزيد من النفوذ، و الهيمنة على قلوب الناس، خصوصا و أنها تمثل حاجة ملحة للحكام بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لتأييد مشاريعهم، و تقوية شوكتهم.

و قد كانت عائشة شخصية جريئة، حتى إنها لتقود الجيوش لحرب أقدس رجل بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لها قدراتها على إنجاز هذا المهم لهم، و التى سيكون لها نصيب منه معهم .. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۱۴ ۷۶ الإفتئات على الرسول صلى الله عليه و آله: ..... ص : ۷۶ قال الحلبى الشافعى: «ذكر مقاتل (رض): أن زيد بن حارثة (رض) لما أراد أن يتزوج زينب جاء إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و قال: يا رسول اللّه اخطب علىّ.

قال له: من؟

قال: زينب بنت جحش.

قال: لا أراها تفعل. إنها أكرم من ذلك نفسا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۷

فقال: يا رسول اللّه، إذا كلمتها أنت، و قلت: زيد أكرم الناس علىّ، فعلت.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: إنها امرأة لسناء.

فذهب زيد رضى اللّه تعالى عنه إلى على كرم اللّه وجهه، فحمله على أن يكلم له النبى «صلى اللّه عليه و آله».

فانطلق معه إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فكلمه، فقال: إنى فاعل ذلك، و مرسلك يا على إلى أهلها فتكلمهم، ففعل. ثم عاد أمره بكراهتها، و كراهة أخيها ذلك.

فأرسل إليهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» يقول: قد رضيته لكم، و أقضى أن تنكحوه. فأنكحوه، و ساق لهم عشرة دنانير الخ ..» «۱».

و نقول:

أولا: إننا نرتاب فى بعض فقرات هذه الرواية، و نعتقد: أنها لا تصدر عن رسول اللّه، مثل قوله «صلى اللّه عليه و آله»: «لا أراها تفعل، إنها أكرم من ذلك نفسا» فإن المعيار الذى جاء به القرآن، و قرره الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، و ألزم غيره، و التزم به هو: قوله تعالى: .. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ ...

و الرسول «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى يقول: «إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه، و إلا- تفعلوا تكن فتنة فى الأرض و فساد

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۸

كبير» «۱».

و قرر: أن معيار الكفاءة فى النكاح هو الإسلام و الإيمان.

ثانيا: إن هذا يعارض ما رووه، من أنها أرسلت إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» تستشيره فى أمر زواجها. بعد أن خطبها عدة أشخاص من صحابته «صلى اللّه عليه و آله».

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أين هى ممن يعلمها كتاب ربها، و سنة نبيها؟! «۲».

ثالثا: إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يريد لها أن تتزوج بمن تختاره، و يعلم أنها لا تختار زيدا، و كان ذلك هو سبب امتناعه عن طلبها لزيد، فلماذا أقدم على إرسال على «عليه السلام» إليها، ليطلبها لزيد بالذات؟! فإنه لم يتغير شىء من ذلك قبل توسط على «عليه السلام» و بعده.

و إن كان يريد فرض الزواج عليها بزيد، فلماذا أرجعه خائبا فى المرة الأولى، ثم استجاب له بعد توسط على «عليه السلام» له عنده «صلى اللّه عليه و آله»؟!

(۱) الدر المنثور ج ۱ ص ۲۵۷ و الثقات ج ۵ ص ۴۹۹ و تهذيب الكمال ج ۹ ص ۳۵۵ و كنز العمال ج ۱۶ ص ۳۱۸ و إعانة الطالبين ج ۳ ص ۳۰۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۹ ص ۴۷ و أحكام القرآن للجصاص ج ۱ ص ۴۸۷ و ج ۳ ص ۴۱۳ و إيضاح الفوائد ج ۳ ص ۲۳ و المعجم الأوسط ج ۱ ص ۱۴۲ و غوالى اللآلى ج ۳ ص ۳۴۰ و نيل الأوطار ج ۶ ص ۳۶۱ و المجموع ج ۱۶ ص ۱۸۳- ۱۸۸.

(۲) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۴۶ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۳۹ و سنن الدار قطنى ج ۳ ص ۲۰۸ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۰ ص ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۷۹

و أخيرا نقول:

قد يقال: إننا لم نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله» أكره أحدا على الزواج من أى كان، فلماذا أكرهها هى على ذلك بإصدار حكم قضائى عليها، دون كل من عداها من أقاربه، أو من غيرهن؟!

و يجاب: بأن من الممكن أن يفعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذلك، من خلال كونه «صلى اللّه عليه و آله» أولى بالمؤمنين من أنفسهم، و قد اقتضت مصلحة التشريع إعمال هذه الولاية فى خصوص هذا المورد.

مهر زينب و دلالاته:

قال بعضهم: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أصدق زينب حين تزوجها، أربع مائة درهم «۱».

و قد تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد ساق لها عشرة دنانير، و ستين درهما، و خمارا، و درعا، و إزارا، و ملحفة، و خمسين مدا من طعام، و ثلاثين صاعا من تمر «۲».

فلعله لا تنافى بين هذا و ذاك، إذ لعل قيمة المجموع تصل إلى أربع مائة درهم، و بذلك أيضا ترتفع المنافاة بينه و بين ما عن ابن إسحاق، من أن

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۴۶.

(۲) تقدم النص مع مصادره. و راجع أيضا: و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۹۹ و البحار ج ۲۲ ص ۱۷۷ و تفسير مجمع البيان ج ۸ ص ۱۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۸۰

صداق أكثر أزواجه أربعمائة درهم «۱».

و لكن قد روى عن عائشة: أن صداق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لأزواجه كان: اثنتى عشرة أوقية و نشا (أى و نصفا)، فذلك خمس مائة درهم «۲».

و هذا لا ينسجم مع ما تقدم عن ابن إسحاق، و ما ذكر عن صداق زينب!!

ثم إنه كيف يصح قول عائشة هذا أو غيره، و نحن نرى: أنهم يدّعون:

أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أصدق أم سلمة فراشا حشوه ليف، و قدحا «۳».

و أصدق «صلى اللّه عليه و آله» أم حبيبة شيئا «۴».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۴۶.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۹ ص ۴۸ و ج ۱۱ ص ۱۴۶ عن مسلم، و مستطرفات السرائر ص ۵۶۳ و الكافى ج ۵ ص ۳۷۵ و ۳۷۶ و وسائل الشيعة (الإسلامية) ج ۱۵ ص ۵ و ۶ و ۷ و ۸ و ۳۲ و البحار ج ۲۰ ص ۱۲ و ج ۲۲ ص ۲۰۵ و ج ۹۷ ص ۳۵۰ و مستدرك سفينة البحار ج ۱۰ ص ۴۵۳.

و راجع: مسند أحمد ج ۶ ص ۹۴ و صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۴۴ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۶۰۷ و شرح مسلم للنووى ج ۹ ص ۲۱۵ و المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۱۷۷ و كشف الخفاء ج ۱ ص ۳۸۸ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۵۰۶ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۶۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۳ ص ۲۰۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۶۴ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۱ ص ۳۳۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۳.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۴۶ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۵۹.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۸۱

و عند البلاذرى: أصدقها النجاشى أربع مائة دينار «۱». أو ما يعادلها و هو أربعة آلاف درهم «۲».

و أصدق ميمونة (أو أصدقها النجاشى عنه) أربع مائة دينار «۳»، و قيل:

مائتا دينار، أو أربعة آلاف درهم «۴».

بل إن صداق زينب بنت جحش بالذات موضع خلاف أيضا. فقد قال الماوردى: «قال الضحاك: فتزوجها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و كان يومئذ فى عسرة، فأصدقها قربة، و عباءة، و رحى اليد، و وسادة حشوها ليف «۵».

و هذا كله يعطينا: أن تعميمات عائشة. و كذلك تعميمات ابن إسحاق لا تصح، و لا مجال للاعتماد عليها.

---

(۱) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۹ و كشف الخفاء ج ۱ ص ۳۸۸.

(۲) راجع تحفة الأحوذى ج ۴ ص ۲۱۵ و عون المعبود ج ۶ ص ۹۵ و تذكرة الموضوعات ص ۱۳۳.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۴۶.

(۴) سبل الهدی و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۹۳.

(۵) تفسیر الماوردی ج ۴ ص ۴۰۶ و ۴۰۷.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۴،ص:۸۳

الفصل الثالث: اکاذیب و أباطیل فی حدیث زواج زینب

اشارة

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۴،ص:۸۵

ماذا یقول الأفّاکون؟!

و قد زعموا: أن زینب مکثت عند زید ما شاء اللّه، ثم إن النبی «صلی اللّه علیه و آله» أتی ذات یوم بیت زید، یطلبه، فلم یجده، و أبصر زینب قائمة فی درع و خمار، و کانت بیضاء جمیلة، ذات خلق، من أتم نساء قریش، فوقعت فی نفسه، فأعجبه حسنها. (و فی نص آخر: فهویها) فقال: سبحان اللّه مقلب القلوب، و انصرف.

و سمعت زینب التسبیحة، فلما جاء زید ذکرتها له، ففطن، فألقی فی نفسه کراهیتها، و الرغبة عنها فی الوقت. (أو فی وقت رآها رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله») فأتی رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله»، فقال: إنی أرید أن أفارق صاحبتی الخ .. «۱».

و فی نص آخر: فمکثت عنده ما شاء اللّه، ثم رآها النبی «صلی اللّه علیه

---

(۱) تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۵۰۱ و راجع: الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۳ عن عبد بن حمید، و ابن المنذر، عن عکرمة. و راجع: تفسیر الماوردی ج ۴ ص ۴۰۵ و أنوار التنزیل ج ۴ ص ۱۶۳ و غرائب القرآن (بهامش جامع البیان) ج ۲۲ ص ۱۲ و ۱۳ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۰ و جامع البیان ج ۲۲ ص ۱۸ و تاریخ الأمم و الملوک (ط مؤسسة الأعلمی) ج ۲ ص ۲۳۲ و زاد المسیر ج ۶ ص ۲۰۱.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۴،ص:۸۶

و آله» یوما متزینة فأعجبته، و رغب فی نکاحها لو طلقها زید، فأوقع اللّه کراهیتها فی قلب زید «۱».

و عن نوح بن أبی مریم، عن زینب: لما وقعت فی قلب النبی «صلی اللّه علیه و آله» لم یستطعنی زید، و ما امتنعت منه غیر ما یمنعه اللّه منی، فلا یقدر علیّ «۲».

و فی بعض الروایات: «أن زیدا تورم ذلک منه حین أراد أن یقربها» «۳».

و فی نص آخر: أنه «صلی اللّه علیه و آله» استأذن، فأذنت له و لا خمار علیها، فألقت کم درعها علی رأسها «۴».

و فی نص آخر أیضا: «أبطأ عنه یوما، فأتی رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» منزله یسأل عنه، فإذا زینب جالسة وسط حجرتها تسحق طیبا بفهر لها، فدفع رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» الباب، فنظر إلیها، و کانت جمیلة حسنة، فقال: سبحان خالق النور، و تبارک اللّه أحسن الخالقین. ثم رجع «صلی اللّه علیه و آله» إلی منزله، و وقعت زینب فی قلبه وقوعا عجیبا.

و جاء زید إلی منزله، فأخبرته زینب بما قال رسول اللّه «صلی اللّه علیه

---

(۱) حدائق الأنوار ج ۲ ص ۶۰۰ و ۶۰۳ و راجع: أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۴ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۰ و لیس فیها کلمة

«متزينة». و كذا فى جامع البيان للطبرى ج ۲۲ ص ۱۰.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۱ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۹ و ۱۹۵ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۳۵.

(۳) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۹ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۳۵.

(۴) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۴۷ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۴ و الآحاد و المثانى ج ۵ ص ۴۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۸۷

و آله»، فقال لها زيد: هل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلعلّك وقعت فى قلبه؟!

فقالت: أخشى أن تطلقنى، و لا يتزوجنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فجاء زيد إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: بأبى أنت و أمى، أخبرتنى زينب بكذا و كذا، فهل لك أن أطلقها حتى تتزوجها؟!

فقال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا، اذهب و اتق اللّه، و أمسك عليك زوجك ..».

إلى أن قال فى تفسير قوله تعالى: لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ ..، أى:

«لا يحل لك امرأة رجل أن تتعرض لها حتى يطلقها، و تتزوجها أنت، فلا تفعل هذا الفعل بعد هذا» «۱».

و فى نص آخر: «ثم وقع بصره عليها بعد حين، فوقع فى نفسه حبها، و فى نفس زيد كراهتها» «۲».

بل روى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» حين جاء إلى منزل زيد رأى امرأته تغتسل، فقال لها: سبحان اللّه الذى خلقك.

ثم ذكرت الرواية: أن المقصود هو تنزيه اللّه عن أن تكون الملائكة بنات

---

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۲۱۵ و ۲۱۶ و راجع فى هذا النص ما عدا الفقرة الأخيرة:

تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۲ و ۱۷۳ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۳۶ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۹۲ و ۳۹۳ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۶۳ و مجمع البيان المجلد الرابع (ط سنة ۱۴۱۲ ه) ج ۸ ص ۴۶۶.

(۲) تفسير الجلالين ج ۳ ص ۲۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۸۸

له، فراجع «۱».

و رووا أيضا: أن زيدا تشاجر معها فى شىء إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فنظر إليها النبى «صلى اللّه عليه و آله» فأعجبته.

فقال: يا رسول اللّه تأذن لى فى طلاقها فإن فيها كبرا، و إنها لتؤذينى بلسانها.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: اتق اللّه، و أمسك عليك زوجك، و أحسن إليها. ثم إن زيدا طلقها، و انقضت عدتها، فأنزل اللّه نكاحها على رسول اللّه الخ .. «۲».

و قيل: «لما جاء زيد مخاصما زوجته فرآها النبى، استحسنها، و تمنى أن يفارقها زيد حتى يتزوجها، فكتم» «۳».

و فى نص آخر: «لما تزوج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بزينب بنت جحش، و كان يحبها، فأولم الخ ..» «۴».

---

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۲۱۷ و الإحتجاج ج ۲ ص ۲۲۳ و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۱ و البرهان (تفسير) ج ۳ ص ۳۲۶ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۸۱ و ۲۸۲ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۹۴ و ۳۹۵ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۹۲ و قصص الأنبياء للجزائرى ص ۲۲.

(۲) البحار ج ۲۲ ص ۲۱۸ عن تفسير القمى ج ۲ ص ۱۹۴ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۸۰ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۹۱ و ۳۹۲ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۹۱.

(۳) التبيان ج ۸ ص ۳۴۴ و تفسير مجمع البيان ج ۸ ص ۱۶۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۹ و فتح القدير ج ۴ ص ۱۸۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۳۹.

(۴) البحار ج ۲۲ ص ۲۱۹ عن تفسير القمى ج ۲ ص ۱۹۵ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۹۹ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۸۹

و فى نص آخر يقول: «إنه «صلى اللّه عليه و آله» جاء لبيت زيد بن حارثة، فلم يجده، فقامت إليه زوجته زينب بنت جحش فضلا بسبب العجلة، و طلبت إليه أن يدخل، فأبى، «فأعجب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فولى، و هو يهمهم بشىء لا يكاد يفهم منه، إلا ربما أعلن: سبحان اللّه العظيم، سبحان مصرف القلوب».

فجاء زيد رضى اللّه عنه إلى منزله، فأخبرته امرأته: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أتى منزله، فقال زيد رضى اللّه عنه: ألا قلت له أن يدخل؟!

قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى.

قال: فسمعت شيئا؟

قالت: سمعته حين ولى تكلم بكلام، لا أفهمه، و سمعته يقول: سبحان اللّه، سبحان مصرف القلوب.

فجاء زيد رضى اللّه عنه، حتى أتى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: يا رسول اللّه، بلغنى أنك جئت منزلى، فهلا دخلت يا رسول اللّه! لعل زينب أعجبتك، فأفارقها؟!

فيقول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ.

فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم فيأتى لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيخبره، فيقول: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ.

ففارقها زيد، و اعتزلها، و انقضت عدتها، فبينا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» جالس يتحدث مع عائشة رضى اللّه عنها، إذ أخذته غشية، فسرى عنه و هو يبتسم، و يقول: من يذهب إلى زينب فيبشرها: أن اللّه زوجنيها من السماء؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۰

و تلا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ القصة ..

قالت عائشة: فأخذنى ما قرب و ما بعد لما يبلغنى من جمالها. و أخرى هى أعظم الأمور و أشرفها زوجها اللّه من السماء، و قلت: هى تفخر علينا بهذا» «۱».

عن عائشة قالت: «لو كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كاتما شيئا من الوحى لكتم هذه الآية: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ .. «۲».

---

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۱ و ۲۰۲ عن ابن سعد، و الحاكم، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۱ و ۲۳۲ و المنتظم ج ۳ ص ۲۲۵ و ۲۲۶ و راجع: مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۲۳ و ليس فيه أنه رآها فأعجبته، و تلخيصه للذهبى ج ۴ ص ۲۴ و المنتخب من ذيل المذيل ص ۹۹ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۰۲.

(۲) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۲ عن سعيد بن منصور، و الترمذى، و صححه، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۲۰ و ۵۲۱ و الجامع الصحيح للترمذى مطبوع مع تحفة الأحوذى ج ۹ ص ۵۲ و ۵۱ و ۵۰ و البحار ج ۱۶ ص ۳۹۴ و روح البيان ج ۷ ص ۱۸۰ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۱۱ و بهامشه غرائب القرآن ج ۲۲ ص ۱۳ و التبيان ج ۸ ص ۳۴۴ و أسد الغابة ج ۲ ص ۲۲۶ و المعجم الكبير ج ۴ ص ۴۱ و عصمة الأنبياء للرازى ص ۹۹ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۹۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۸۰ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۲۴ و ج ۲ ص ۲۱۱ و ۲۱۲ و زاد المسير ج ۶ ص ۲۰۲ و عن المصادر التالية:

و ضعيف سنن الترمذى ص ۴۰۴ و ۴۰۵ و فتح البارى ج ۸ ص ۴۰۳ و ج ۱۳ ص ۳۴۷ و صحيح مسلم ج ۱ ص ۱۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۱

و عن أنس: لو كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كاتما شيئا لكتم هذه الآية «۱».

و نظير ذلك روى عن الحسن أيضا «۲».

و روى نظير ذلك عن عمر بن الخطاب أيضا «۳».

و فى تفسير قوله تعالى: سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ .. يقولون:

«يقول: كما هوى داود النبى «عليه السلام» المرأة التى نظر إليها، فهويها، فتزوجها، فكذلك قضى اللّه لمحمد «صلى اللّه عليه و آله»، فتزوج زينب الخ ..» «۴».

و قال ابن قيم الجوزية، معقبا على قضية زواج النبى «صلى اللّه عليه و آله»، بعد رؤيته لها: «و هذا داود نبى «عليه السلام» كان تحته تسع

---

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۶ و السنن الكبرى ج ۷ ص ۵۷ عن أحمد، و عبد بن حميد، و الترمذى، و البخارى، و ابن المنذر، و الحاكم، و ابن مردويه، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۱ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۶۵ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۸۶ و مسند ابن راهويه ج ۴ ص ۴۲ و راجع: فتح البارى ج ۸ ص ۴۰۲ و ۴۰۳ و ج ۳ ص ۳۴۷.

(۲) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۳ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى و راجع: تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۰۶ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۱۰ و ۱۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۹ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۲.

(۳) تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۰۶ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۲.

(۴) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۳ عن عبد الرزاق، و الطبرانى، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم عن قتادة. و عن ابن المنذر، و الطبرانى عن ابن جريج.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۲

و تسعون امرأة، ثم أحب تلك المرأة و تزوجها، و أكمل بها المائة» «۱».

و عن ابن إسحاق، عن الشعبى: مرض زيد بن حارثة، فدخل عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يعوده، و زينب ابنة جحش امرأته جالسة عند رأس زيد، فقامت زينب لبعض شأنها، فنظر إليها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم طأطأ رأسه، فقال: سبحان اللّه مقلب القلوب و الأبصار.

فقال زيد: أطلقها لك يا رسول اللّه؟!

فقال: لا.

فأنزل اللّه عز و جل: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ..

إلى قوله: .. وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا «۲».

و فى نص آخر: أنه حين جاء النبى «صلى اللّه عليه و آله» يطلب زيدا كان على الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر، فانكشف، و هى فى حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها فى قلب النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فلما وقع ذلك كرّهت إلى الآخر، الخ .. «۳».

و قد وصف ابن الديبع الشيبانى هذا النوع من الروايات: بأنها ثابتة، و جعلها العلماء أصلا للحكم بثبوت بعض الخصائص له «صلى اللّه عليه

(۱) الجواب الكافى ص ۲۶۴.

(۲) سيرة ابن إسحاق ص ۲۶۲.

(۳) تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۲ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۱۰ و ۱۸ و راجع:

الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۰ و زاد المسير ج ۶ ص ۲۰۱ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۳

و آله» كما سيأتى «۱».

و قد ذكروا: «أن البلخى جوّز أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» استحسنها، فتمنى أن يفارقها، فيتزوجها، و كتم ذلك» «۲».

و على حد تعبير بعضهم: «و كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» حريصا على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو» «۳».

بل لقد ألف بعضهم كتابا فى العشق، و ذكر فيه عشق الأنبياء «عليهم السلام»، و ذكر فيه هذه الواقعة «۴» و قد استفاد خصوم الإسلام من هذه المرويات، و كذلك المستشرقون أيما استفادة، فراجع كلماتهم «۵».

نقد الروايات المتقدمة:

اشارة

و نقول:

(۱) حدائق الأنوار ج ۲ ص ۶۰۴.

(۲) البحار ج ۲۲ ص ۱۷۸ و راجع: تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۰۶ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۳ عن ابن جريج، و راجع: جامع البيان ج ۲۲ ص ۱۰ و مجمع البيان ج ۸ ص ۱۶۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۹ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۸۴.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۳۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۹.

(۴) زاد المعاد (مطبعة أنصار السنة المحمدية) ج ۳ ص ۳۱۷ و ۳۱۸.

(۵) راجع على سبيل المثال: تراث الإسلام تأليف عدد من المستشرقين، بإشراف (سير توماس أرنولد) ص ۳۶۴. و راجع: كتاب حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ص ۱۱۲ و محمد فى المدينة ص ۴۳۴ و ۵۰۲ و حياة محمد تأليف أميل در منغم ص ۲۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۴

إنه يرد على الروايات المتقدمة العديد من الإشكالات التى تظهر زيفها.

و نحن نذكر هنا ما تيسر لنا من هذه الإشكالات، و نجيب عنها، و ذلك على النحو التالى:

ألف: ما الذى يخفيه النبى صلّى اللّه عليه و آله فى نفسه؟!

اشارة

لقد ذكرت تلك الروايات: أن الذى كان يخفيه النبى فى نفسه. هو حب زينب، و إعجابه بها.

و على حد تعبير النيسابورى: «تعلق قلبه بها، أو مودة مفارقة زيد إياها، أو علمه بأن زيدا سيطلقها» «۱».

و على حد تعبير الرواية المنسوبة إلى ابن عباس، فى تفسير قوله تعالى:

وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ .. قال: أى حب زينب، و هى فى عصمة زيد «۲».

و هذا الكلام لا يمكن أن يصح، فلاحظ ما يلى:

أولا: إن الإمام السجاد «عليه السلام» قد كذّب هذه الروايات، فعن على بن زيد بن جدعان، قال: قال لى على بن الحسين: ما يقول الحسن (أى البصرى) فى قوله: وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ..؟!

فقلت له .. «۳».

فقال: لا، و لكن اللّه أعلم نبيه «صلى اللّه عليه و آله»: أن زينب رضى

---

(۱) غرائب القرآن ج ۲۲ ص ۱۳.

(۲) راجع: تفسير البغوى بهامش تفسير الخازن ج ۵ ص ۲۱۵.

(۳) أى فذكرت له ما قال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۵

اللّه عنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها؛ فلما أتاه زيد يشكو إليه، قال:

اتق اللّه، و أمسك عليك زوجك.

فقال: قد أخبرتك: أنى مزوجكها، وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ...

و روى عن الإمام الرضا «عليه السلام» هذا المعنى أيضا «۱».

فقد دل هذا الحديث على أمرين:

---

(۱) راجع فيما روى عن الإمام السجاد و الإمام الرضا «عليهما السلام»: البحار ج ۲۲ ص ۱۷۸ و ۲۱۸ و ج ۱۱ ص ۷۲- ۷۴ و ۷۸- ۸۵ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۱۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۷۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۸ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۶۰ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۹۱ و ۱۹۲ و البرهان (تفسير) ج ۳ ص ۳۲۶ و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۱ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۸۱ و ۲۸۲ و ۲۸۳ و غرائب القرآن للنيسابورى (بهامش جامع البيان) ج ۲۲ ص ۱۲.

و راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۸۹ و شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ج ۱ ص ۲۹۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۰ و ۴۴۱ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۰ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۱۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۴۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۰ و ۱۹۱.

و راجع أيضا: كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۹۴ و ۳۹۵ و ۳۹۶ و حدائق الأنوار ص ۳۰۶ و تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۰۶ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۴۶۶ و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۳ عن الحكيم الترمذى، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و البيهقى فى الدلائل، و النهر الماد من البحر (مطبوع بهامش البحر المحيط) ج ۷ ص ۲۳۲ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۶

أحدهما: أن قوله «صلى اللّه عليه و آله» لزيد: أمسك عليك زوجك. لم يكن حين عرض عليه طلاق زينب ليتزوجها هو- إن كانت قد وقعت فى نفسه- بل كان ذلك حين شكاها إليه ..

و الثانى: أن ما كان يخفيه النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى نفسه لم يكن هو حب زينب و الإعجاب بها، بل هو ما أخبره اللّه تعالى به

من أنها ستكون زوجة له فى يوم ما.

و قد علق الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، على هذا الحديث بقوله:

«فعلى بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم، جوهرا من الجواهر، و درا من الدرر» «۱».

لا معنى للأمر بالإمساك:

فإن قيل: كيف يأمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» زيدا بإمساك زوجه، و هو يعلم أن الفراق لا بد منه؟ أليس هذا من التناقض؟!

قيل: إن لهذا الأمر مصالحه و غاياته، و منها: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أراد لزيد أن يكون فى موقع الطاعة للّه، و أن لا يكون قاسيا عليها، و أن يعاملها بالرفق، حتى إذا فارقها بعد أن يكون قد استنفذ جميع ما فى وسعه و طاقته لم يكن ثمة مجال لأن تراود نفسه و نفسها آية خواطر فى هذا الاتجاه.

أو لأجل إقامة الحجة على زيد فى شأنها، نظير أمر اللّه عباده بالإيمان، مع علمه بأن هذا أو ذاك سوف لا يطيع هذا الأمر.

---

(۱) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۱ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۷

ب: ما الذى أبداه اللّه تعالى؟!

و قد اعترف بعض علماء السنة «۱» بصحة هذا الذى ذكرناه، و نقلناه عن الإمام السجاد «صلوات اللّه و سلامه عليه» و اعتبره أسدّ الأقاويل، و أليقها بحال الأنبياء «عليهم السلام»، و أكثرها مطابقة لظاهر التنزيل، لأن اللّه سبحانه قال: وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ .. و لم يبد اللّه سبحانه و تعالى غير تزويجها منه.

و هذا نظير قوله تعالى: لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ ...

قال المجلسى: «إنه تعالى أعلم رسوله أنه يبدى ما أخفاه، و لم يظهر غير التزويج، فقال: زَوَّجْناكَها. فلو كان الذى أضمره محبتها، أو إرادة طلاقها «۲» لأظهر اللّه تعالى ذلك، مع وعده بأن يبديه» «۳».

و قال السيد المرتضى: «أخفى فى نفسه عزمه على نكاحها بعد طلاقها، لينتهى إلى أمر اللّه تعالى منها» «۴».

---

(۱) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۰ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۰ و ۱۹۱ و النهر الماد فى البحر (مطبوع بهامش البحر المحيط) ج ۷ ص ۲۳۲ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۳۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۱ و ۴۴۰ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۴۰۳ و راجع: محاسن التأويل للقاسمى ج ۱۳ ص ۴۸۶۴ و ۴۸۷۷ و تفسير الآلوسى ج ۲۲ ص ۱۵۳۱.

(۲) أى أن النبى يريد لزيد أن يطلق زينب.

(۳) البحار ج ۲۲ ص ۱۷۸.

(۴) البحار ج ۲۲ ص ۱۸۷ و أشار فى الهامش إلى تنزيه الأنبياء ص ۱۱۱ و ۱۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۸

و ليس فى الآيات أية إشارة إلى وجود هوى و محبة، أو إعجاب، أو غير ذلك.

ثم بينت الآية سبب هذا الإخفاء، و هو: أن الناس كانوا يعتبرون الابن بالتبنى بمثابة الابن الصلبى فى الأحكام .. فكان «صلى اللّه عليه و

آله» يخشى من أن ينخدع ضعفاء النفوس بأقاويل المنافقين، و من لف لفهم، و أن لا يبقى لكلامه ذلك الأثر المطلوب فى هدايتهم، مع ملاحظة: أنه لم يكن هناك أمر إلهى له بإظهار ما كان يخفيه، من أن اللّه قد أعلمه بأنها ستصير زوجته، فكان أن تولى اللّه سبحانه إظهار ذلك، لأن الإظهار منه تعالى أعظم أثرا فى إبطال كيد المنافقين ..

ج: اللّه تعالى مصرّف القلوب:

و قد زعموا: أن قول النبى «صلى اللّه عليه و آله»: سبحان اللّه مصرّف القلوب، ناظر إلى التصرف بقلب زيد، ليكره زينب و يطلقها.

و نقول:

أولا: إنه لو صح: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد قال ذلك، فلا دليل على أنه ناظر إلى ما زعموه، فلعله أراد به أن يظهر تعجبه مما جرى بين زينب و زيد، حيث كانت كارهة له أولا، ثم أصبح هو الكاره لها، و الساعى لمفارقتها بعد ذلك.

ثانيا: لقد رووا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يكثر أن يقول: يا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۹۹

مصرف القلوب «۱».

و عن عائشة، قالت: «ما رفع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رأسه إلى السماء إلا قال: يا مصرف القلوب، ثبت قلبى على طاعتك» «۲».

و عن أبى هريرة مثله «۳». فلعله «صلى اللّه عليه و آله» قد رفع طرفه إلى السماء فى تلك الساعة فقال هذا القول، من دون أن يكون لذلك ارتباط بزينب أو بغيرها.

د: التحريض و الرجم بالغيب:

ثم إنهم زعموا: أن النبى قد أعجب بزينب و أحبها، بعد أن رآها.

و نقول:

من الذى أخبر الناس بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أعجب بزينب، أو وقع فى هواها، أو هويها، أو عشقها، أو نحو ذلك من تعابير؟ فإن هذا أمر قلبى لا يمكن لأحد الاطلاع عليه، إلا أن يطلعه النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه على ذلك.

و اللّه سبحانه، و إن كان قد صرح بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أخفى أمرا اعتلج فى نفسه، و لكنه لم يصرح بحقيقة هذا الأمر، بل جاءت

---

(۱) فيض القدير ج ۵ ص ۱۷۷.

(۲) مسند أحمد ج ۲ ص ۴۱۸ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ۴۳۹ السنن للنسائى ج ۶ ص ۸۳ و الكامل لابن عدى ج ۴ ص ۶۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۵۲ و ميزان الإعتدال ج ۲ ص ۳۰۰ و مسند أبى يعلى ج ۸ ص ۲۴۵ و كنز العمال ج ۲ ص ۶۸۴.

(۳) مسند أحمد ج ۲ ص ۱۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۰

الروايات و القرائن من الآيات لتدلنا على أن الذى أخفاه «صلى اللّه عليه و آله» هو القضاء الإلهى بأن تكون زينب من أزواجه «صلى

اللّه عليه و آله».

فهل اطلع هؤلاء الرواة- دون كل أحد- على غيب اللّه سبحانه؟ فإن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أسرّ إليهم بهذا الأمر فلماذا؟ و كيف؟! و متى أسرّ إليهم «صلى اللّه عليه و آله» بهذا الأمر الذى أخفاه عن سواهم.

ه: الأمر بتقوى اللّه!!

و الغريب فى الأمر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى يحب زوجات الناس- نعوذ باللّه من هذه التعابير- و لكنه يأمر زوج زينب المسكين، الذى لم يظهر منه أى خلاف أو معصية، و الذى يريد هو منه أن يتخلى له عن زوجته- يأمره بتقوى اللّه سبحانه، مع أنه لم يفعل إلا ما ينسجم مع أمنياته، و لا يسعى إلا فى تحقيق مآربه، و إيصاله إلى مطلوبه!! ..

و: أمسك عليك زوجك:

و يزيد الأمر تعقيدا، حين يقول له هذا الطامع بتلك الزوجة، و المعجب بها، و المحب لها: أمسك عليك زوجك!! متظاهرا بخلاف ما يضمره، و ينويه، و يسعى إليه، فهل يمكن أن يقال: إن هذه هى أخلاق الأنبياء؟! أو أن هذا هو ما تفرضه قواعد النبل و الكرامة لدى الناس العاديين؟!

ز: عشق النبى صلّى اللّه عليه و آله لزوجة غيره:

اشارة

و بعد أن وصف السيد المرتضى «رحمه اللّه» الرواية التى تتحدث عن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۱

هوى النبى «صلى اللّه عليه و آله» لزينب بالخبيثة، قال: «إن عشق الأنبياء «عليهم السلام» لمن ليس يحل لهم من النساء منفر عنهم، و حاطّ من رتبتهم و منزلتهم. و هذا مما لا شبهة فيه».

إلى أن قال: «كيف يذهب على عاقل: أن عشق الرجل زوجة غيره منفر عنه، معدود فى جملة معائبه، و مثالبه»؟! «۱».

عشق الأنبياء عليهم السّلام ممدوح!!

و قد زعم بعضهم: أن من العلامات الدالة على أن زينب ستكون زوجة للنبى «صلى اللّه عليه و آله» إلقاء محبتها فى قلبه، و ذلك بتحبيب اللّه تعالى، لا بمحبته لها بطبعه. و ذلك ممدوح جدا.

و منه قوله: حبب إلىّ من دنياكم ثلاث: الطيب، و النساء، و قرة عينى فى الصلاة.

حيث لم يقل: أحببت. و دواعى الأنبياء و الأولياء من قبيل الإذن الإلهى، إذ ليس للشيطان عليهم سبيل «۲».

و نقول:

إن القبيح مرفوض على كل حال بالنسبة للبشر، فلا تصح نسبته إلى اللّه تعالى، فإذا كان هذا من المنفرات عن الأنبياء، قبح صدوره منهم، سواء أكان بميلهم الطبيعى، أم بفعل اللّه تعالى بهم.

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۱۸۹ عن تنزيه الأنبياء ص ۱۰۹- ۱۱۲.

(۲) روح البيان ج ۷ ص ۱۷۹ و راجع ص ۱۸۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۳ ص ۲۹۹ و فتح القدير ج ۱ ص ۲۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۲

ح: لا تمدنّ عينيک:

قال القاضى عياض و غيره عن زعمهم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أحب زينب، و هى فى حبالة زيد: «و لو كان ذلك لكان فيه أعظم الجرح، و ما لا يليق به، من مدّ عينيه إلى ما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا»؟! «۱».

قال تعالى: لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ .. «۲».

ط: الحسد:

و قال عياض: و لكان هذا نفس الحسد المذموم، الذى لا يرضاه اللّه، و لا يتسم به الأتقياء، فكيف سيد الأنبياء «صلى اللّه عليه و آله»؟! «۳».

ى: يراها .. فأعجبته!:

و قال القاضى عياض أيضا: «كيف يقال: يراها فأعجبته، و هى ابنة عمته، و لم يزل يراها منذ ولدت. و لا كان النساء يحتجبن منه «صلى اللّه عليه و آله». و هو الذى زوجها لزيد؟» «۴».

(۱) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۱ و ج ۱۲ ص ۱۱ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۱۹ و الشفاء لعياض ج ۲ ص ۱۸۹.

(۲) الآية ۱۳۱ من سورة طه، و الآية ۸۸ من سورة الحجر.

(۳) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۱۱ و الشفاء ج ۲ ص ۱۸۹.

(۴) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۰ و ۴۴۱ و ج ۲ ص ۱۱ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۱۷ و ۵۲۱ و حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج ۳ ص ۲۷۹ و الشفاء ج ۲ ص ۱۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۳

فكيف يخفى عليه جمال زينب كل هذه المدة الطويلة، و هى بمرأى منه و مسمع؟!

ک: العشق فى سن الكهولة!!

قال القرطبى: «فأما ما روى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هوى زينب، امرأة زيد، و ربما أطلق بعض المجان لفظ عشق، فهذا إنما

يصدر عن جاهل بعصمة النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته» «۱».

و بعد .. فقد كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى تلك الفترة يقترب فى عمره من الستين، و هو سن الشيخوخة. و قد كان شبابه قد ولى، و الناس فى هذه السن ينصرفون عادة عن التفكير بالنساء، و ينأون بأنفسهم عن الحب و عن قضايا الجنس، خصوصا بالنسبة للمحصنات من النساء.

فإذا أضفنا إلى ذلك: أنه إذا كان- كما يزعمون- يرى جميع النساء، و يطلع على ما هن عليه من الجمال، فقد كان لدى كثيرين من صحابته بنات، و كذلك زوجات، يتجاوز عددهن المئات و الألوف، و كان فيهن الكثيرات ممن لهن حظ وافر من الجمال .. و كان «صلى اللّه عليه و آله» يراهن بحسب زعمهم. فلماذا لا- يعشق غير زينب، و لا يفكر بغيرها من الفتيات الأبكار، اللواتى كأنهن الأقمار، أو كالشموس فى رابعة النهار؟!

---

(۱) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۱ و راجع هذه التعابير فى تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۴

ل: تناقض الروايات فى أمر الهوى:

و إن إلقاء نظرة عابرة على تلك الروايات فى مصادرها: تبين إلى أى حد هى متناقضة، و قد تقدمت منا إشارة إلى بعض نماذج ذلك، و نزيد هنا السؤال عن أنه هل جاءت زينب مع زيد إلى الرسول «صلى اللّه عليه و آله» حين تشاجرا فى شىء بينهما، فرآها فأعجبته و أحبها؟!

أم أنه «صلى اللّه عليه و آله» ذهب لعيادة زيد فرآها عنده؟

أم أنه ذهب إلى بيتها فى غياب زيد، فرآها؟!

و هل عشقها، حين رآها و هى تغتسل؟!

أو حين كانت تسحق طيبا بفهر؟

أو لا هذا، و لا ذاك؟!

و هل جاء قوله: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، حين أخبره بأنها تؤذيه، و يريد طلاقها؟!

أم حين عرض طلاقها عليه، إذا كانت وقعت فى نفسه؟!

أم أن الحقيقة هى غير ذلك؟!

و هل؟! و هل؟! و هل؟!.

م: الجائزة للمذنبين:

إن مقتضى كلام هؤلاء الناس هو أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» ينساق وراء هواه، و يعشق و يهوى امرأة متزوجة، و يكلّم زوجها بما يخالف الحقيقة. و يمد عينيه إلى ما متع اللّه به أزواجا منهم، زهرة الحياة الدنيا، و اللّه ليس فقط لا يزجره و لا يعاقبه، بل هو يسارع إلى تهيئة الأمور لصالحه،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۵

و يتولى هو تزويجه و إيصاله إلى أهوائه و شهواته و ملذاته!!

ن: زينب لا تمتنع، و زيد لا يستطيع:

لقد ذكرت الروايات: أن زينب منذ وقعت فى قلب النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يستطعها زيد، مع أنها لم تمتنع منه، لكن اللّه كان يمنعه منها.

و فى بعض الروايات: أنها كرّهت إلى زوجها.

و هو كلام غير مقبول أيضا، لأن التوسل بالجبر الإلهى لمنع الرجل من مقاربة زوجته، يستبطن نسبة الظلم إلى اللّه سبحانه و تعالى. مع أن اللّه سبحانه لم يتدخل لمنع الناس من إلقاء إبراهيم فى نار النمرود، و لم يمنع المشركين من ملاحقة النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليلة الهجرة إلى باب الغار، و لم يمنع قتلة الأنبياء و أوصياء الأنبياء من ارتكاب جرائمهم.

نعم .. إنه تعالى لم يفعل ذلك بهم على نحو الإكراه و الإجبار، و بالحيلولة المباشرة بينهم و بين ما يريدون. بل هم قد فعلوا كل ما أرادوا.

فإن كانت هناك ضرورة للتدخل الإلهى حين يتهدد الخطر من أرسله اللّه تعالى للبشرية جمعاء، فإنه يكون خارج دائرة اختيار الناس، فيقول للنار:

كُونِى بَرْداً وَ سَلاماً .. و ينبت الشجر، و تنسج العنكبوت على باب الغار.

و لكن الأمر بالنسبة لزيد ليس من هذا القبيل فما معنى التدخل لمنعه من زينب، و أن تكرّه له؟!

أما الحديث عن تورم يحصل لزيد، كلما رام النيل من زوجته، بعد وقوعها فى قلب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فهو من سخف القول، و عوار الكلام، إذ لا مبرر للتدخل الإلهى المباشر لمنع زيد مما هو حلال له، و اللّه أجل، و النبى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۶

«صلى اللّه عليه و آله» أورع و أتقى، و أبر مما يراد نسبته إليه.

س: لماذا يكتم النبى صلّى اللّه عليه و آله هذا عن نفسه؟!:

و فى تلميح هو كالتصريح ببشاعة هذا الفعل، و فى نسبة القبيح إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نلاحظ: أن ثمة فريقا كان يسعى للإيحاء بأن هذا الأمر يمكن أن يصدر عنه «صلى اللّه عليه و آله»، معتبرا: أن هذا الأمر مما ينبغى أن يكتمه الإنسان، على نفسه و لا يعلن به. و من هذا الفريق .. الذين تحدثوا بهذه الطريقة:

۱- عمر بن الخطاب.

۲- عائشة بنت أبى بكر.

۳- أنس.

۴- الحسن البصرى.

و هم الذين وردت الرواية بقولهم: إنه «صلى اللّه عليه و آله» لو كان كاتما شيئا من الوحى لكتم هذه الآية: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ .. الآية ..

فإذا كان هذا الفعل مما يستحق الكتمان، و قد آثر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يفشيه، رغم أن فى إفشائه حطا من كرامته، و

إنقاصا من قدره، فكيف يصح صدور ذلك منه «صلى اللّه عليه و آله»؟! فإن المؤمن لا يقدم على فعل ما يشينه، و ينقص من قدره.

و لكن الحقيقة هى: أن هؤلاء يريدون أن يهوّنوا على الناس ما يرونه من قبائح و فضائح يمارسها الحكام، أو تحكى لهم عنهم .. أنهم يرون بذلك الإيحاء للناس بأن هؤلاء الحكام لا تختلف حالهم كثيرا عن رسول اللّه «صلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۷

اللّه عليه و آله»، الذى كان يعشق، و يفتضح عشقه، و يبرر اللّه تعالى و يسهل له سبل الوصول إلى معشوقته ..

ع: النبى صلّى اللّه عليه و آله يتعرض للنساء!!

و الأدهى من ذلك و الأمرّ: أن بعض تعابيرهم تستبطن الاتهام للنبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» بأمور لا تصدر إلا من أهل الفسق و الفجور، و العياذ باللّه. و ذلك مثل قولهم فى تفسير قوله تعالى: لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ .. «أى: لا يحل لك امرأة رجل أن تتعرض لها، حتى يطلقها و تتزوجها أنت، فلا تفعل هذا الفعل بعد هذا».

فكيف يصح القول: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يتعرض لامرأة رجل آخر، ليطلقها له، و يتزوجها هو؟!

فإنه حتى الذين لا يتورعون عن المآثم ينكرون هذا الأمر، و يأنفون من نسبته إليهم، فكيف بنبى اللّه الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و بغض النظر عن ذلك نقول:

إن قوله تعالى: لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ .. ليس فيه أية دلالة على أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يتعرض لنساء الناس، بل هو يدل على: أن اللّه تعالى قد بين أنه لا يجوز له الزيادة على النساء اللاتى كن فى عصمته «صلى اللّه عليه و آله». و ليس فى الآيات أية دلالة على ارتباط هذه الآية بآيات زواجه بزينب، التى كان الحديث عنها قد انتهى ..

بل ظاهرها: أنها ترتبط بآيات تخييره بين إرجاء من شاء، و إيواء من شاء منهن. فإقحام قضية زينب فى مضمون الآية ليس له مبرر ظاهر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۸

استدلال ابن الدبيع فاسد:

أما ابن الدبيع، فقد اعتبر رؤية النبى «صلى اللّه عليه و آله» لزينب، و دخوله عليها بغير إذن أمرا صحيحا، مستدلا على ذلك بقوله: «إن نظره إليها كان قبل نزول الحجاب؛ لأنها نزلت فى حال دخوله عليها. مع أن الراجح عند المحققين: أن النساء ما كن يتحجبن عنه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

و نقول:

۱- لو سلمنا أن الحجاب لم يكن قد وضع آنئذ، فإن ذلك لا يصحح اقتحام النبى «صلى اللّه عليه و آله» بيوت الناس من دون استئذان، إذ لعل الرجل مع زوجته على حال لا يجوز رؤيتهما عليها، و لعل المرأة فى وضع أيضا كذلك، كما لو كانت تغتسل كما زعمته بعض تلك الروايات المشؤومة السابقة.

و بتعبير آخر: إن اقتحام البيوت من دون استئذان يخالف أبسط قواعد الآداب. و لا يرضاه الرجل حتى من ولده، و حتى لو كان ذلك الوالد وحده فى بيته، فكيف يقبل ذلك ممن بعثه اللّه للناس بمكارم الأخلاق، أو ليتمها لهم؟!

فعن على «عليه السلام»، قال: سمعت النبى «صلى اللّه عليه و آله» يقول: بعثت بمكارم الأخلاق و محاسنها «۲».

(۱) حدائق الأنوار ج ۲ ص ۶۰۵ و راجع: تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۱۷.

(۲) الأمالى ص ۵۹۶ و مشكاة الأنوار ص ۴۲۵ وفقه الرضا ص ۳۵۳ و البحار ج ۱۶ ص ۲۸۷ و ۱۴۲ و ج ۶۳ ص ۳۹۴ و ۴۰۵ و ج ۶۵ ص ۴۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۰۹

و عنه «صلى اللّه عليه و آله»: عليكم بمكارم الأخلاق فإن ربى بعثنى بها .. «۱».

و قال «صلى اللّه عليه و آله»: إن اللّه أدبنى و أحسن أدبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق «۲».

و روى من طرق العامة، أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق «۳».

و الروايات التى قبل هذه الأخيرة أوضح و أدق منها، من حيث

(۱) أمالى الطوسى ص ۴۷۸ و وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ۱ ص ۳۵۱ و ج ۸ ص ۵۲۱ و البحار ج ۱۱ ص ۱۵۶ و ج ۶۶ ص ۳۷۰ و ۳۷۵ و ج ۶۸ ص ۴۲۰ و ج ۸۹ ص ۱۹۷ و مستدرك الوسائل ج ۱۱ ص ۱۹۱ و مستدرك سفينة البحار ج ۳ ص ۱۷۴ و ج ۹ ص ۱۰۳ و راجع: أمالى الصدوق ص ۴۴۱.

(۲) أدب الإملاء و الإستملاء ص ۵ و فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ۱ ص ۲۹۱ و كشف الخفاء ج ۱ ص ۷۰. و روى نفس المضمون، من دون عبارة «ثم أمرنى بمكارم الأخلاق» فى البحار ج ۱۶ ص ۲۱۰ و ج ۶۵ ص ۳۸۲ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۱ ص ۲۳۳ و الجامع الصغير ج ۱ ص ۵۱ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۴۰۶ و تذكرة الموضوعات ص ۸۷ و فيض القدير ج ۱ ص ۲۹۱ و كشف الخفاء ج ۱ ص ۷۰ و مجمع البيان ج ۸ ص ۶۶ و نور الثقلين ج ۵ ص ۳۹۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲۲۸ و التبيان فى آداب حملة القرآن ص ۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴ ص ۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۲ ص ۹۳.

(۳) السنن الكبرى ج ۱۰ ص ۱۹۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۵ و تحفة الأحوذى ج ۵ ص ۴۷۰ و مسند الشهاب لابن سلامة ج ۲ ص ۱۹۲ و ۱۹۳ و كنز العمال ج ۳ ص ۱۶ و كشف الخفاء ج ۱ ص ۲۱۱ و البداية و النهاية ج ۶ ص ۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۰

الدلالة و المضمون.

و قد أمر اللّه بإلزام الأطفال بالاستئذان على أبويهما فى أوقات الخلوة، فقال: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ «۱».

۲- إن ما ذكروه من عدم وجوب احتجاب النساء عن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا دليل عليه سوى أحد أمرين:

الأول: ما زعموه من قصة زينب، و التى هى مورد البحث. و صحة الإستدلال بها متوقف على ثبوتها، و سلامتها عن كل هذه الإشكالات التى ذكرناها فى هذا الفصل، و فى غيره ..

الثانى: لا يصح الاستدلال على ذلك بقصة أم حرام بنت ملحان الآتية [رقم ۴] و سنرى: أنها أيضا لا تصلح للاستدلال بها على هذا الأمر.

۳- إن دعوى: أن دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» على زينب كان قبل نزول الحجاب سيأتى: أنها غير ظاهرة الوجه، بل الظاهر هو: أن الحجاب كان مفروضا قبل ذلك بزمان، كما سنذكره فى الفصل التالى إن شاء اللّه.

۴- قد استندوا فى زعمهم جواز أن ينظر النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى النساء إلى ما رووه، من أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يزور أم حرام بنت ملحان، و يقيل، و ينام عندها، بل زعموا أنها كانت تفلى رأسه، قالوا: و لم

(۱) الآية ۵۸ من سورة النور.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۱

يكن بينهما محرمية، و لا زوجية «۱».

و نقول:

أولا: إن هـذا زعم فاسد، فقد قال ابن وهب: أم حرام إحدى خالات رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» من الرضاعة، فلذلك كان يقيل عندها.

و قـال أبو عمر: أظن أن أم حرام أرضـعت رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»، أو أختهـا أم سـليم، فصـارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعـة، فلذلك كانت تفلى رأسه، و ينام عندها، و تنال منه ما يجوز لذى محرم أن يناله من محارمه. و لا يشك مسـلم: أن أم حرام كانت محرما له.

ثم روى عن يحيى بن إبراهيم بن مزين، قـال: إنمـا اسـتجاز رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» أن تفلى أم حرام رأسه؛ لأنهـا كانت منه ذات محرم، من قبل خالاته، لأن أم عبد المطلب بن هاشم كانت من بنى النجار «۲».

غير أننا نقول:

لقد أنكر ابن الملقن صحة هذا الأمر «۳»، و هو محق فى إنكاره هذا ..

خصوصا مع ملاحظة ارتفاع سن عبد المطلب بالنسبة إليها، و إلى النبى.

فكيف بالنسبة لأم عبد المطلب أيضا؟!

فيكون القول بأن قرابتها برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كانت قرابة رضاعية، أقرب إلى الاعتبار.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۴، و راجع: فتح البارى باب: «من زار قوما، فقال عندهم» ج ۹ ص ۱۶۶ و تحفة الأحوذى ج ۴ ص ۱۷۹.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۴ و فتح البارى ج ۱۱ ص ۶۶.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۲

و لكن الـدمياطى لم يرتض هـذا أيضا، على اعتبار: أن أمهاته «صـلى اللّه عليه و آله» من النسب و من الرضاعة معلومات، و ليس فيهن واحـدة من الأنصار البتة، سوى أم عبد المطلب، و هى سـلمى بنت عمرو بن زيد، بن لبيد بن خراش، بن عامر بن غنم .. و أم حرام هى بنت ملحان بن خالـد بن زيـد، بن حرام بن جنـدب، بن عامر بن غنم. فلا تجتمع أم حرام بسـلمى إلا فى عامر، و هو جدهما الأعلى. و هى خؤولة لا تثبت محرمية «۱».

ثانيا: إن ما زعموه: من دخوله «صلى اللّه عليه و آله» على أم حرام، و أم سليم لا يثبت أنه كان يراهما من دون حجاب.

ثالثا: ما زعموه: من أنها كانت تفلى رأسه غير ظاهر الوجه، فإنه «صلى اللّه عليه و آله» كان نظيفا، متنظفا، و لم يكن فى رأسه شىء من الهوام، ليحتاج إلى أن تفليه أم حرام، أو غيرها .. فما معنى نسبة أمر من هذا القبيل إليه؟!

رابعا: إذا كانت هناك صـلة رضاعيـة بينه و بين أم حرام و أم سـليم، فهذا يعنى: أنها كانت امرأة مسـنة. فلو فرض وجود أية إشارة إلى أنه كان ينظر إليها، و هى متكشـفة بين يديه تكشف المحارم- مع أن هذا غير موجود- فإنه قد يكون على قاعدة: وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللَّاتِى لا يَرْجُونَ نِكاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ «۲».

خامسا: إنها حتى لو كانت تضع ثيابها، بسبب كبر سنها، فإن ذلك لا

---

(۱) راجع جميع ذلك فى كتاب: سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۴۴- ۴۴۶ و تحفة الأحوذى ج ۵ ص ۲۳۰ و عن فتح البارى ج ۱۱ ص ۶۶.

(۲) الآية ۶۰ من سورة النور.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۳

يلازم نظر النبى «صلى اللّه عليه و آله» إليها، و ليس ثمة ما يصلح لإثبات ذلك.

سادسا: لو سلمنا بجواز نظر النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الأجنبيات، فهل يجوز له ملامستهن؟ إلا أن يقال: إن تفلية الرأس لا تلازم الملامسة ..

لا يضر الهوى بالنبوة:

قال ابن الديبع الشيبانى عن هذه الروايات: «قد جعلها العلماء من أصحابنا أصلا، استدلوا به على أن من خصائصه «صلى اللّه عليه و آله» وجوب طلاق من رغب فى نكاحها على زوجها، و وجوب إجابتها، فجوزوا رغبته فى نكاح منكوحة غيره.

و إن فى هذه القصة ما لا يخفى من التنويه بقدر المصطفى «صلى اللّه عليه و آله»، و الإعلام بعظيم مكانته عند ربه سبحانه، و أنه يحب ما يحب، و يكره ما يكره، و ينوب عنه فى إظهار ما استحيا من إظهاره، علما منه سبحانه بأنه إنما يفعل ذلك قمعا لشهوته، و ردا لنفسه عن هواها. كما قال سبحانه فى الآية الأخرى: إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِ.

فما نقله القاضى عياض عن ابن القشيرى، و قرره، من أن ما سبق من تجويز رغبته فى نكاحها، لو طلقها زيد: «إقدام عظيم من قائله، و قلة معرفة بحق النبى «صلى اللّه عليه و آله» .. مردود يحتاج دليلا و اللّه أعلم» «۱».

---

(۱) حدائق الأنوار ج ۲ ص ۶۰۴ و ۶۰۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۳۹ عن الغزالى، و البحار ج ۱۶ ص ۳۹۳ و كلام عياض و القشيرى فى بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۴

و أجاب البغوى، و أشار إليه الغزالى: بأن ذلك لا يقدح فى حال الأنبياء؛ لأن العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الأشياء مما لم يقصد به المأثم، لأن الود، و ميل النفس، من طبع البشر «۱».

و قيل: إن من خصائصه: أنه «صلى اللّه عليه و آله» متى رغب فى نكاح امرأة فإن كانت متزوجة وجب على زوجها مفارقتها له «صلى اللّه عليه و آله»، و إن كانت خلية وجب عليها الإجابة «۲».

و نقول:

۱- إن الإعلام بعظيم مكانة النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و التنويه بقدره لا يحتاج إلى تشريع أمر يتضمن قهر الآخرين و ظلمهم، و قد نوّه اللّه تعالى بعظيم قدر نبيه «صلى اللّه عليه و آله» بطرق مختلفة ليس فيها أى انتقاص من كرامة الغير، أو إنقاص من حقه.

۲- إن العبد و إن كان غير ملوم على ما يقع فى قلبه ما لم يقصد به المأثم، و لكن مما لا شك فيه أن هذا بمعنى: أنه لا يعاقب على ذلك الشيء، لا بمعنى: أنه ليس قبيحا منه، بل هو داخل فى نطاق القبح الفعلى، الذى يوجب أن ينظر الناس إلى فاعله نظرة انتقاص.

۳- إن من يحدث له ذلك لا يستحق المقامات السامية، و لا يعطى مقام النبوة. فكيف إذا أريد التنويه بقدره، و بعظيم مكانته عند ربه

من خلال نفس هذا الشيء؟

---

(۱) شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ج ۱ ص ۲۹۱.

(۲) راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۵ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۵

۴- إن الإنسان يلام على الحسد مثلا، و يطالب بإزالته من نفسه، و يلام أيضا على حب زوجات الآخرين، و يرى الناس هذا عيبا فيه، و يطالبونه بتخليص نفسه من هذا الأمر المعيب.

۵- من أين استفاد هؤلاء: أنه يجب على الزوج طلاق المرأة التى يرغب النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى نكاحها؟ فإن كانوا قد استفادوا ذلك من قصة زينب كما يظهر من كلامهم، فهى بالإضافة إلى أنها مورد النقد، و محل الأخذ و الرد، ليس فيها ما يدل على الوجوب «۱».

و إن كان لديهم دليل آخر، فليظهروه، ليمكن النظر فيه.

۶- و أما ادّعاء: أن هذه الأشياء لا تقدح فى حال الأنبياء «عليهم السلام» لأن ذلك من طبع البشر، فغير صحيح؛ لأن القضية قضية حب لزوجة الغير، و رغبة فى طلاق تلك الزوجة ليحصل عليها هو دونه .. و هذا غير مسألة الود و الميل الطبعى.

۷- و حتى مسألة الميل الطبعى، فإنه إن كان ميلا من النبى «صلى اللّه عليه و آله» لزوجته التى هى فى حصانته، فلا كلام و لا إشكال.

و أما الميل الطبعى إلى زوجات الآخرين، فهو مرفوض و مدان، لأن الأنبياء «عليهم السلام» يعرفون من السلبيات و الآثار للمحرمات ما يجعلها فى غاية القبح بنظرهم، فهو «صلى اللّه عليه و آله» يرى بصورة عميقة جدا كيف أن آكل الربا يقوم كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس، و يرى كيف أن المغتاب يأكل لحم أخيه ميتا.

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۶

و يكون فى غاية الاستقذار و النفرة من هذا أو ذاك، و هكذا الحال بالنسبة لرغبته و ميله، و حبه للمحصنات من أزواج الناس، فإنه يكون من العمق و الشدة بحيث يرى ذلك نارا مستعرة، لا قبل له بها، و لا يرى مبررا للاقتراب منها.

فكيف ننسب إليه أنه يجهد و يجاهد نفسه لصرفها عن حب تلك المحصنة قمعا لشهوته، وردا لنفسه عن هواها؟! كما يزعمه هؤلاء، حسبما قرأناه و سمعناه فيما تقدم .. و كما سمعناه و قرأناه أيضا بحق النبى يوسف «عليه السلام»، فإنا للّه و إنا إليه راجعون.

۸- و يتضح مما تقدم: أنه لا معنى لادّعاء: أن ذلك من خصائصه «صلى اللّه عليه و آله»، فإنه إذا كان يستحيل صدور هذا الأمر منه «صلى اللّه عليه و آله» لأجل مثل هذه الموانع الأساسية، و منها عصمته، و لزوم موافقة سياسة الهداية الإلهية لسنن الحياة، و الفطرة، و للاعتبارات الصحيحة، فلا يمكن أن يقال: إنه جائز له، و هو من خصائصه!!

لم يزوجه اللّه إياها لأنه أحبها:

و بعد .. فقد أشرنا أكثر من مرة إلى أن اللّه سبحانه قد صرح بسبب تزويج زينب من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فقال: فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ.

و ذلك معناه: أن الهدف هو إبطال سنة جاهلية، حيث كان العرب يجعلون الأبناء بالتبنى بمنزلة الأبناء الصلبيين فى الأحكام، فمن أين

جاء هؤلاء بهذه الادعاءات الباطلة، ذات التفاصيل المقيتة و البغيضة، التى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۷

تتضمن الطعن فى كرامة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

الأمر مفروض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

فإذا كان اللّه تعالى هو الذى زوجه زينب: زَوَّجْناكَها، فهذا يعنى:

أنه أمر لا خيار له فيه.

ثم صرحت الآيات: بأن ذلك أمر إلهى جازم حيث قال تعالى:

.. وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا، ثم قال: ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ...

ثم ذكر تعالى: أن سبب ذلك هو أن لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم، ثم هون اللّه عليه هذا الأمر، مع إعادة التأكيد على ضرورة إنجازه، حين قال تعالى: .. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً.

فقد دلت هذه الآيات: على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يزد على أن امتثل أمر اللّه سبحانه، و دلت أيضا على أن ما كان يخشاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، هو أن يتخذ الناس من غير المؤمنين المسلمين للّه تعالى ذلك ذريعة للافتئات و التشنيع عليه «صلى اللّه عليه و آله»، فى هذا الأمر، بحيث يؤثر ذلك على مسار دعوته إلى اللّه تعالى.

بين خشية الناس، و خشية اللّه:

و يزيد وضوح هذا الأمر حين يقرأ قوله تعالى: .. وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۸

ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً.

حيث دلت هذه الآيات المباركات: على أن عليه «صلى اللّه عليه و آله» أن يقدم على هذا الأمر برضا نفس، و بسكينة تامة، و أن لا يخشى أحدا من الناس فيه. فإن تشنيعاتهم لا تصل إلى نتيجة.

كما أن الحسيب الذى لا يحيف، و يزن بميزان الحق و العدل هو اللّه وحده. أما البشر فإنهم يخلطون الحق بالباطل، و تتدخل أهواؤهم و مصالحهم، و عصبياتهم فى حساباتهم، و فى محاسباتهم، فلا عبرة بها، فما عليه إلا أن يعرض عنها، فلا يقيم لها وزنا، و عليه أن يكتفى بمراعاة جانب الحسيب الصادق و العادل، و الدقيق، و هو اللّه تعالى: وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً.

فاتضح: أن هذه الآيات المباركات ليس فقط لا تتضمن ذما و لا لوما لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و إنما هى تعلن بمدحه، و سمو مقامه، و هى تبرّئه مما قد ينسبه إليه الجاهلون و المغرضون، و الحاقدون، و الذين فى قلوبهم مرض.

لأنها تضمنت الإلماح إلى أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يخشى من تطاول الناس على مقام النبوة الأقدس، و أن ينالوه بمقالاتهم القبيحة، الأمر الذى يحمل معه أخطار الحد من قدرته على نشر كلمة اللّه تعالى فيهم، و فى غيرهم ممن بعثه اللّه تعالى إليهم.

فجاء التطمين الإلهى ليقول له: إن اللّه هو المتكفل برد عاديتهم، و إبطال كيدهم، فلا داعى للخوف و لا مجال للتحرج فى هذا الأمر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۱۹

خشية النبى صلّى اللّه عليه و آله على الدين:

و مما يدل على أنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما كان يخشى الناس على الرسالة و الدين، لا- على نفسه، قوله تعالى: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً.

كما أن خشيته «صلى اللّه عليه و آله» للناس لم تكن على حساب خشية اللّه تعالى. كيف و هو «صلى اللّه عليه و آله» القائل: «أنا أخشاكم للّه، و أتقاكم له» «۱».

بل كانت فى صراط خشيته له تعالى، فإذا جاء التكفل الإلهى بأنه تعالى هو الذى يكفيه هذا الأمر، و لم يبق هناك ما يخشاه من قبلهم، فما عليه إلا- أن يصرف همه إلى ما يحتاج إلى إنجاز مما كلفه اللّه تعالى به و أراده منه .. مما له أعظم الأثر فى تحقيق الأغراض الإلهية السامية.

---

(۱) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۰ و شرحه للأشخر اليمنى، مطبوع بهامشه، عن البخارى، و مسلم، و النسائى. و راجع: تفسير الصافى ج ۴ ص ۲۳۷.

و روى قريب من ذلك فى المصادر التالية: مسند أحمد ج ۶ ص ۲۲۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۸۳ و البحار ج ۶۴ ص ۳۴۴ و المعجم الكبير ج ۹ ص ۳۷ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۳۰۱ و كنز العمال ج ۳ ص ۴۷ و ج ۶ ص ۵۶۵ و سير أعلام النبلاء ج ۹ ص ۱۹۰ و ج ۱ ص ۱۵۸ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۱۰۲۵.

و روى أيضا عن المصادر التالية: الدر المنثور ج ۲ ص ۳۱۰ و صحيح ابن حبان ج ۸ ص ۳۱۰ و المصنف ج ۶ ص ۱۶۸ و ج ۲ ص ۱۶۰ و ج ۷ ص ۱۵۱ و الشفاء ج ۲ ص ۱۷۲ و تفسير البيضاوى ج ۴ ص ۱۸۲ و الإصابة ج ۴ ص ۴۸۷ و إرواء الغليل ج ۷ ص ۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۰

فليس فى خشيته للناس ما ينقص من مقامه، بل ذلك يزيد من مقامه، و يؤكد باهر عظمته و عمق إخلاصه ..

«أحق» أن تخشاه:

و أما التعبير بكلمة أحق فى قوله تعالى: وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فليس فيه أى إيحاء سلبى، بل هو مثل قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ فهو مدح و ثناء بصيغة عتاب، لبيان درجاته العالية فى الخشية له تعالى.

و ذلك لأن مفادها: أنك يا محمد تخشى الناس، بمعنى أنك تعمل بحذر، بهدف تحصين عملك فى نشر الرسالة من الإبطال بما يثار من شبهات و أباطيل من قبل هؤلاء الناس.

و هذا أمر حسن، و قد كان لا بد منه فى السابق .. و لكن الأمر الآن قد اختلف، فإن اللّه تعالى قد تكفل بإبطال كيد هؤلاء الناس، فما عليك إلا- أن يتمحض عملك بعد الآن فى مراعاة الحذر و المراقبة فى خشية أخرى هى أهم و أولى. و هى خشية اللّه سبحانه، و مراقبته فيما يطلبه منك، لتأتى به على أفضل وجه و أتمه، حيث إنك لم تعد مكلفا بمراعاة الحذر فى هذا الجانب.

فلماذا تتعب نفسك فى أمر تحمّله اللّه تعالى عنك؟! و لماذا أنت شديد الاهتمام و الحذر؟! حتى إنك تحمّل نفسك أثقالا و هموما عظيمة، مع أنه يكفيك الاهتمام بمراعاة جانب واحد، و تخفف عن نفسك فيما عداه، لأن اللّه سبحانه متكفل به، و سيدفع عنك

شرهم و كيدهم فيه ..

و من الواضح: أنه ليس فى الآية: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين خشى الناس لم يخش اللّه تعالى، كما أنه ليس فيها: أنه «صلى اللّه عليه و آله»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۱

مخطئ فى خشيته للناس، بل فيها: أن: يا محمد إن خشية اللّه هى الأهم و الأولى.

فهو أسلوب من أساليب الإخبار بكفاية اللّه له أحد الأمرين اللذين كانا مفروضين عليه معا. و بعد أن حصلت الكفاية، فإن عليه أن يصرف كل جهده فى إنجاز الأمر الآخر، الذى هو على درجة عظيمة من الأهمية، بحيث يكاد يجب ترك كل شىء من أجله .. من قبيل من يشرب دواء ليتقى به بعض الأمراض .. و قد طمأنه اللّه تعالى إلى أنه قد تكفل بدفعها عنه فعليه أن يهتم بمعالجة الأمور التى تحتاج إلى مباشرة. أو هو من قبيل قولك:

الطبيب الفلانى يعالج مرضى القلب و مرضى الملاريا و الأولى و الأهم هم مرضى القلب.

فليس معنى هذا: أنه قد أخطأ فى معالجته لمرضى الملاريا إلى جانب مرضى القلب، بل معناه: أن كلا الأمرين كانا حقا، لكن معالجة مرضى القلب أحق و أولى.

و ملاحظة أخيرة نذكرها هنا، و هى: أن أول آية فى سورة الأحزاب قد بدأت هكذا: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ .. و هذا يشير إلى إرادة تعظيم التقوى، حتى إن اللّه تعالى يطلب من نبيه أن لا يقتصر على بعض مراتبها، بل المطلوب هو السعى لنيل سائر المراتب السامية و الخطيرة منها.

فالأمر بالتقوى لا يستبطن اتهام النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعدم مراعاة جانبها .. و كذلك الحال بالنسبة لمراتب الخشية من اللّه تعالى. فإن قوله تعالى: وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ لا يدل على: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۲

يفعل ذلك، بل فيها: أن عليه أن يواصل السير فى طريق الخشية، و نيل مراتبها واحدة بعد أخرى، و أن لهذه المراتب درجات متفاوتة فى الأهمية و الخطورة، و أن عليه أن يتابع مسيرته لنيل جميع تلك المراتب.

فخشية اللّه مطلوبة فى السير و السلوك إليه تعالى، فهى كمعرفة اللّه، و تقواه و طاعته، حيث لا موضع للقول بالجبر فى أفعال العباد.

لا يكفى التشريع بالقول:

و لعلك تقول: لماذا لم يسجل الشارع انتفاء أحكام البنوة الحقيقية عن الابن بالتبنى، بمجرد القول، كما هو الحال فى أكثر الأحكام التى شرعها؟!

بل هو قد اختار أسلوب الممارسة الفعلية، من قبل نبيه الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

و نجيب عن ذلك: بأن هناك أمورا يصعب إقناع الناس بها بمجرد القول، خصوصا إذا وجد الناس فيها حرجا، أو يخشون من أن يسبب لهم ذلك عارا، أو عيبا اجتماعيا، أو تضمنت تمردا على وضع عاطفى، ذى طابع معين.

فيحتاج تبليغ الحكم، على مستوى الإقناع، و إزالة حالات الإحراج فيه، أو إبعاد الشعور بالعيب و العار إلى القول، و إلى المبادرة المباشرة من النبى «صلى اللّه عليه و آله»، الذى هو الأسوة و القدوة فى تحمل التبعات التى يخشاها الناس فى مجال الممارسة.

و بذلك يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد قدم الأمثولة الفضلى للقيادة الحكيمة، التى تبادر للتضحية فى كل اتجاه فى سبيل الأهداف العليا التى نذرت نفسها لها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۳

و هكذا حصل فى موضوع أحكام الأبناء، فإن القرآن صرح باختصاصها بالأبناء الذين هم من الأصلاب فى قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خالاتُكُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ .. «۱».

ثم جاء فعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليكون اللّه تعالى قد سد كل الذرائع على الذين يريدون التعلل، و الهروب من الإلتزام بأحكامه تعالى.

هل كانت زينب متزوجة قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!

قال إسماعيل حقى عن زينب بنت جحش: «كانت كالعارية عند زيد.

و لذا قال حضرة الشيخ أفتاده أفندى (قده): فى اعتقادنا أن زينب بكر كعائشة رضى اللّه عنها، لأن زيدا كان يعرف أنها حق النبى «عليه السلام»، فلم يمسها، و ذلك مثل آسية، و زليخا.

و لكن عرفان عائشة لا يوصف. و يكفينا أن ميله «عليه السلام» إليها كان أكثر من غيرها، و لم تلد، لأنها فوق جميع التعينات» «۲».

و نقول:

۱- إن الحكم بكون زينب بكرا يحتاج إلى دليل، بل الدليل على خلافه موجود، و هو زواج زيد بها، و لم نجد ما يدل على أنه قد منع، أو عجز عنها

---

(۱) الآية ۲۳ من سورة النساء.

(۲) روح البيان ج ۷ ص ۱۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۴

حينما انتقلت إلى بيت الزوجية عنده.

۲- هناك روايات تحدثت عن أن زيدا قد منع عن زينب بعد أن رآها النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و أحبها، حيث إن زيدا لم يستطعها بعد ذلك، رغم أنها كانت لا تمتنع منه. و قد قدمنا: أنها روايات مكذوبة و لا تصح.

۳- إن قوله تعالى: فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها و قوله تعالى: لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ظاهر فى أن زيدا قد وطئها و قضى و طره منها.

۴- لماذا تكون زينب عند زيد كالعارية فتبقى بكرا، و لا تكون سائر نسائه «صلى اللّه عليه و آله» عند أزواجهن السابقين عليه «صلى اللّه عليه و آله» كالعارية أيضا، فيبقين أبكارا مثلها؟!

۵- قد أثبتنا فى الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب: أن عائشة لم تكن بكرا، لأنها كانت متزوجة برجل آخر، و كان لها منه ولد اسمه عبد اللّه، فراجع.

۶- دعوى: أن زيدا كان يعرف أن زينب بنت جحش حق النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا دليل عليها. فهى لا تعدو كونها تخرصا و رجما بالغيب.

۷- إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هو القائل: خير نسائكم الولود الودود .. فكيف أصبحت عائشة التى لم تلد خيرا من مارية أم

إبراهيم؟! و بماذا امتازت على خديجة التى ولدت له الزهراء «عليها السلام»؟!

بل لماذا، و بماذا كانت تمتاز على سائر نسائه ممن لم يلدن له، كما لم تلد هى له؟!

۸- ما معنى قوله: إن عائشة لم تلد لأنها كانت فوق التعينات، و لماذا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۵

كانت كذلك دون سائر أزواجه «صلى اللّه عليه و آله»؟! .. و كيف صار هذا هو العلة فى كونها لم تلد؟!

و ما معنى قوله: «و لكن عرفان عائشة لا يوصف»، و لماذا لا يوصف؟! و هل يستطيع أن يصف لنا عرفان خديجة؟! و عرفان أم سلمة؟! و عرفان ميمونة؟!.

۹- إن دعوى أن ميله «صلى اللّه عليه و آله» إلى عائشة كان أكثر من غيرها تحتاج إلى إثبات، و لكن بطريقة علمية صحيحة، فلا يعتمد فى ذلك على رواياتها، و روايات عروة بن الزبير ابن أختها، و غيره من محبيها.

۱۰- ألا يكون ميله «صلى اللّه عليه و آله» إلى إحدى نسائه أكثر من غيرها أمرا قبيحا منه، لا يصح نسبته إليه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

۱۱- ألا يتنافى قوله تعالى: وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ مع القول: بأن زيدا كان يعلم: أن زينب كانت حق النبى «صلى اللّه عليه و آله»؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۷

الفصل الرابع: الحجاب فى حديث الزواج

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۲۹

متى و لماذا نزل الحجاب؟!

و قد روى الرواة عن زينب بنت جحش أنها قالت: فىّ نزلت آية الحجاب «۱».

و ذكروا: أن ذلك كان فى مناسبة تزويجها برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و ذكروا: أن السبب فى ذلك هو عمر بن الخطاب .. و جعلوا ذلك من فضائله، حتى لقد رووا عن ابن مسعود أنه قال عن عمر: إنه فضّل على الناس بأربع، و ذكر منها:

أنه بذكره الحجاب أمر نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يحتجبن.

و روى أن عمر مرّ على نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله» و هن مع النساء فى المسجد، فقال: احتجبن، فإن لكن على النساء فضلا، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل.

فقالت له زينب رضى اللّه عنها: و إنك لتغار علينا يابن الخطاب، و الوحى ينزل فى بيوتنا؟!

---

(۱) كنز العمال ج ۱۳ ص ۷۰۴ عن ابن عساكر، و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۳۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳۰

فأنزل اللّه: وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ «۱».

و قد صرحوا أيضا: بأن آية الحجاب التى نزلت فى زينب بنت جحش هى قوله: تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ

يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ .. الآية .. «۲».

و كان وقت نزولها صبيحة عرس النبى «صلى اللّه عليه و آله» بزينب بنت جحش، فى ذى القعدة سنة خمس «۳».

و عن أنس: ما بقى أحد أعلم بالحجاب منى، و لقد سألنى أبى بن كعب رضى اللّه عنه، فقلت: نزل فى زينب «۴».

و فى رواية عن أنس: أنه فى قضية زينب بنت جحش، أراد أن يدخل مع النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فألقى الستر بينه و بينه، و نزل الحجاب «۵».

---

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۴ عن ابن مردويه، و تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۱۹ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۲۸ و ۲۹ و روح البيان ج ۷ ص ۲۱۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۲۲۴.

(۲) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۷۹ و راجع ص ۲۸۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و راجع سائر المصادر و المراجع التى أشرنا إليها فى هذا البحث حول هذا الزواج.

(۳) تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۴ و حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج ۳ ص ۲۸۵.

(۴) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۳ عن ابن سعد، و ابن مردويه، و ابن جرير. و صحيح مسلم (بهامش إرشاد السارى) ج ۶ ص ۱۷۶ و راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۳ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۹ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۲۷.

(۵) راجع المصادر التالية: الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۱ و ۲۱۳ عن: ابن سعد، و أحمد،-

و دعوى نزول الحجاب فى مناسبة زواجه «صلى اللّه عليه و آله» بزينب موجودة فى كثير من المصادر «۱».

و تتحدث الروايات عن: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أطعم الناس فى مناسبة زواجه بزينب، و تخلف رجال يتحدثون فى بيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، «و زوج رسول اللّه التى دخل بها معهم، مولية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث، فشقوا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و كان

- و النسائى، و البخارى، و أبى يعلى، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و الطبرانى.

و حديث أنس أيضا: رواه الترمذى، و حسّنه، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و راجع ما رواه عنه: ابن سعد، و عبد بن حميد، و البيهقى فى شعب الإيمان و فى السنن، و أحمد، و البخارى، و مسلم، و النسائى، و ابن المنذر.

و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۰ و ۲۸۱ و ۲۸۲ و صحيح مسلم (بهامش إرشاد السارى) ج ۶ ص ۱۷۵ و ۱۷۶ و ۱۷۷ و ۱۷۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۱ و حدائق الأنوار ج ۲ ص ۶۰۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۶ عن البخارى، و مسلم، و النسائى، و الأوائل لابن أبى عاصم ص ۵۳ و سنن النسائى ج ۶ ص ۷۹ و ۸۰ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۹ و السنن الكبرى ج ۷ ص ۸۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۴.

(۱) راجع المصادر التى سبقت و التى ستأتى فى هذا البحث، من قبيل: البحر المحيط ج ۷ ص ۲۴۶ و النهر الماد (بهامش البحر المحيط) ج ۷ ص ۲۴۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۴۷۲ و ج ۳ ص ۴۸۴ و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۹۴ و الإصابة ج ۴ ص ۳۱۳ و سنن النسائى ج ۶ ص ۸۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۴.

أشد الناس حياء الخ ..» «۱».

و قد خرج «صلى اللّه عليه و آله» إلى حجر نسائه، ثم عاد، و تكرر خروجه و عودته، فكان يجدهم فى كل مرة جلوسا على ما هم

عليه، و لم يتغير شيء، فتضايق منهم، ففرض الحجاب «۲».

و قد قال ابن كثير: «فناسب نزول الحجاب فى هذا العرس، صيانة لها، و لأخواتها من أمهات المؤمنين، و ذلك وفق الرأى العمرى ..» «۳».

و نقول:

إن لنا ملاحظات عديدة على هذه الروايات و أمثالها. فنحن نذكرها، ضمن الفقرات التالية:

آية الحجاب:

لقد زعموا: أن آية الحجاب هى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ ...

---

(۱) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۲ و ۲۸۳ و صحيح مسلم (بهامش إرشاد السارى) ج ۶ ص ۱۷۸ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۹۴ و ۲۹۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۲۲۴ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۴ و الجامع الصحيح (مطبوع مع تحفة الأحوذى) ج ۹ ص ۵۹ و ۶۰.

(۲) راجع على سبيل المثال: أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۴ و ۴۳۵ و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۷۳ و ۱۷۴ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۲ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۲۶ و ۲۷ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۳۳.

(۳) البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۷.

و هو زعم لا يمكن قبوله، لأن هذه الآية إنما تنهى الناس عن دخول بيوت النبى «صلى اللّه عليه و آله» من غير إذن .. و ليس فيها أمر للنساء بشيء .. لا بحجاب و لا بغيره ..

و من الواضح: أن اشتراط دخول البيوت بحصول الإذن من أصحابها، له مصالح و موجبات خاصة به، و لعل هذه الموجبات لا ربط لها بأمر الحجاب من الأساس.

مشاجرة زينب مع عمر:

و يلاحظ: أن حديث مشاجرة زينب مع عمر، و قولها له: إنك لتغار علينا، و الوحى ينزل فى بيوتنا، يتناقض مع حديث نزول الحجاب فى مناسبة زواجها، فراجع ..

و يلاحظ هنا: أن سؤال زينب لعمر لا يخلو من لهجة تهكمية، تتضمن إنكار صدق هذه الغيرة منه، ثم الاستنكار عليه فى أن يتدخل فى هذا.

تناقض أسباب فرض الحجاب:

اشارة

ثم إن من يراجع كتب الحديث و التاريخ عند أهل السنة يتبين له: أنها لا تتفق على سبب و مناسبة فرض الحجاب، بل هى متناقضة فى ذلك بصورة ظاهرة كما يظهر من الموارد التالية:

۱- إنهم و إن كانوا قد ذكروا- كما تقدم-: أن الحجاب قد فرض فى مناسبة زواج النبى «صلى اللّه عليه و آله» بزينب بنت جحش، و لكن الواقف عليها يجد أن ثمة اختلافا فى الصيغ، و الخصوصيات فى هذه المناسبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳۴

۲- زعموا: أن عمر قال: وافقت ربى فى ثلاث، أو فى أربع، و ذكر منها: أنه قال لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: يا رسول اللّه، يدخل عليك البر و الفاجر، فلو حجبت أمهات المؤمنين!! فأنزل اللّه عز و جل الحجاب «۱».

و حسب تعبير البخارى و مسلم، عن أنس، قال: قال عمر بن الخطاب:

يا رسول اللّه، إن نساءك يدخل عليهن البر و الفاجر، فلو حجبتهن، فأنزل اللّه آية الحجاب «۲».

فيلاحظ: أن التعبير فى النص الأول: ب «يدخل عليك»، و فى الثانى: ب «يدخل عليهن».

و فى هذا الثانى: إشعار بدخول البر و الفاجر عليهن مطلقا، و لو لم يكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حاضرا. و هو كلام مرفوض جملة و تفصيلا.

۳- و عن عائشة: أنها كانت تأكل مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» حيسا «۳» فى

---

(۱) السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۸۸ و ۵۷ و راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۳ و حاشية الصاوى على الجلالين ج ۳ ص ۲۸۹ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۲۲۷ و راجع ص ۲۲۴ عن الطيالسى عن أنس، و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۳۳ و صحيح البخارى (كتاب التفسير) تفسير سورة الأحزاب.

(۲) راجع: فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۹ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۳ و روح البيان ج ۷ ص ۲۱۵ و غرائب القرآن (بهامش جامع البيان) ج ۲۲ ص ۲۹ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۲۷ و ۲۸ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۲۲۴ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۴۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۳.

(۳) الحيس: طعام من تمر و سمن و سويق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳۵

قعب، فمر عمر، فدعاه، فأكل، فأصابت إصبعه إصبعها.

فقال عمر: أوّه، لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آية الحجاب «۱».

۴- و نص آخر عن مجاهد يزعم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يطعم، و معه أصحابه، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك النبى «صلى اللّه عليه و آله» فنزلت آية الحجاب «۲».

۵- عن عائشة: أن أزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله» كن يخرجن بالليل إذا برزن إلى المناصع- و هو صعيد أفيح يتبرزن فيه- و كان عمر بن الخطاب يقول للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: احجب نساءك فلم يكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يفعل.

فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالى عشاء. و كانت امرأة طويلة، فناداها عمر، بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة. حرصا على أن ينزل الحجاب. فأنزل اللّه تعالى الحجاب.

---

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۳ عن النسائى، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه بسند صحيح. و راجع: طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۷۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۵ و تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۱۹.

و راجع: مجمع الزوائد ج ۷ ص ۶۳ بسند صحيح، و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۳ و عن شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۳ ص ۱۰۸ و فى بعض الروايات عن ابن عباس لم يصرح باسم عائشة.

(۲) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۳ عن ابن جرير، و أنوار التنزيل ج ۴ ص ۱۶۷ و جامع البيان ج ۲۲ ص ۲۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۲ ص ۲۲۵ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۴۶ و حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج ۳ ص ۲۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳۶

قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ .. الآية .. «۱».

و لكن نصا آخر يذكر: أن ذلك قد حصل بعد فرض الحجاب، فقد روى عن عائشة:

أن سودة قد خرجت لحاجتها بعد ما ضرب الحجاب، فناداها عمر: يا سودة، إنك- و اللّه- ما تخفين علينا، فانظرى كيف تخرجين.

فانكفأت راجعة، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى بيتها، و إنه ليتعشى، و فى يده عرق، فدخلت و قالت:

يا رسول اللّه، إنى خرجت لبعض حاجتى، فقال لى عمر كذا، و كذا.

فأوحى إليه، ثم رفع عنه، و إن العرق فى يده.

فقال: إنه قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكن «۲».

۶- عن ابن عباس: أن رجلا دخل على النبى «صلى اللّه عليه و آله»

---

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۴ عن ابن جرير، و تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۱۹ و جامع البيان ج ۲۹ ص ۴۰ و روح البيان ج ۷ ص ۲۱۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۵۰۵ و ج ۳ ص ۴۸۵ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۸۸ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۸ ص ۱۷۴.

(۲) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۲۱ عن ابن سعد، و البخارى، و مسلم، و البيهقى فى سننه، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و جامع البيان ج ۲۲ ص ۲۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۸۸ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۳۳۰ و تفسير القاسمى ج ۵ ص ۵۳۴ عن البخارى (كتاب التفسير) تفسير سورة الأحزاب، و تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۴۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳۷

فأطال الجلوس، فدخل عمر، فرأى الكراهية فى وجه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فقال للرجل: لعلك آذيت النبى «صلى اللّه عليه و آله»؟!

ففطن الرجل، فقام.

فقال عمر للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: «لو اتخذت حجابا، فإن نساءك لسن كسائر النساء، و هو أطهر لقلوبهن».

فأنزل اللّه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ.

فأرسل إلى عمر، فأخبره بذلك «۱».

قالوا: «و كان عمر (رض) يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة» «۲»، و كان يذكره كثيرا، و كان يود أن ينزل فيه.

و كان يقول: «لو أطاع فيكن ما رأتكن عين» «۳».

۷- روى: أن النساء كن يخرجن إلى المسجد، و يصلين خلف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فإذا كان بالليل، و خرجن إلى صلاة المغرب، و العشاء، و الغداة، يقعد الشباب لهن فى طريقهن، فيؤذونهن، و يتعرضون لهن، فنزلت الآية: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً

---

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۳ عن ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه. و أنوار التنزيل ج ۴ ص ۱۶۷. و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۳.

(۲) غرائب القرآن (بهامش جامع البيان) ج ۲۲ ص ۲۹.

(۳) روح البيان ج ۷ ص ۲۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳۸

رَحِيماً «۱».

۸- و فى بعض الروايات: أن الناس لم يقوموا من مجلسهم فى وليمة زينب، إلا بعد نزول آية الحجاب، و ضرب الرسول الحجاب «۲».

۹- و تذكر بعض الروايات عن قتادة: أن الذين أكلوا، و جلسوا يتحدثون، و طال مكوثهم، إنما كانوا فى بيت أم سلمة، و أن الأمر بالحجاب قد صدر فى هذه المناسبة «۳».

۱۰- و فى بعض الروايات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» مر بنساء من نسائه، و عندهن رجال يتحدثون، فكره ذلك. و كان إذا كره الشيء عرف فى وجهه.

فلما كان العشى خرج، فصعد المنبر، فتلا هذه الآية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ .. «۴».

---

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۱۹۰ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۹۶ و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۷۶.

(۲) المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۸ و ۴۹ و حاشية الصاوى على الجلالين ج ۳ ص ۲۸۵ و أشار فى هامش المعجم الكبير إلى مصادر كثيرة.

(۳) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۱۳ عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و جامع البيان ج ۲۲ ص ۲۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۲۲۴ عن الثعلبى. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۱۴ ۱۳۸ تناقض أسباب فرض الحجاب: ..... ص : ۱۳۳

لمنثور ج ۶ ص ۶۴۰ عن أحمد، و عبد بن حميد، و النسائى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و البيهقى فى سننه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۳۹

۱۱- و عند الترمذى عن أنس: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أتى باب امرأة عرس بها، فإذا عندها قوم، فانطلق فقضى حاجته، فاحتبس ثم رجع و عندها قوم، فانطلق فقضى حاجته، فرجع و قد خرجوا، فدخل، و أرخى بينى و بينه سترا الخ .. «۱».

و لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، هى التالية:

ألف: من تناقضات الروايات:

إن من يقارن بين نصوص الروايات المتقدمة يجد: أنها مختلفة فيما بينها إلى حد التناقض فى العديد من الموارد، و لذلك حاول البعض الجمع بينها كما يلى:

قال الزرقانى: «قال الحافظ: يمكن الجمع: بأن ذلك (أى نصيحة عمر للنبى بحجاب نسائه) وقع قبيل قصة زينب، فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب. و لا مانع من تعدد الأسباب» «۲».

و نقول:

إن روايات قضية الحجاب كلما رتقت من جانب، فتقت من جانب، إذ إن هناك تناقضات أخرى لا ينفع فيها هذا الجمع، مثل قولهم: إن ذلك كان فى بيت أم سلمة.

و مثل التناقضات بين روايات الحجاب فى قضية زينب نفسها.

و التناقضات التى بين روايات نصيحة عمر.

(۱) الجامع الصحيح (مطبوع مع تحفة الأحوذى) ج ۹ ص ۵۸.

(۲) شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۰

و هل كان الذى يأكل مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» خصوص عمر، أو هو و آخرون؟! أو غير ذلك؟ فراجع و قارن.

و الذى يبدو لنا هو: أن الحجاب- كما سيأتى- كان مفروضا من أول الإسلام استمرارا لأحكام الشرائع السابقة .. و لكن تسامح الناس فى رعاية هذا الأمر دعا إلى نزول آيات فى موارد عديدة، من أجل تذكير الناس بما يجب عليهم، و لتؤكد ضرورة الالتزام بأحكام اللّه سبحانه ..

ب: حماسة عمر لفرض الحجاب:

و يلاحظ هنا: أنهم يدّعون: أن عمر كان مهتما بفرض الحجاب، بحجة أنه يدخل على نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله» البر و الفاجر، و بحجة أن ذلك أطهر لقلوبهن. فجاء القرآن بموافقته.

و لكننا نجد فى النصوص ما يشير: إلى أن عمر نفسه لم يكن مهتما بحجاب نسائه. و ذلك مثلما روى: من أن سلمة بن قيس أرسل رجلا إلى عمر، يخبره بواقعة من الوقائع، فلما قدم له عمر الطعام نادى امرأته أم كلثوم بنت على: ألا تأكلين معنا؟

فقالت له: لو أردت أن أخرج لكسوتنى، كما كسا ابن جعفر، و الزبير، و طلحة نساءهم «۱».

و إنما نورد هذه الرواية: لإلزام هؤلاء الناس بها، و إن كنا نحن نعتقد بعدم صحتها، و ذلك للأمور التالية:

(۱) المرأة فى عالمى العرب و الإسلام ج ۲ ص ۱۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۱

۱- إنهم يذكرون: أنه قد دعا زوجته أم كلثوم بنت على لتأكل معهم، مع أن هناك من يعلن التشكيك بأصل زواج عمر بأم كلثوم ..

و لو أغمضنا النظر عن هذا الأمر، فإننا نقول:

إن أم كلثوم كانت آنئذ صغيرة السن، إلى حد: أن عمر قد اضطر للاعتذار من الناس على إقدامه على فرض إرادته بالزواج منها.

و نحيل القارئ إلى كتاب صدر لنا بعنوان: «ظلامة أم كلثوم» فإن فيه ما يفيد فى توضيح كثير من الأمور حول أم كلثوم.

۲- إن الجواب المنسوب لأم كلثوم لا يعقل صدوره منها، لأكثر من سبب، فهى:

أولا: تعرف شدة عمر و غلظته، و أنه لا يحتمل إجابات من هذا القبيل.

ثانيا: إن هذه الإجابة لا تناسب أدب أم كلثوم، مع أى كان من الناس، فكيف إذا كان من تخاطبه هو زوجها؟! و كيف إذا كان زوجها خليفة، لا بد لها من حفظ مكانته أمام الناس؟! فلا يصح أن تعيّره بالشح و البخل، و التقتير عليها.

و ثالثا: إن من يتربى فى حجر على «عليه السلام»، و فى بيت النبوة و الإمامة لا يكون همه الدنيا، و لا يقيس نفسه بطلابها.

۳- إنه لم يعهد من أحد من المسلمين أن يبادر إلى الجمع بين زوجته و بين الأجانب على موائد الطعام، خصوصا بعد نزول الحجاب.

و خصوصا إذا كان يضع نفسه فى موقع خلافة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». و خصوصا مع ما ينسبونه إليه من الغيرة، و شدة الحساسية من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۲

اختلاط النساء بالرجال الأجانب.

و أخيرا .. فإننا نظن: أن سبب حشر اسم أم كلثوم فى هذه الواقعة، هو:

التدليل على مصاهرة عمر لعلى من جهة، ثم الإساءة إلى على بنسبة أمور لا تليق إلى ابنته التى رباها بأدب الرسالة و رعاها، و من ثدى العلم و التقوى غذاها.

ج: موافقات عمر:

و اللافت هنا: عد مسألة الحجاب من الموارد التى وافق فيها عمر ربه.

مع أن الروايات قد تحدثت عن أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه لم يكن يفعل ما يطلبه منه عمر فى هذا الشأن.

فكيف يصح أن يكون المخالف لربه هو النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و الموافق له هو رجل آخر، أمضى حياته فى الجاهلية و لم يستضئ بنور العلم، و لم يلتزم فى أكثر عمره بقيم و لا- بأخلاق؟! فهل أدرك هذا الشخص- و هو عمر- ذلك بعقله، و لم يدركه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

أم هل دفعته إليه غيرته، و لم يكن لدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من الغيرة ما يدفعه لذلك؟!

و إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يبادر اللّه إلى تشريعه قبل طلب عمر له؟!

إلا أن يدّعى هؤلاء: أن عمر كان أغير من اللّه عز و جل، أو أنه كان قد أدرك ذلك و عرفه، فى زمن لم يكن اللّه- و العياذ باللّه- قد عرف ذلك؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۳

د: فمرّ عمر:

و عن الرواية التى تذكر مرور عمر على النبى «صلى اللّه عليه و آله» و عائشة، و هما يأكلان حيسا،

نقول:

قد يقال: هل كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يجلس هو و زوجته على قارعة الطريق حتى مر عمر؟!

و يجاب عنه: بأن باب بيت عائشة كان إلى المسجد، فربما كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد فتح الباب، و جلس يأكل مع زوجته، و كان عمر يمشى فى المسجد، فدعاه.

غير أننا نقول:

إن هذه الإجابة، و إن كانت صحيحة بالنسبة للناس العاديين، لكننا نستبعد أن يصدر ذلك من النبى «صلى اللّه عليه و آله» فإننا نجله عن أن يجلس ليأكل مع زوجته فى مكان عام، يراهما الرجال الأجانب، و الفقراء، و المعوزون ..

مع التذكير: بأن الأسئلة التى أوردناها فى الفقرة السابقة آتية هنا أيضا.

على أن اجتماع النساء مع الرجال الأجانب على طعام واحد لم يكن مألوفا فى عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. خصوصا فى مجتمع يفرض على المرأة الخدر، و الصون، و العفة، و لا سيما بعد أن مضى على ظهور الإسلام ما يقرب من عشرين سنة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۴

ه: هلا لنفسك كان ذا التعليم؟

إن الروايات تشير: إلى حرص عمر على أن يبادر النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى حجب نسائه.

و السؤال هو: هل كان عمر قد حجب نساءه أيضا، و هل كان يطلب الحجاب لسائر نساء المؤمنين كما يطلبه لنساء النبى «صلى اللّه عليه و آله»؟!

أم أن غيرته كانت على نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله» دون سواهن؟! خصوصا مع تعليله ذلك بأنه أطهر لقلوبهن، و أنه يدخل عليهن البر و الفاجر، فإن هذا تعليل شامل لجميع النساء، و هو يقتضى: أن يكون عمر حريصا على نساء كل الناس، بما فيهم نساؤه هو ..

فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يدعو زوجته أم كلثوم لتأكل مع ذلك الرجل الغريب حسبما تقدم؟!

و: عمر .. و سودة:

و قد ذكرت بعض تلك الروايات: أن عمر قد تعرض لسودة بنت زمعة، و أنها اشتكته إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و اللافت هنا هو: أن الرواية تذكر: أن الآية التى نزلت فى هذه المناسبة هى قوله تعالى: .. لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ..، مع أنه لا مناسبة بين ما فعله عمر، و بين هذه الآية ..

فلاحظ الرواية المتقدمة فى فقرة: «تناقض أسباب فرض الحجاب» [رقم ۵].

فإن عمر لم يدخل إلى بيوت النبى «صلى اللّه عليه و آله» بغير إذن، و لم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۵

يسألهن متاعا، بل هو قد رآها و هى خارجة لحاجتها، فناداها: قد عرفناك يا سودة.

ز: الخطاب للناس لا للنساء:

قد ذكرنا: أن الآية التى يقال: إنها أمرت النساء بالحجاب، هى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ .. الآية.

و ليس فيها أى خطاب للنساء، بل الخطاب فيها للمؤمنين، و هى تتعرض لأمر لا تدل عليه رواية سودة، و لا رواية زينب، و لا رواية إصابة إصبع عمر لإصبع عائشة، و لا غيرها، ألا و هو دخول الناس بيوت النبى «صلى اللّه عليه و آله» من دون إذن.

بل إن قوله تعالى: وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ و كذلك سائر الفقرات، قد تكون مشيرة إلى أن الحجاب كان مفروضا، و لكن الناس كانوا يتصرفون بصورة غير مؤدبة، و لا مقبولة من الناحية الأخلاقية و الإيمانية.

ح: سودة خرجت ليلا:

إن روايـة سودة تصـرح: بـأن النسـاء كن يخرجن ليلا إلى المناصع، لكن عمر قـد لا حقهن فى هـذا الوقت بالـذات، و عرف سودة من طولها، لا من سفورها.

بل إنها حتى لو سفرت عن وجهها بالليل، فإن ذلك لا يضر، إذ كفى بالليل حجابا و حاجبا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۶

فقول النبى «صـلى اللّه عليه و آله»، بعد شـكوى سودة، و نزول الوحى عليه: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن، فيه رد صريح على عمر، و رفض لتصرفه هذا ..

كما أن نزول الآيـة فى هـذه المناسـبة- على تقـدير القول بنزولها فيها- فيه إدانـة لفعل عمر بالـذات، و ردع له عن التعرض لنساء النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و الهجوم عليهن فى أوقات خلوتهن بأنفسهن، لقضاء حاجتهن.

ط: الأجانب لا يجالسون نساء النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و أمـا الروايـة الأخيرة: فقـد ذكرت أمرا قبيحا، لا يصـح تصـديقه، أو احتماله فى حق نساء رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله». فإن مرور النبى «صـلى اللّه عليه و آله» بنسـاء من نسـائه و عنـدهن رجـال يتحـدثون معنـاه: أن الرجـال- أفرادا و جماعـات- كانوا يجالسون نساء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و لو صـح هـذا: لكان يجب أن يكره النبى «صـلى اللّه عليه و آله» ذلك من أول بعثته و أن ينزل الحجاب منذئـذ. فإنه إذا كان اجتماع النساء بالرجال مألوفا و مسموحا به فقـد كان النبى «صـلى اللّه عليه و آله» متزوجا قبل هـذا التاريخ بعشـرات السـنين و من البعيد أن لا يتفق اجتماع نسائه أو إحـداهن بالرجال أو أن لا يعلم بـذلك طيلـة هذه السـنين المتعاقبة، فلماذا تأخرت كراهته لذلك كل هذه المدة الطويلة؟!

و إذا كـان ذلـك جائزا شـرعا فلماذا كرهه الآن؟! و إن كان مرفوضا شـرعا، فلماذا تأخرت كراهته «صـلى اللّه عليه و آله» لما هو حرام قبل ذلك؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۷

متى فرض الحجاب؟! و متى تزوج صلّى اللّه عليه و آله بزينب؟!

زعموا: أن الحجاب قد نزل فرضه على نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى سنة خمس فى ذى القعدة «۱»، مبتنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بزينب بنت جحش «۲».

و قيل: كان ذلك فى سنة ثلاث «۳».

و سـببه: أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» أولم بمناسـبة زواجه بزينب، فطعم الناس، و بقى رجال ثلاثـة أو اثنان جلوسا يتحدثون، فشق ذلك على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فنزلت آية الحجاب «۴».

---

(۱) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۴۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۹ و سائر المصادر التى تقدمت فى فصل سابق ذكرت فيه قصة الزواج بزينب بنت جحش.

(۲) الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۴ عن ابن سعد عن أنس، و المنتظم ج ۳ ص ۲۲۷ و الأوائل للشيبانى ص ۴۵ و الأوائل لابن أبى عاصم ص ۳۸ و ۵۲ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۹ و غير ذلك من مصادر تقدمت.

(۳) فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۹ و غير ذلك من مصادر تقدمت.

(۴) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۲ و المنتظم ج ۳ ص ۲۲۷ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۵ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۹ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۹۸ و ۲۹۹ و السنن الكبرى ج ۷ ص ۵۷ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۲ و غير ذلك من مصادر تقدمت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۸

و قالوا: إن ذلك كان بعد المريسيع «۱».

و نقول:

إن ذلك غير مسلّم، و ذلك لما يلى:

۱- إن عبد الرزاق يذكر ما يدل على أن الزواج بزينب قد تأخر إلى ما بعد خيبر، قال عبد الرزاق: «ثم نكح صفية بنت حيى، و هى مما أفاء اللّه عليه يوم خيبر، ثم نكح زينب بنت جحش» «۲».

فإن كان الحجاب قد فرض فى مناسبة هذا الزواج، فلا بد من القول بأن الحجاب- بناء على هذا- قد فرض بعد خيبر.

أو يقال: بأنه لا ربط بين فرض الحجاب و بين قضية زينب، و أنه قد فرض قبلها.

۲- ذكروا: أن السبب فى حرب الفجار- التى كانت فى الجاهلية- هو:

أن امرأة من بنى عامر بن صعصعة قدمت مكة، و كانت تلبس برقعا، فأرادها فتيان على كشف وجهها، فرفضت، فحلوا لها طرف درعها، فلما قامت بدت سوأتها، فصرخت، فاجتمع الناس الخ .. «۳».

و هذا يدل على التزام الناس بالحجاب إلى حد تغطية الوجه قبل الإسلام بعشرات السنين، و لعل هذا الأمر من بقايا الحنيفية التى هى دين

---

(۱) راجع: طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۵۷ و ۸۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۴۱۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۳ و سائر المصادر التى تقدمت حين الكلام حول تاريخ هذا الزواج.

(۲) المصنف ج ۷ ص ۴۹۰.

(۳) المنمق ص ۱۶۳ و الأغانى ج ۱۹ ص ۷۴ و العقد الفريد ج ۳ ص ۳۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۴۹

إبراهيم «عليه السلام».

۳- زعموا أن عائشة حينما تخلفت عن الجيش فى غزوة المريسيع، و صادفها صفوان بن المعطل خمرت وجهها بجلبابها «۱».

و من الواضح: أن هذه القضية- كما يزعمون- قد كانت قبل قضية الحجاب، لأن الحجاب قد كان بعد المريسيع. و لم نجد ما يدل على أن عائشة كانت تستر وجهها عن الناس قبل نزول الحجاب.

۴- و يقولون: إن سبب غزوة بنى قينقاع هو: أن امرأة من المسلمين قد جاءت إلى سوقهم، فجلست عند صائغ لأجل حلى لها، فأرادوها على كشف وجهها، فأبت. فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت بدت سوأتها، فضحكوا منها، فصرخت، فعدا مسلم على من فعل ذلك بها فقتله، و شدت اليهود على المسلم فقتلوه، ثم كانت الحرب «۲».

و قد كان هذا فى أوائل سنى الهجرة، كما هو معلوم.

۵- بل إنهم يذكرون- فى قصصهم عن بدء الوحى-: ما يدل على معرفة الناس بالحجاب، و تعاملهم به قبل البعثة أيضا الأمر الذى يشير إلى أن ذلك فيهم من بقايا دين الحنيفية التى كان لها حضور فى العرب، و لا سيما فى بنى هاشم، و من يدور فى فلكهم، فقد ذكروا- و إن كنا قد ناقشنا ذلك فى موضعه من هذا الكتاب-: أن خديجة قد عرفت: أن الذى يأتى للنبى

(۱) راجع: المجلد الثانى عشر من هذا الكتاب و راجع: البحار ج ۲ ص ۵ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۲۰۳.

(۲) راجع: الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۳۷ و ۱۳۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳ و ۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۰

«صلى اللّه عليه و آله» بالوحى هو ملك؛ بأن قد تحسرت، فشالت خمارها، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى حجرها، فذهب الملك، فلما استترت أتاه «۱». فراجع.

۶- بل إن نفس حديث الزواج بزينب قد دل على: أن الحجاب كان مفروضا قبل ذلك؛ لأن النصوص ذكرت: أن زينب قالت: «فلما انقضت عدتى لم أعلم إلا و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد دخل علىّ بيتى، و أنا مكشوفة الشعر، فعلمت أنه أمر من السماء» «۲».

۷- و فى حديث زواج الزهراء «عليها السلام» الذى كان فى أوائل الهجرة ما يدل على وجوب الحجاب أيضا، فقد ذكروا: أن أم سلمة أتت بفاطمة الزهراء «عليها السلام» إلى أبيها «صلى اللّه عليه و آله» «فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها، حتى رآها على «عليه السلام»، ثم أخذ يدها، فوضعها فى يد على الخ ..» «۳».

هذا .. و قد كان الحجاب مفروضا فى الديانتين اليهودية و المسيحية، و عند الأمم السالفة، و عند عرب الجاهلية.

و نحن نذكر بعض الشواهد على ذلك فيما يلى:

(۱) راجع: الصحيح من سيرة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» ج ۳ ص ۱۰ و ۱۱.

(۲) تقدمت مصادر ذلك فى فصل: زينب بنت جحش فى حياة الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، فى الفقرة التى بعنوان: اللّه المزوج، و جبريل الشاهد، فراجع.

(۳) الأمالى للطوسى ج ۱ ص ۴۱ و البحار ج ۴۳ ص ۹۶ و مسند فاطمة ص ۲۰۰ و ۲۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۱

الحجاب فى الكتب القديمة:

اشارة

إن المراجع للكتابين اللذين يقال لهما: العهد القديم، و العهد الجديد، أى ما يسمى ب «التوراة» و «الإنجيل»، يجد فيهما نصوصا تؤكد على الحجاب، فلاحظ ما يلى:

۱- العهد القديم «التوراة»:

فمن النصوص الواردة فيما يسمى بالتوراة، أو العهد القديم، ما يلى:

ألف: «قالت للعبد: من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائى؟!

فقال العبد: هو سيدى.

فأخذت البرقع و تغطت» «۱».

ب: «و قيل لها: هو ذا حموك صاعد إلى تمنة ليجزّ غنمه. فخلعت عنها ثياب ترمّلها، و تغطت ببرقع، و تلفّفت و جلست فى مدخل عينايم، التى على طريق تمنة، لأنها رأت أن شيلة قد كبر الخ ..» «۲».

ج: إن تامار «قامت و مضت، و خلعت عنها برقعها، و لبست ثياب ترمّلها» «۳».

د: تقول المرأة: «أخبرنى يا من تحبه نفسى، أين ترعى عند الظهيرة؟ أين تربض؟ لماذا أنا أكون مقنعة عند قطعان أصحابك»؟ «۴».

---

(۱) نعمة الحجاب فى الإسلام ص ۱۰ و ۱۱ و سفر التكوين الإصحاح ۲۴ رقم ۶۵.

(۲) نعمة الحجاب فى الإسلام ص ۱۱ و سفر التكوين الإصحاح ۳۸ رقم ۱۳ و ۱۴.

(۳) سفر العدد، الإصحاح ۳۸ عدد ۱۹.

(۴) نعمة الحجاب ص ۱۱ و النشيد الخامس من أنا شيد سليمان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۲

ه: و فيه أيضا: أن اللّه سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن، و المباهاة برنين خلاخيلهن، بأن «ينزع السيد فى اليوم عنهن زينة الخلاخيل و الضفائر، و الأهلة، و الحلق، و الأساور، و البراقع، و العصائب» «۱».

و: و يقول ويل ديورانت: لو أن امرأة نقضت القانون فى المجتمع اليهودى بأن خرجت إلى الرجال دون أن تغطى رأسها، أو أنها اشتكت إلى رجل، و رفعت صوتها من دارها حتى سمعوا جيرانها، كان لزوجها الحق فى أن يطلقها دون أن يدفع مهرها «۲».

ز: و فى مقام تهديد المرأة إذا عصت، قال فى العهد القديم: «إكشفى نقابك، شمرى الذيل، اكشفى الساق، اعبرى الأنهار، تنكشف عورتك، و ترى معاريك» «۳».

۲- العهد الجديد: «الإنجيل»:

و مما ورد فى العهد الجديد قول بولس: إن النقاب شرف للمرأة، «فإن كانت ترخى شعرها فهو مجدلها، لأن الشعر بديل من البرقع» «۴».

و لعله يقصد: التستر بالشعر، إذا لم تجد سواه.

قالوا: «و كانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلقى

---

(۱) أشعيا الإصحاح ۳.

(۲) قصة الحضارة ج ۱۴ ص ۳۴.

(۳) سفر التكوين الإصحاح ۴۷ فقرة ۳.

(۴) رسالة كورنتوش الأولى، و نعمة الحجاب فى الإسلام ص ۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۳

الغرباء، و تخلعه حين تنزوى فى الدار بلباس الحداد» «۱».

الحجاب فى الجاهلية:

اشارة

من الألبسة المشهورة فى الجاهلية: الخمار، القناع، البرقع، اللثام. و كانت المرأة فى الجاهلية تغطى رأسها بخمار و تقاتل «۲».

و نحن نكتفى هنا بإيراد نماذج من الشعر العربى الذى يحمل معه دلالات على موضع الحجاب فى الجاهلية، و هى التالية:

۱- قال النابغة الذبيانى، و كان قد دخل على النعمان بن المنذر، و كانت معه زوجته، فسقط نصيفها، فسترت وجهها بيديها:

سقط النصيف و لم ترد إسقاطهفتناولته و اتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانهعنم يكاد من اللطافة يعقد ۲- و قال عنترة بن شداد:

و كشفت برقعها فأشرق وجههاحتى كان الليل صبحا مسفرا «۳» ۳- و قال عنترة أيضا:

و حولك نسوة يدنين حزناو يهتكن البراقع و اللفاعا

---

(۱) المرأة و الإسلام ص ۱۳۴ و مكانة المرأة ص ۱۰۸ و المرأة فى القرآن الكريم للعقاد ص ۱۰۱.

(۲) مكانة المرأة ص ۱۱۳.

(۳) راجع: نعمة الحجاب فى الإسلام ص ۱۵ و المرأة المعاصرة لعبد الرسول الغفار ص ۴۴ و ۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۴

۴- و قال أيضا:

جفون العذارى من خلال البراقعأحدّ من البيض الرقاق القواطع ۵- و قال أيضا:

إن تغدفى دونى القناع فإننىطب بأخذ الفارس المستلئم «۱» ۶- و قال الفند الزمانى المتوفى سنة ۹۵ قبل الهجرة:

يوم لا تستر أنثى وجههاو نفوس القوم تنزو فى الحلوق ۷- و قال الشنفرى، المتوفى سنة ۵۱۰ م، يصف زوجته أميمة:

لقد أعجبتنى لا سقوطا قناعهاإذا ما شأت أو لا بذات تلفت ۸- و قال الحارث اليشكرى، المتوفى سنة ۵۰ قبل الهجرة:

فضعى قناعك إن ريب‌الدهر قد أفنى معدا «۲» ۹- و من الأمثال المعروفة قولهم: «ذكرنى فوك حمارى أهلى».

و هو أن رجلا خرج يطلب حمارين ضلا له، فرأى امرأة متنقبة، فأعجبته حتى نسى الحمارين، فلم يزل يطلب إليها حتى سفرت له، فإذا هى فوهاء (أى واسعة الفم، أو أن أسنانها الطويلة تخرج من بين شفتيها).

فحين رأى أسنانها ذكر حماريه، فقال: ذكرنى فوك حمارى أهلى .. و أنشأ يقول:

---

(۱) الصحاح فى اللغة ج ۳ ص ۱۲۷۳.

(۲) راجع هذه الطائفة من الأبيات فى كتاب المرأة المعاصرة لعبد الرسول عبد الحسن الغفار ص ۴۴ و ۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۵ ليت النقاب على النساء محرمكى لا تغر قبيحة إنسانا «۱» و لنا أن نحتمل: أن يكون العرب قد أخذوا هذا الحجاب من دين الحنيفية، و رأوا أن ذلك ثابت فى الديانات الأخرى كاليهودية و النصرانية، و وافق ذلك هوى نفوسهم، و ما لديهم من شعور بالغيرة على النساء، فالتزموا به.

المجتمع الإيرانى القديم:

و فى المجتمع الإيرانى القديم، كان يحرم على المرأة ذات البعل النظر إلى أبيها و إخوتها، و كذلك يحرم عليهم النظر إليها.

و كان نساء الطبقات العليا لا يخرجن من بيوتهن إلا فى هوادج مسجفة «۲».

و قالوا أيضا: «إن نساء الفرس كن يتحجبن قبل ظهور الإسلام» «۳».

المجتمع الهندى:

و فى المجتمع الهندى كان الحجاب و حدوده عسيرا بالنسبة إلى المرأة، و إن كان التاريخ لم يبين لنا بداية نشوء الحجاب فى ذلك المجتمع، هل هو قبل الإسلام أم بعده «۴».

---

(۱) مجمع الأمثال للميدانى ج ۲ ص ۳ و ۴.

(۲) راجع: قصة الحضارة ج ۲ ص ۴۴۲.

(۳) المرأة فى عالمى العرب و الإسلام ص ۱۶۱.

(۴) قصة الحضارة ج ۲ ص ۲۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۶

و المرأة المحترمة لا تستطيع أن تبدى نفسها لغير زوجها و أبنائها، و لا يمكنها الإنتقال خارج دارها إلا مستورة بقناع سميك «۱».

المملكة الرومانية:

و فى دائرة المعارف الكبرى: أن النساء فى المملكة الرومانية «كن يغالين فى الحجاب لدرجة أن الدايه- القابلة- لا تخرج من دارها إلا مخمورة «۲»، و وجهها ملثم باعتناء زائد، و عليها رداء طويل يلامس الكعبين، و فوق ذلك كله عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها» «۳».

قدماء اليونان:

قال الدكتور محمود سلام زناتى عن المرأة فى التقاليد اليونانية القديمة:

«إذا خرجت تلزمها التقاليد بوضع حجاب ثقيل، يخفى معالم وجهها، و أن يرافقها أحد أقاربها الذكور، أو أحد الأرقاء».

و قالوا عنها: «إنها كانت تحبس فى البيت» «۴».

و قالوا أيضا: «و لقد كان فى وسعها إذا تحجبت الحجاب اللائق بها، و صحبها من يوثق به أن تزور أقاربها و أخصائها، و أن تشترك فى الإحتفالات الدينية، و منها مشاهدة التمثيل. أما فيما عدا هذا فقد كان

---

(۱) قصة الحضارة ج ۳ ص ۱۸۱.

(۲) أى: لا بسة خمارها.

(۳) المرأة المعاصرة ص ۴۱ و حقوق المرأة و شؤونها الاجتماعية ص ۶۶.

(۴) قصة الحضارة ج ۷ ص ۱۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۷

ينتظر منها أن تقبع فى منزلها، و أن لا تسمح لأحد أن يراها من النافذة.

و كانت تقضى معظم وقتها فى جناح النساء، القائم فى مؤخرة الدار. و لم يكن يسمح لزائر من الرجال أن يدخل فيه، كما لم يكن يسمح لها بالظهور إذا كان مع زوجها زائر» «۱».

و قالت فتوى صادرة عن مشيخة الأزهر:

«إن حجاب النساء كان معروفا و معمولا به قبل مجيء الإسلام بقرون كثيرة فى جميع الأمم المعروفة بالمدينة.

و قد أخذه عنهم اليونانيون و الرومانيون على أقصى ما يعرف عنه من التشديد قبل الإسلام بأكثر من ألف سنة. و كان الإسرائيليون جارين عليه أيضا على عادة معاصريهم الخ ..» «۲».

تغطية الوجه فى حياة النبى صلّى اللّه عليه و آله:

بقى أن نشير: إلى أن تغطية الوجه كانت شائعة فى زمن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و بعده.

و لهذا الأمر شواهد كثيرة، نذكر مما كان من ذلك فى حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله» ما يلى:

۱- قد تقدم: أن تغطية الوجه كان شائعا فى الجاهلية.

---

(۱) قصة الحضارة ج ۷ ص ۱۱۸.

(۲) المرأة فى عالمى العرب و الإسلام لعمر رضا كحالة ج ۲ ص ۱۶۲ عن الرسالة بالقاهرة سنة ۱۹۳۶ م العدد ۱۶۱ ص ۱۲۷۹ و مجلة الأزهر المجلد السابع الجزء الخامس.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۸

۲- إن سبب حرب الفجار هو أن بعضهم أراد امرأة على كشف وجهها، فى قصة شبيهة لما جرى للمرأة التى كانت سببا لحرب قينقاع، فراجع «۱».

۳- حديث المرأة التى أرادها بنو قينقاع على كشف وجهها، فامتنعت، ثم كانت غزوة بنى قينقاع بسبب ذلك «۲».

۴- زعموا: أن عائشة حينما تخلفت عن الجيش فى غزوة المريسيع، و صادفها صفوان بن المعطل خمرت وجهها بجلبابها منه «۳».

۵- إنه حين زواج على بالسيدة الزهراء «عليهما السلام»، جاءت أم سلمة بالصديقة الطاهرة إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فكشف الرداء عن وجهها، حتى رآها على «۴».

۶- استأذن أعمى على فاطمة «عليها السلام»، فحجبته.

فقال لها النبى «صلى اللّه عليه و آله»: لم حجبته و هو لا يراك؟

فقالت: إن لم يكن يرانى، فأنا أراه، و هو يشم الريح.

---

(۱) راجع: المنمق ص ۱۶۳ و الأغانى ج ۱۹ ص ۷۴ و العقد الفريد ج ۳ ص ۳۶۸.

(۲) راجع: الجزء الرابع عشر من هذا الكتاب.

(۳) راجع: الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۳۷ و ۱۳۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳ و ۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰۸ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۷۶.

(۴) أمالى الطوسى ج ۱ ص ۴۱ و البحار ج ۴۳ ص ۴۶ و مسند فاطمة الزهراء «عليها السلام» ص ۲۰۰- ۲۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۵۹

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أشهد أنك بضعة منى «۱».

۷- و استأذن ابن أم مكتوم على النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و عنده حفصة و عائشة، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «قوما، فادخلا البيت».

فقالتا: إنه أعمى.

فقال: إن لم يكن يراكما، فإنكما تريانه «۲».

۸- و عن أم سلمة: كنت عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و عنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، و ذلك بعد أن أمر بالحجاب.

فقال: احتجبا.

فقلنا: يا رسول اللّه، أليس أعمى؟!

قال: أفعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟! «۳».

---

(۱) مسند فاطمة الزهراء «عليها السلام» ص ۳۳۷ و مناقب الإمام على «عليه السلام» لابن المغازلى ص ۳۸۹ و ۳۸۱ و البحار ج ۴۳ ص ۹۱ و ۹۲ و ج ۱۰۰ ص ۲۵۰ و عن نوادر الراوندى ص ۱۳ و فاطمة بهجة قلب المصطفى ص ۲۵۸ و العوالم ج ۱۱ ص ۱۲۳ و إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۲۵۸ و مستدرك الوسائل ج ۱۴ ص ۲۸۹ و ۱۸۲ و فى هامشه عن الجعفريات ص ۹۵ و دعائم الإسلام ج ۲ ص ۲۱۴.

(۲) الكافى ج ۵ ص ۵۳۴ و وسائل الشيعة ج ۲۰ ص ۲۳۲.

(۳) وسائل الشيعة ج ۲۰ ص ۲۳۲ عن مكارم الأخلاق ص ۲۳۳. و راجع: مسند أحمد ج ۶ ص ۲۹۶ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۱۰۲ و ج ۴ ص ۱۹۲ و جوامع الجامع (ط سنة ۱۴۲۰ ه) ج ۲ ص ۶۱۶ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۴۲۴ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۹۷ و الكبائر للذهبى ص ۱۷۷ و غوالى اللآلى ج ۲ ص ۱۳۴ و البحار ج ۱۰۱ ص ۳۷ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۷۲ و السنن الكبرى للبيهقى-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۰

۹- و فى رواية أخرى: أن فاطمة «عليها السلام» أرادت أن تأتى إلى أبيها، فتبرقعت ببرقعها، و وضعت خمارها على رأسها تريد النبى «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

و لكن فى بعض فقرات هذا الرواية إشكال، و إنما أوردناها بناء على أنه لا مانع من الأخذ بمفاد سائر الفقرات، فإن العلماء يأخذون بالفقرات السليمة، خصوصا إذا وجدوا الشاهد و المؤيد لها.

و كانت تتضمن معنى مستقلا لا يتوقف على مضمون الفقرة المشكوك فى سلامتها.

۱۰- دخل أبو بكر على الرسول «صلى اللّه عليه و آله» حين توفى:

«و النسوة حوله، فخمرن وجوههن، و استترن من أبى بكر» «۲».

۱۱- رووا: أن حمل بن مالك مرّ بأثيلة بنت راشد، و قد رفعت برقعها

- ج ۷ ص ۹۲ و تحفة الأحوذى ج ۸ ص ۵۱ و سنن النسائى ج ۵ ص ۳۹۳ و صحيح ابن حبان ج ۱۲ ص ۳۹۰ و المعجم الكبير ج ۲۳ ص ۳۰۲ و كنز العمال ج ۵ ص ۳۲۸ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۱۲ ص ۲۲۸ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۴ و الدر المنثور ج ۵ ص ۴۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۸ ص ۱۷۶- ۱۷۸ و تاريخ بغداد ج ۳ ص ۲۲۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۴ ص ۴۳۳- ۴۳۶ و تهذيب الكمال ج ۲۶ ص ۱۸۲ و ۱۸۴ و ج ۲۹ ص ۳۱۳ و سير أعلام النبلاء ج ۹ ص ۴۵۵ و الجمل للمفيد ص ۸۰.

(۱) البحار ج ۳۹ ص ۲۰۷ و بشارة المصطفى ص ۱۶۳ و مسند فاطمة «عليها السلام» للتويسر كانى ص ۲۶۳.

(۲) السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۴۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۱

عن وجهها، و هى تهش على غنمها، فلما أبصرها، و نظر إلى جمالها أرادها على نفسها، فرفضت .. فجرى بينهما صراع و نزاع، فضربته بفهر شدخت به رأسه فمات.

فاشتكت هذيل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فأهدر النبى دمه «۱».

۱۲- لما أسلمت هند بنت عتبة فى فتح مكة جاءت إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و كلمته ببعض القول، «و كشفت عن نقابها فقالت: أنا هند بنت عتبة.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: مرحبا بك الخ ..» «۲».

و ليس فى الرواية: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد نظر إليها حين سفرت عن وجهها، كما أنه ليس فيها ما يدل على رضاه بكشف وجهها، خصوصا، و أنه لا تزال فى موقع العداء له، و يريد «صلى اللّه عليه و آله» أن يتألفها على هذا الدين و يقنعها بالدخول فيه.

۱۳- عن عائشة قالت: كان الركبان يمرون بنا، و نحن مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» محرمات، فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه «۳».

---

(۱) أسد الغابة ج ۳ ص ۹۴ و ۹۵ و الإصابة ج ۲ ص ۲۵۹.

(۲) كتاب التوابين لعبد اللّه بن قدامة ص ۱۲۲ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۲۳۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۷ ص ۱۷۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۵۵ و المغازى النبوية لموسى بن عقبة ص ۳۵۹.

(۳) منتهى المطلب ج ۳ ص ۷۹۱ و تذكرة الفقهاء ج ۷ ص ۳۳۷ و ۳۳۸ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۴۱۲ و الشرح الكبير ج ۳ ص ۳۲۹ و المجموع للنووى ج ۷ ص ۲۵۰ و تلخيص الحبير ج ۷ ص ۴۵۲ و المغنى لابن قدامة ج ۳ ص ۳۲۶-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۲

۱۴- و فى حديث إسلام عكرمة، وردت العبارة التالية: «ثم جلس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فوقف بين يديه، و زوجته متنقبة» «۱».

۱۵- و يؤيد ما تقدم: أن أبا طالب حين جاء إلى خديجة وقف خلف الحجاب، فسلمت عليه خديجة «۲».

۱۶- و قالت خديجة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى حديث الزواج:

«ادن منى فلا حجاب اليوم بينى و بينك، ثم رفعت عنها الحجاب».

إلى أن قال: «عرضوا على خديجة و كانت جالسة خلف الحجاب» «۳».

۱۷- و فى رواية: استشهد شاب من الأنصار يقال له: خلاد يوم بنى قريظة، فجاءت أمه متنقبة، فقيل لها: تتنقبين يا أم خلاد و قد رزئت بخلاد!

فقالت: لئن رزئت خلادا، فلم أرزء حيائى، فدعا له النبى «صلى اللّه عليه و آله» و قال: إن له أجرين لأن أهل الكتاب قتلوه «۴».

- و مسند أحمد ج ۶ ص ۳۰ و السنن الكبرى ج ۵ ص ۴۸ و نصب الراية ج ۳ ص ۱۸۹ و نيل الأوطار ج ۵ ص ۷۰.

(۱) المغازى النبوية لموسى بن عقبة ص ۳۶۰.

(۲) البحار ج ۱۶ ص ۶۸.

(۳) البحار ج ۱۶ ص ۵۲.

(۴) مسكن الفؤاد للشهيد الثانى ص ۷۱ و منتخب كنز العمال ج ۱ ص ۲۱۲ مع اختلاف فى ألفاظه. و راجع: السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۷۵ و مسند أبى يعلى ج ۳ ص ۱۶۵ و كنز العمال ج ۳ ص ۷۶۱ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۵۳۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴ ص ۳۲۸ و أسد الغابة ج ۲ ص ۱۲۰ و تهذيب الكمال ج ۲۴ ص ۵۶ و المغارید عن رسول اللّه لأبى يعلى ص ۱۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۳

۱۸- و روى أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لفاطمة «عليها السلام»: أى شىء خير للمرأة؟

قالت: أن لا يراها رجل.

فضمها إليه، و قال: ذرية بعضها من بعض «۱».

و فى نص آخر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» سأل أصحابه هذا

---

(۱) هذا الحديث مروى عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و عن الإمام الصادق «عليه السلام»، و عن على «عليه السلام»، فراجع نصوصه هذه فى: البحار ج ۴۳ ص ۸۴ و ۵۴ و ج ۱۰۰ ص ۲۳۹ و ج ۱۰۱ ص ۳۶ و وسائل الشيعة ج ۲۰ ص ۲۳۲ و ۶۷ و إحقاق الحق ج ۹ ص ۲۰۲ و ۲۰۳ عن البزار و ج ۱۰ ص ۲۲۴ و ۲۲۶ عن مصادر كثيرة.

و راجع: مجمع الزوائد ج ۴ ص ۲۵۵ و ج ۹ ص ۲۰۳ و كشف الأستار عن مسند البزار ج ۳ ص ۲۳۵ و فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ۳ ص ۱۵۳ و ۵۴ عن كنز العمال ج ۸ ص ۳۱۵. و راجع: الكبائر للذهبى ص ۱۷۶ و دعائم الإسلام ج ۲ ص ۱۲۴ و ۲۱۵ و ۲۱۴ و إسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص ۱۷۱ و ۱۷۲ و ۱۹۱ و كشف الغمة ج ۲ ص ۹۲ و مكارم الأخلاق ص ۲۳۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۳ ص ۱۱۹ و عوالم العلوم ج ۱۱ ص ۱۹۷ و مقتل الخوارزمى ج ۱ ص ۶۲ و حلية الأولياء ج ۲ ص ۴۱ و مناقب الإمام على «عليه السلام» لابن المغازلى ص ۳۸۱ و مناقب أمير المؤمنين على «عليه السلام» للقاضى محمد بن سليمان الكوفى ج ۲ ص ۲۱۰ و ۲۱۱ و ضياء العالمين (مخطوط) ج ۲ قسم ۳ ص ۱۴ عن المناقب. و الدرة اليتيمة فى بعض فضائل السيدة العظيمة ص ۳۱. و ثمة مصادر كثيرة أخرى ذكر شطرا منها فى كتاب عوالم العلوم. و غيره من كتب الحديث و السيرة و التاريخ.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۴

السؤال، قال على: فعيينا بذلك كلنا حتى تفرقنا ..

ثم ذكر: أنه «عليه السلام» رجع و سأل فاطمة عن ذلك .. فأجابته بما تقدم، فرجع إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فأخبره.

و فى تنبيه الغافلين عن أبى هريرة قال: خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فإذا أنا بامرأة متنقبة، قائمة على الطريق، فقالت: يا أبا هريرة، إنى قد ارتكبت ذنبا عظيما، فهل لى من توبة؟

فقلت: و ما ذنبك؟

قالت: إنى زنيت، و قتلت ولدى من الزنى.

فقلت لها: هلكت و أهلكت و اللّه، ما لك من توبة، فشهقت شهقة خرت مغشيا عليها و مضت.

فقلت فى نفسى: أفتى و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بين أظهرنا!! فلما أصبحت غدوت إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قلت: يا رسول اللّه، إن امرأة استفتتنى البارحة بكذا و كذا.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إنا للّه و إنا إليه راجعون، أنت و اللّه هلكت و أهلكت أين كنت عن هذه الآية: وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا- يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لا- يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً، يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً، إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً «۱».

(۱) الآيات ۶۸- ۷۰ من سورة الفرقان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۵

قال: فخرجت من عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أنا أعدو فى سكك المدينة و أقول من يدلنى على امرأة استفتتنى البارحة كذا و كذا الخ .. «۱».

هل كان على عليه السّلام يجهل الجواب؟!

و قد يقال: إن الرواية الأخيرة تريد أن تنسب إلى على «عليه السلام» أيضا أنه لم يكن يعرف الإجابة، حتى استفادها من فاطمة الزهراء «عليها السلام»!! إن هذا الأمر لا يمكن تصوره فى حق باب مدينة علم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و من عنده علم الكتاب.

و الجواب: أن النبى و عليا «صلوات اللّه و سلامه عليهما و على آلهما» كانا يريدان إظهار فضل فاطمة «عليها السلام» للناس، و تعريفهم بعلمها، و بطهر ضميرها، و بطريقة تفكيرها.

و الدليل على ما نقول: نفس سؤال النبى «صلى اللّه عليه و آله» لهم، لأنه «صلى اللّه عليه و آله» عارف بما يسأل، و لا يريد أن يستزيد إلى علمه علما، فهو إنما يسأل بهدف إظهار أمر ما لغيره، و بدواع أخرى ..

و على هذا الأساس، فإن عليا لم يكن مكلفا بالإجابة.

و أما قوله «عليه السلام»: فعيينا بذلك كلنا حتى تفرقنا، فالمقصود به هو: الحاضرون المسؤولون الحقيقيون. فهو كقوله «عليه السلام»: كنا إذا حمى الوطيس لذنا برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». فإن عليا «عليه

(۱) كتاب التوابين لعبد اللّه بن قدامة ص ۱۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۶

السلام» لم يكن يفر من وجه أعدائه، و لكنه يتحدث عن الذين كانوا معه من سائر المسلمين، و لكن لا يليق به أن يخصهم بالذكر؛ لأن ذلك قد يؤذى مشاعر بعضهم .. فآثر أن يطلق الكلام من غير تقييد، على طريقة إطلاق القول بأن أهل البلد الفلانى كرماء، أو شجعان، فإن ذلك لا يعنى أن لا يكون فيهم بخيل، أو جبان أصلا، بل هو يدل على أن الغالب على أهل ذلك البلد هو الشجاعة و الكرم.

و كلمة «كلنا» فى قوله «عليه السلام»: «فعيينا كلنا»، جيء بها لتأكيد الشمول لأشخاص الحاضرين معه، المقصودين بالسؤال مع حفظ ماء الوجه لهم بالنحو الذى ألمحنا إليه ..

تغطية الوجه بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و من موارد تغطية المرأة وجهها بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» نذكر الموارد التالية:

۱- حين خطبت الزهراء «عليها السلام» المهاجرين و الأنصار بعد وفاته «صلى اللّه عليه و آله»: «لاثت خمارها على رأسها، و اشتملت بجلبابها، و أقبلت فى لمة من حفدتها، و نساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. حتى دخلت على أبى بكر، و هو فى حشد من المهاجرين و الأنصار، و غيرهم، فنيطت دونها ملاءة (يعنى ستارا)، فجلست، ثم أنت أنة، أجهش القوم لها بالبكاء الخ ..» «۱».

(۱) الإحتجاج ج ۱ ص ۲۵۴ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۶ ص ۲۱۱ و ۲۵۰ و بلاغات النساء ص ۲۴ و أعلام النساء ج ۴ ص ۱۱۶ و كشف الغمة ج ۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۷

۲- و يوم وصول السبايا إلى الشام، يقول الراوى: «خطبت أم كلثوم بنت على «عليه السلام» فى ذلك اليوم، من وراء كلّتها «۱»، رافعة صوتها بالبكاء» «۲».

۳- و حينما حمل السبايا إلى الشام، يقول الراوى: «فلما دخلنا دمشق، أدخل النساء، و السبايا بالنهار، مكشفات الوجوه» «۳».

۴- و يقول ابن طاووس عن السبايا: «و حمل نساؤه على أطلاس أقتاب، بغير و طاء، مكشفات الوجوه بين الأعداء» «۴».

۵- و فى حديث قتل خالد لمالك بن نويرة فى خلافة أبى بكر: يقول الراوى: «فنظر مالك إلى امرأته، و هى تنظر الحرب، و تستر وجهها

- ص ۱۰۶ و إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۲۹۹ و الشافى للسيد المرتضى ج ۴ ص ۶۹ و ۷۱ و ضياء العالمين (مخطوط) ج ۲ ق ۳ ص ۶۹ و العوالم ج ۱۱ ص ۴۶۸ و شرح الأخبار ج ۳ ص ۳۴ و مقتل الحسين للخوارزمى ج ۱ ص ۷۷ و شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ۵ ص ۱۰۵ و البحار (ط قديم) ص ۱۰۶ و دلائل الإمامة ص ۱۱۱.

(۱) الكلة: الستار.

(۲) البحار ج ۴۵ ص ۱۱۲ عن اللهوف ص ۶۵ و شرح الأخبار للقاضى النعمان ج ۳ ص ۱۹۸ و العوالم، حياة الإمام الحسن «عليه السلام» ص ۳۸۱ و لواعج الأشجان ص ۲۰۵ و اللهوف فى قتلى الطفوف ص ۹۱.

(۳) البحار ج ۴۵ ص ۱۵۵ عن أمالى الصدوق المجلس ۳۳ رقم ۳ ص ۲۳۰ و روضة الواعظين ص ۱۹۱ و العوالم، حياة الإمام الحسين «عليه السلام» ص ۳۹۵.

(۴) البحار ج ۴۵ ص ۱۰۷ عن اللهوف ص ۸۴ و العوالم، حياة الإمام الحسين «عليه السلام» ص ۳۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۶۸

بذراعيها، فقال: إن قتلنى أحد، فأنت» «۱».

۶- و مما قالته السيدة زينب فى خطبتها أمام يزيد فى الشام:

«أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك و إماءك، و سوقك بنات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سبايا، قد هتكت ستورهن، و أبديت وجوههن، يحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، و يستشرفهن أهل المناقل، و يبرزن لأهل المناهل، و يتصفح وجوههن القريب و البعيد الخ ..» «۲».

۷- و حين جاء أبو بكر لاسترضاء فاطمة، بعد أن ضربوها، و أسقطوا جنينها، و أخذوا فدكا منها و .. و .. «شدت قناعها، و حولت وجهها إلى الحائط، فدخلا» «۳».

۸- و دخلت أم كلثوم بنت على «عليه السلام» على حفصة، و كانت تقيم مجلس غناء، مضادة منها لعلى «عليه السلام»، «ثم سفرت عن وجهها،

(۱) الصراط المستقيم ج ۲ ص ۲۸۱ و الأربعين لمحمد طاهر القمى الشيرازى ص ۵۱۱.

(۲) الإحتجاج ج ۲ ص ۱۲۵ و البحار ج ۴۵ ص ۱۵۸ و ۱۳۴ و بلاغات النساء ص ۲۱ و اللهوف ص ۱۲۷ و مثير الأحزان ص ۱۰۱ و

أعلام النساء ج ۲ ص ۵۰۴ و مقتل الحسین للخوارزمی ج ۲ ص ۶۴ و العوالم، حیاة الإمام الحسین ص ۴۰۴ و ۴۳۴ و لواعج الأشجان ص ۲۳۷ و غیر ذلک.

(۳) البحار ج ۴۳ ص ۱۹۸ و ۱۹۹ و ج ۲۸ ص ۳۰۳ عن کتاب سلیم بن قیس ص ۲۴۹ و العوالم (حیاة الزهراء «علیها السلام») ص ۲۲۲ و اللمعة البیضاء للتبریزی الأنصاری ص ۸۷۱ و الأنوار العلویة ص ۳۰۱.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۴،ص:۱۶۹

فلما عرفتها حفصة خجلت، و استرجعت» «۱».

۹- و فی حدیث عن بنت کسری یقول النص: «.. فأشار جماعة إلی شهر بانویه بنت کسری، فخیرت، و خوطبت من وراء الحجاب، و الجمع حضور» «۲».

۱۰- و قال ابن التربج الدمشقی:

ببرقعها سترت حسنهافلاح الجمال من البرقع «۳» ۱۱- و کان توبة بن الحمیر یحب لیلی، و کان یلم بها کثیرا، ففطن أهلها، و استعدوا له، فلاقته لیلی سافرة، ففطن للأمر، فجاء و سلم، و لم یزد، و رجع، و قال قصیدة جاء فیها:

و کنت إذا ما جئت لیلی تبرقعتفقد رابنی منها الغداة سفورها «۴» و قد حدثت لیلی هذه الحجاج الثقفی ببعض حدیثها مع توبة.

---

(۱) البحار ج ۳۲ ص ۹۰ و الجمل ص ۱۴۹ و مناقب أهل البیت للشیراوانی ص ۴۷۴ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۴ ص ۱۳ و الدرجات الرفیعة ص ۳۹۰.

(۲) البحار ج ۴۶ ص ۱۶ و ج ۱۰۱ ص ۱۹۹ و ج ۳۰ ص ۱۳۴ و دلائل الإمامة للطبری ص ۱۹۵ و العدد القویة لعلی بن یوسف الحلی ص ۵۷ و مستدرک الوسائل ج ۱۴ ص ۳۱۶ و الغارات ج ۲ ص ۸۲۵.

(۳) تاریخ مدینة دمشق ج ۶۸ ص ۲۲.

(۴) الأمالی للسید المرتضی ج ۱ ص ۱۴۶ و التبیان للطوسی ج ۱۰ ص ۲۷۸ و جامع البیان للطبری ج ۳۰ ص ۷۸ و تاریخ مدینة دمشق ج ۷۰ ص ۶۶ و تاج العروس ج ۵ ص ۲۷۳.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۱۴،ص:۱۷۰

۱۲- و قال أبو النجم العجلی:

من کل عجزاء سقوط البرقعبلهاء لم تحفظ و لم تضیع «۱» ۱۳- و قال أبو حیّة النمیری، أو رؤبة بن العجاج، و قد عاشا فی عهد الأمویین:

فألقت قناعا دونه الشمس و اتقتبأحسن موصولین، کف، و معصم «۲» ۱۴- و لذی الرمة المتوفی سنة ۱۱۷ ه أشعار ترتبط بهذا الموضوع «۳»، و هناک أشعار أخری لم أتحقق من قائلها، منها ما أنشده سیبویه:

بأعین منها ملیحات النقبشکل التجار، و حلال المکتسب «۴» و قال آخر:

جزی اللّه البراقع من ثیابعن الفتیان شرا ما بقینا

یوارین الحسان فلا نراهمو یزهین القباح فیزدهین «۵» و قال الحارث بن الخزرج الخفاجی:

---

(۱) أمالی المرتضی ج ۱ ص ۲۳۲ منشورات مکتبة المرعشی و کتاب العین للفراهیدی ج ۱ ص ۲۱۵ و تاج العروس ج ۵ ص ۲۷۳.

(۲) أمالی المرتضی (منشورات مکتبة المرعشی، قم) ج ۲ ص ۱۰۱ و التبیان ج ۱ ص ۵۴ و تفسیر مجمع البیان ج ۱ ص ۸۰ و الجامع لأحکام القرآن للقرطبی ج ۱ ص ۱۶۱ و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج ۱ ص ۴۲.

(۳) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۴۸ ص ۱۶۷.

(۴) راجع: لسان العرب ج ۱ ص ۷۶۲ و تاج العروس ج ۱ ص ۴۹۱.

(۵) لسان العرب ج ۱۴ ص ۳۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۱ سفرت فقلت لها هج فتبرقعتو ذكرت حين تبرقعت هبارا «۱»

لماذا الحجاب؟!

و بعد .. فإن من الواضح: أن اللّه سبحانه قد أراد لهذا الإنسان أن يعمر الكون، و أن يوصله بكل ما فيه إلى كماله، و قد رسم له من الأحكام و الضوابط السلوكية ما يحفظ له مسيرته فى هذا الاتجاه، و ينسجم مع طبيعة تكوينه، و يمكّنه من الوصول إلى هدفه هذا .. و يكون به ضمان سلامته و سلامة كل من يحيط به، أو يتعاطى معه، و يكون له درجة من التأثر به، أو التأثير فيه.

و قد كان لحياة الإنسان الأسرية أو المجتمعية حظ من هذه العناية الإلهية من حيث إسهامها فى صناعة و صياغة مكونات شخصيته و خصائصه و حالاته، التى لها تأثير عميق فى نشوء قدراته، و تبلور إرادته الفاعلة و المؤثرة فى جهده المحفّز للقوى الكامنة، و الذى يسهم فى تغيير المسار، ليصبح فى هذا الاتجاه أو ذاك.

و كما اقتضت الحكمة الإلهية أن تخضع العلاقة بين الرجل و المرأة فى داخل الأسرة و فى خارجها لضوابط و معايير إنسانية و أخلاقية، و التزامات و أحكام شرعية لا يصح تجاوزها؛ فإنها اقتضت أيضا أن يكون الطهر و العفاف، و القيم و المبادئ هى الأساس لذلك كله.

و قد ارتكز ذلك كله إلى حقيقة اقتضاها التكوين فى نطاق دائرة

---

(۱) الصحاح فى اللغة ج ۱ ص ۳۴۹ و ۸۵۰ و لسان العرب ج ۵ ص ۲۴۹ و ج ۲ ص ۳۸۷ و ج ۴ ص ۴۸۱ و تاج العروس ج ۳ ص ۱۱۴ و ۳۴۷ و ۶۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۲

التسبيب، و هى أن مساحات الجمال، و مناشئ و موجبات الإغراء، التى تهيئ للانجذاب الغريزى لدى المرأة، أوفر و أوسع مما هى عليه لدى الرجل، لأن ذلك هو ما تفرضه ضرورة أن تقوم هذه المساحات بوظائفها فى تحقيق الانجذاب الغريزى فى نطاق ضابطة العفة و الطهر، و الالتزام.

ثم جاءت التشريعات و التوجيهات، و كذلك التربية على القيم و المبادئ و الفضائل، و رفض الرذائل، لتساعد على إبقاء المساحات الجمالية و مواقع الجذب الغرائزى ضمن دائرة السيطرة، لكى تتمكن من القيام بمهماتها فى بناء الحياة بصورة صحيحة و سليمة، و على أفضل وجه و أتمه ..

و كان لا بد أن تأتى هذه التشريعات فى منتهى الدقة، و الشمولية؛ لأنها تعنى بإبعاد كلا الجنسين- ما داما خارج دائرة الإباحة الشرعية- عن الأجواء الغرائزية، حتى على مستوى الوهم و التخيل لأية علاقة غير سليمة، و إزالة أية درجة من درجات الإثارة التى لا تخضع للالتزامات و الضوابط المفروضة من ناحية الشارع المقدس.

من هنا نجد: أن فاطمة الزهراء «عليها السلام» لا ترضى بدخول الأعمى إلى مجلسها، لأنها تراه، و لأنه يشم الريح .. كما أن الشارع الحكيم قد كره للرجل أن يجلس فى الموضع الذى تقوم عنه المرأة قبل أن يبرد، و هذا بحد ذاته يكفى للتعريف بما يرمى إليه الشارع، حين فرض على المرأة ستر مساحات الجمال و الإغراء فى جسدها عن نظر الرجل.

و قد جاء تغطية الوجه أيضا فى هذا السياق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۳

الفصل الخامس: استطرادات على هامش حديث الزواج

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۵

علاقات حميمة بين زينب و عائشة!!

و من الأمور الجديرة بالتأمل هنا: هذا الود و المحبة بين عائشة و زينب بنت جحش، رغم أن زواج النبى «صلى اللّه عليه و آله» بزينب كان فى بداية الأمر قد ثقل على عائشة، و قد أقلقها و أهمها هذا الأمر، و أخذها منه ما قرب و ما بعد ..

و قد اعترفت عائشة بامتياز زينب عليها فى بيت الزوجية، و أنها هى التى كانت تساميها من بين سائر نسائه «صلى اللّه عليه و آله».

و لكن سرعان ما انقلبت الأمور، و أصبحت زينب فى موقع الحظوة لدى عائشة، و صارت تمدحها بقولها: ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب، و أتقى للّه، و أصدق حديثا، و أوصل للرحم، و أعظم أمانة و صدقة «۱».

---

(۱) أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۵ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۱۶ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۲۱۳ و ۲۱۴ عن صحيح مسلم، فى فضائل الصحابة.

و مسند أحمد ج ۶ ص ۱۵۱ و حياة الرسول و فضائله ص ۲۰۸ و حلية الأولياء ج ۲ ص ۵۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۸ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۴ و روح البيان ج ۷ ص ۱۸۱ و صحيح مسلم-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۶

و حين ماتت قالت عائشة: لقد ذهبت حميدة، متعبدة، مفزع اليتامى و الأرامل «۱».

و رغم أن المفروض: أن حديث الإفك الذى نسبته عائشة إلى نفسها، طمعا فى استلاب آيات الأفك من صاحبتها الحقيقية لتستأثر بها عائشة، رغم أن هذا الحديث كان- حسب زعم عائشة- فى غزوة المريسيع، و كان زواج النبى «صلى اللّه عليه و آله» بزينب- حسب أقوال المؤرخين- بعد المريسيع، فإن عائشة قد غفلت عن هذه النقطة بالذات، و منحت زينب بنت جحش أوسمة شرف و نبل من خلال ما زعمته من موقف لها فى نفس حديث الإفك، حيث زعمت: أن حمنة بنت جحش طفقت تحارب لأختها، أما زينب نفسها، فقد سألها النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن عائشة، فعصمها اللّه بالورع، فراجع: ما ذكرناه فى الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب ..

و ثمة مدائح أخرى سطرتها عائشة لزينب بنت جحش .. يجدها المتتبع لكتب الحديث و غيرها ..

غير أن السؤال الذى يحتاج إلى إجابة هو:

لماذا هذا الحب من عائشة لزينب بنت جحش؟! خصوصا بعد ذلك الخوف و الوجل منها لما كان يبلغها عن جمالها!! هل لأنها قد أدركها الخشوع

- ج ۷ ص ۱۳۶ و سنن النسائى ج ۷ ص ۶۶ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۲۹۹ و مسند ابن راهويه ج ۴ ص ۴۶ و المعجم الكبير ج ۹ ص ۸۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۳۸۷ و السمط الثمين ص ۱۲۸.

(۱) الإصابة ج ۴ ص ۳۱۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۵ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۱۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۷

و تجلببت بالتقوى، و ألحت عليها دواعى الإنصاف و الاعتراف بالحق لأهل الحق؟!

أم أن ثمة سرا آخر؟!

إن الحقيقة هى: أن عائشة هذه المرأة الجريئة و الطموح، و التى استطاعت أن تشن حربا على أقدس و أعظم شخصية بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و التى كانت مفتاحا لجرأة معاوية و غيره على الوصى، و أخى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و ابن عمه، حتى شنوا الحروب عليه- إن عائشة- قد وجدت فى زينب بنت جحش بعض بغيتها، فكانت النصير و المساعد لها على تمرير بعض مشاريعها فى إثارة أجواء تخدم مصالحها المستقبلية و الآنية على حد سواء!!

إن هذا الاحتمال الأخير هو الذى نرجحه، و نميل إليه؛ لأن تاريخ زينب فى بيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يشير إلى أنها لم تكن فى إخلاصها و فى سلوكها بمستوى أم سلمة، و لا هى مثل ميمونة بنت الحارث، أو مارية و لم تكن تهتم كثيرا لالتزام جانب الهدوء و السكينة، و البحث عما يرضى اللّه و رسوله ..

و قد كانت عائشة تبحث عن هذا النوع من الناس لمساعدتها فى مشاريعها و فى الوصول إلى أهدافها، و تحقيق طموحاتها.

و مما يؤكد على أن زينب قد كانت كذلك هو النصوص التالية:

روحيات زينب:

۱- روى عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن زينب قالت لرسول

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۸

اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا تعدل، و أنت رسول اللّه؟!

و قالت حفصة: إن طلقنا وجدنا أكفاءنا من قومنا.

فاحتبس الوحى عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عشرين يوما.

فأنف اللّه عز و جل لرسوله «صلى اللّه عليه و آله»، فأنزل: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ .. إلى قوله أَجْراً عَظِيماً.

قال: فاخترن اللّه و رسوله «۱».

۲- و روى عن أبى عبد اللّه «عليه السلام»: أن زينب بنت جحش قالت: يرى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إن خلى سبيلنا أن لا نجد زوجا

---

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۲۱۳ و ۲۲۰ و ج ۹۸ ص ۱۶۵ و الكافى ج ۶ ص ۱۳۸ و ۱۳۶ و ۱۳۹ و البرهان ج ۳ ص ۳۰۷ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۶۵ و ۲۶۶ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۶۴ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۸۵ و ۱۹۸ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۹۹۰ و من لا يحضره الفقيه ج ۳ ص ۵۱۷ و الإستبصار ج ۳ ص ۳۱۳ و تهذيب الأحكام ج ۸ ص ۸۸ و وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ۲۲ ص ۹۳ و مستدرك الوسائل ج ۱۵ ص ۳۱۰ و ۳۱۱ و غوالى اللآلى ج ۱ ص ۳۰۷ و ۳۷۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۵۳ و المصنف للصنعانى ج ۷ ص ۴۹۲ و كنز العمال ج ۲ ص ۴۸۲ و التبيان ج ۸ ص ۳۳۴ و مجمع البيان ج ۸ ص ۱۷۶ و فقه القرآن للراوندى ج ۲ ص ۱۱۸ و جامع البيان ج ۲۱ ص ۱۹۰ و ج ۲۲ ص ۳۳ و أحكام القرآن ج ۳ ص ۴۸۲ و زاد المسير ج ۶ ص ۲۱۰ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۳ ص ۴۸۹ و تفسير الجلالين ص ۶۵۰ و الدر المنثور ج ۵ ص ۱۹۴ و ۲۱۲ و لباب النقول ص ۱۶۱ و تفسير

الثعالبى ج ۴ ص ۳۴۵ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۹۶ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۸۰ و أسد الغابة ج ۱ ص ۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۷۹

غيره. و قد كان اعتزل نساءه تسعا و عشرين ليلة.

فلما قالت زينب الذى قالت: بعث اللّه عز و جل جبرئيل إلى محمد «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا، وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً الآيتين كلتيهما.

فقلن: بل نختار اللّه و رسوله، و الدار الآخرة «۱».

۳- و عن أبى جعفر «عليه السلام» قال: إن زينب بنت جحش قالت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا تعدل، و أنت نبى؟!.

فقال لها: تربت يداك، إذا لم أعدل فمن يعدل؟

قالت: دعوت اللّه يا رسول اللّه، ليقطع يداى (يدى)؟

فقال: لا، و لكن لتتربان.

فقالت: إنك إن طلقتنا وجدنا فى قومنا أكفاءنا، فاحتبس الوحى عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. ثم ذكر نزول آية التخيير لهن «۲».

---

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۲۱۹ و راجع ص ۲۱۲ عن الكافى ج ۶ ص ۱۳۸ و البرهان فى تفسير القرآن ج ۳ ص ۳۰۷ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۶۵ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۶۴ و تفسير الميزان ج ۱۶ ص ۳۱۵ و جامع البيان ج ۲۱ ص ۱۹۰ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۳ ص ۴۸۹.

(۲) البحار ج ۲۲ ص ۲۱۳ و ۲۲۰ و الكافى ج ۶ ص ۱۳۹ و تفسير البرهان ج ۳ ص ۳۰۷ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۶۶ و كنز الدقائق ج ۱۰ ص ۳۶۴ و ۴۶۵ و تفسير الصافى ج ۴ ص ۱۸۵ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۹۹۰ و من لا يحضره الفقيه ج ۳ ص ۵۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۰

۴- قال ابن الأثير: «و هجرها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و غضب عليها لما قالت لصفية بنت حيى: تلك اليهودية. فهجرها ذا الحجة، و المحرم، و بعض صفر، و عاد إلى ما كان عليه» «۱».

۵- و عن ميمونة بنت الحرث: كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى رهط من المهاجرين يقسم ما أفاء اللّه عليه، فبعثت إليه امرأة من نسائه، و ما منهم إلا ذا قرابة من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فلما عم أزواجه عطيته، قالت زينب بنت جحش: يا رسول اللّه، ما من نسائك امرأة إلا و هى تنظر إلى أخيها، أو أبيها، أو ذى قرابتها عندك، فاذكرنى من أجل الذى زوجنيك.

فأحرق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قولها، و بلغ منه كل مبلغ.

فانتهرها عمر.

فقالت: أعرض عنى يا عمر، فو اللّه، لو كانت بنتك ما رضيت بهذا.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أعرض عنها يا عمر، فإنها أواهة. فقال رجل: يا رسول اللّه، ما الأواه؟

قال: الخاشع المتضرع «۲».

---

(۱) أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۴ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۱۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۳۸۷ و مسند أحمد ج ۶ ص ۱۳۱ و

۲۶۱ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۳۹۱ و عون المعبود ج ۱۲ ص ۲۳۰ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۷۱ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۲۷ و ميزان الإعتدال ج ۲ ص ۲۳۵ و عن الإصابة ج ۸ ص ۲۱۱.

(۲) حلية الأولياء ج ۲ ص ۵۳ و ۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۱

و نقول:

ألف- إن اتهام زينب لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأنه لا يعدل قد جاء بأسلوب مفعم بالتعنيف، يجعلنا نتساءل عن مدى صفاء نظرتها لمقام النبوة الأقدس، و عن حقيقة اعتقادها بعصمة الرسول «صلى اللّه عليه و آله».

كما أن الأغرب من ذلك، هو جرأتها هى و حفصة على التفوه بأمر هو فى غاية القبح فى نفسه، فكيف إذا كان موجها إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و بطريقة تشير إلى أنها لا تهتم بطلاقه «صلى اللّه عليه و آله» لها، و ترى أنه كغيره من الناس ممن وصفتهم بالأكفاء؟

ثم جاءت الآية الكريمة لتعطى هذه و تلك الخيار فى اتخاذ القرار، و ذلك بأسلوب رفيق و هادئ، ليقدم النموذج و الأمثولة لنا فى تعاملنا مع هذا النوع من الناس، رغم كل هذه المرارة، و كل هذا الأذى، و ليقول لنا:

إنه لا بد من أن نتعامل مع الناس بأخلاقنا، و من خلال قيمنا و مبادئنا، لا بردود الأفعال التى يفرضها حجم الأذى اللاحق بنا من قبلهم ..

خصوصا، و أن الكثيرين من الناس لا يدركون بدقة حجم جرائمهم، و تأثير أفعالهم على غيرهم، فهم يتصرفون مع أهل المبادئ و القيم، و مع أصحاب النفوس الكبيرة بنفس الطريقة التى يتعاملون بها مع الذين هم على العكس من ذلك، و هم يكلمون النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» كما يكلمون الجاهل و الذميم.

ب- إن التحريف فى الرواية الأخيرة ظاهر للعيان، فقد أكدت زينب على أنها لا ترضى بقسم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هى تتهمه بما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۲

أوجب له ألما و حرقة، ثم تصر على موقفها هذا رغم اعتراض عمر عليها.

و لكن ذيل الرواية يقول: إن النبى دافع عن زينب، و منحها و ساما عظيما، لا يناسب هذا الموقف .. بل هو مناقض له، حيث وصفها بأنها أواهة، أى خاشعة متضرعة!! فهل الخاشع المتضرع الأواه يمكن أن يتهم نبيه بأنه لا يقسم قسمة عادلة؟! و يرفض الرضا بفعل هذا النبى!! و يخاطبه بكلام محرق، يبلغ منه كل مبلغ؟! ..

تصحيح خطأ: بين زينب و حمنة:

و قد ذكر فى تفسير القمى: أنه لما رجع النبى «صلى اللّه عليه و آله» من أحد استقبلته زينب بنت جحش، فقال لها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:

احتسبى.

فقالت: من يا رسول اللّه؟!

قال: أخاك.

قالت: إنا للّه، و إنا إليه راجعون. هنيئا له الشهادة.

ثم قال لها: احتسبى.

قالت: من يا رسول اللّه؟!

قال: حمزة بن عبد المطلب.

قالت: إنا للّه، و إنا إليه راجعون. هنيئا له الشهادة.

ثم قال لها: احتسبى.

قالت: من يا رسول اللّه؟!

قال: زوجك مصعب بن عمير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۳

قالت: وا حزناه.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إن للزوج عند المرأة لحدا ما لأحد مثله الخ .. «۱».

و نقول:

إن الصحيح هو: «حمنة بنت جحش» لا- زينب، لأن حمنة هى التى كانت تحت مصعب بن عمير، ثم خلف عليها طلحة. كما يعلم بالمراجعة لكتب التاريخ و التراجم.

النبى صلّى اللّه عليه و آله سماها:

و روى أن زينب كان اسمها برة- بالفتح- و كان اسم أبيها: برة- بالضم- فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: لو كان أبوك مؤمنا لسميته باسم رجل منا.

و لكنى قد سميته جحشا «۲».

---

(۱) تفسير القمى ج ۱ ص ۱۲۴ و البحار ج ۲۰ ص ۶۴ عنه و مستدرك سفينة البحار ج ۴ ص ۳۱۹ و ۳۴۴ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۳۳۸.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۱ عن الدار قطنى، و حياة الحيوان.

و راجع فى تغييره «صلى اللّه عليه و آله» لاسم برة بزينب: أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۸ و ۴۹۴ و عيون الأثر ج ۱ ص ۲۳۷ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۱۴ ص ۱۶۵ و الإصابة ج ۴ ص ۳۱۳ و ۲۶۵ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۱۴ و تاريخ الإسلام (المغازى) (ط سنة ۱۴۱۰ ه) ص ۲۵۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۳، و راجع: شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۴

و يظهر من كلام بعضهم: أن السبب فى تغيير اسمها هو: أنه «صلى اللّه عليه و آله» خشى أن يقال: خرج من عند برة «۱».

و هذا الأمر كما ينسحب على زينب فإنه ينسحب على غيرها أيضا.

فلماذا لا يخشى أن يقال: خرج من عند جويرية مثلا؟!

و مثل ذلك قيل بالنسبة لبرة بنت أبى سلمة بن عبد الأسد، ربيبة النبى «صلى اللّه عليه و آله»، حيث زعموا: أنه غيّر اسمها إلى زينب «۲».

و كذا الحال بالنسبة: لميمونة بنت الحارث الهلالية حيث غيّر اسمها من برة إلى ميمونة، و برة بنت الحارث المصطلقية، فإنه «صلى اللّه عليه و آله»

- و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۸ و راجع: مسند أحمد ج ۲ ص ۴۳۰ و ۴۵۹ و سنن الدارمى ج ۲ ص ۲۹۵ و عن صحيح البخارى ج ۷ ص ۱۱۷ و عن صحيح مسلم ج ۶ ص ۱۷۳ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۱۲۳۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۳۰۷ و مقدمة فتح البارى ص ۳۳۲ و عن فتح البارى ج ۱۰ ص ۴۷۵ و مسند أبى داود الطيالسى ص ۳۲۱ و مسند ابن أبى الجعد ص ۱۹۴ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۶ ص ۱۵۸ و مسند ابن راهويه ج ۱ ص ۱۱۳ و ج ۴ ص ۴۰ و ۹۳ و صحيح ابن حبان ج ۱۳ ص ۱۴۴ و الأذكار النووية ص ۲۹۱ و فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ۶ ص ۵۲۸ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۴۶۱.

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و ج ۲ ص ۲۸۰ و الإصابة ج ۴ ص ۲۶ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۲ و مصادر كثيرة أخرى ذكرناها فى هذا الكتاب.

(۲) أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۸ و ۴۰۹ و الإصابة ج ۴ ص ۲۵۱ و راجع: الصحيح من سيرة النبى ج ۱۲ ص ۲۶۲ و شرح مسلم ج ۱۴ ص ۱۰۹ و مصادر أخرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۵

سماها جويرية «۱».

و نقول:

أولا: قد كانت هناك نساء أخريات اسمهن برة، فلماذا لم يغير النبى «صلى اللّه عليه و آله» أسماءهن؟ مثل برة بنت عامر بن الحارث بن السباق، بن عبد الدار بن قصى، و كانت من المهاجرات.

و برة بنت أبى تجراة «۲».

و برة بنت سفيان السلمية «۳».

ثانيا: إن ما ذكروه سببا لهذا التغيير لا يمكن قبوله ..

إذ لماذا يخشى أن يقال: خرج من عند برة.

و لا يخشى أن يقال: خرج من عند ميمونة مثلا، فإنه إذا كانت مفارقة

(۱) الإصابة ج ۴ ص ۲۵۰ و عيون الأثر ج ۲ ص ۳۰۵ و ۳۰۸ و الصحيح من سيرة النبى ج ۱۲ ص ۲۵۹ (الفصل الثانى: جويرية بنت الحارث) و ما بعده عن مصادر أخرى، و مسند الحميدى ج ۱ ص ۲۳۲ و مسند ابن راهويه ج ۴ ص ۳۵ و نصب الراية ج ۶ ص ۵۵۰ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۱۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۱۰ و عن الإصابة ج ۸ ص ۷۷.

(۲) راجع: أسد الغابة ج ۵ ص ۴۰۹ و الإصابة ج ۴ ص ۲۵۱ و المستدرك للحاكم ج ۴ ص ۵۲ و ۵۴ و ۷۰ و طبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۰۸ و ج ۸ ص ۴۲ و ۲۴۶ و الثقات ج ۳ ص ۳۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۱۴۵ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۴۴ و عيون الأثر ج ۱ ص ۴۷ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۱ ص ۳۷۵ و ج ۲ ص ۲۲۸ و ج ۵ ص ۲۴۲.

(۳) الإصابة ج ۴ ص ۲۵۱ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۸ ص ۴۶۹ و تهذيب الكمال ج ۳۵ ص ۲۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۶

البرة غير محمودة، فإن مفارقة الميمونة أيضا غير ميمونة و لا محمودة.

ثالثا: لو قبلنا هذا التعليل، فإن السؤال يبقى قائما بالنسبة لاسم أبيها الذى قيل إنه: «برّة»- بضم الباء- حيث صرح «صلى اللّه عليه و آله»: بأن هذا الاسم غريب عن مجتمع أهل الإيمان و الإسلام، و رسومه، حيث يزعمون أنه قال: «لو كان أبوك مؤمنا لسميته باسم رجل

منا».

و نقول:

أى عيب فى إسم «برّة» ليتصدى النبى «صلى اللّه عليه و آله» لتغييره؟

و ما الذى جعل اسم «جحش» مقبولا اكثر من غيره حتى استحق التقديم على الاسم الآخر؟!

و ما هو المعيار الذى يجعل هذا من ذاك، أو من غيره؟!

و كيف يمكننا التمييز بينهما؟!

رابعا: هل غيّر النبى «صلى اللّه عليه و آله» أسماء آباء سائر نسائه؟

أم أنه اقتصر على تغيير اسم أبى زينب دون سواه؟!

و لماذا دون سواه؟!

بل هل غيّر اسم أحد من المشركين غيره؟

و ما فائدة تغيير اسمه و هو مشرك، و قد مات منذ زمان؟!

أطولكن يدا:

و قد رووا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» جمع نساءه، لم يغادر منهن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۷

واحدة «۱» و قال لهن- كما تروى عائشة-: أوّلكن (أو أسرعكن) لحاقا بى أطولكن يدا.

قالت: فكن يتطاولن أيهن أطول يدا.

و عند البخارى و غيره: فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نمد أيدينا فى الجدار، نتطاول.

فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، و كانت المرأة امرأة قصيرة، و لم تكن بأطولنا؛ فعرفنا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» إنما أراد طول اليد بالصدقة «۲».

و فى نص آخر: أخذن قصبة يذر عنها «۳».

و نقول:

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۱ و شرح الأخبار ج ۳ ص ۵۲۰ و البحار ج ۳۷ ص ۶۷ و عن صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۴۲ و شرح سنن النسائى ج ۵ ص ۶۷ و حاشية السندى على النسائى ج ۵ ص ۶۶ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۳۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۳ و فى هامشه عن البخارى ج ۳ ص ۲۲۶ و عن مسلم ۲۴۵۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۱ و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۲۵ و راجع: أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۶ و شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ج ۱ ص ۲۹۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۲ و ۱۴۹ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۴ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۷۰۰ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۵۰ و فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ۳ ص ۶۶۶ و عن الإصابة ج ۸ ص ۱۵۴.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۱ و شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ج ۱ ص ۲۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۸

أولا: قد زعموا أيضا: أن المقصود بهذا القول هو زينب بنت خزيمة ..

و قد تحدثنا عن ذلك فى الجزء الثامن من هذا الكتاب، فى فصل: عبرة و مناسبة، فراجع.

ثانيا: إننا نشك فى صحة هذه الرواية، فإنه إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» يريد أن يحثّهن على الصدقة، فلماذا يخاطبهن بطريقة لا يفهمنها؟!

ثالثا: هناك العديد من الأسئلة حول هذا الموضوع: إذ لماذا لم يبادرن إلى التذارع على الجدار فى حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه كما صرحت به رواية البخارى؟!

و إذا كن قد فعلن ذلك فى حياته «صلى اللّه عليه و آله»، فهل كان يعلم بصنيعهن هذا؟!

فإن كان يعلم بذلك:

فما هو الشعور الذى كان ينتابه؟

و لماذا لم يوضح لهن ما أراد؟

و من جهة أخرى: لماذا لم تعلن لنا عائشة نتائج ذلك السباق؟ فلم تعرّفنا من هى التى ظهر أنها أطول يدا من سائرهن!!

و ألا يحتمل أن يكون هذا الحديث- لو كان صحيحا- قد جاء على سبيل النكتة، و إثارة السخرية برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و بنسائه؟!

و الأهم من ذلك كله .. كيف صار موت زينب أولا، سببا فى معرفتهن بالمراد من قوله «صلى اللّه عليه و آله»: أطو لكن يدا؟

و لماذا لم يزد ذلك فى حيرتهن؟!

و إذا كان الأمر كذلك: فلماذا لم يسألن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۸۹

نفسه عن مقصوده، ليعيّن لهن أحد الاحتمالين فى هذه الكلمة؟! لكى تزول حيرتهن، و ينتهى الأمر ..

و بعد، فهل من المعقول و المقبول: أن يبقى هؤلاء النسوة يتذار عن كل هذه السنين الطويلة، و لا ينقلن هذا الحديث لأحد من الناس، لا من الأقرباء، و لا من الأصدقاء، و لا من البعداء، ليدلهن على معنى قوله «صلى اللّه عليه و آله» .. حتى بقى ذلك كله سرا مكنونا عندهن؟!

و من الذى قال: إن المقصود باللحاق به «صلى اللّه عليه و آله» هو الموت بعده، فلعل المقصود هو اللحاق به فى الدرجات .. فتكون زينب بنت خزيمة أم المساكين هى المقصودة؟!

و أخيرا نقول:

إننا نشك فى صحة هذه الرواية من أساسها، فإن التى تجترئ على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و تتهمه بأنه لا يعدل، و تؤذيه بما قدمناه تحت عنوان: علاقة عائشة بزينب، لا تستحق و ساما كهذا و لا ما هو دونه ..

لمن صنع النعش؟:

و قد ذكر المؤرخون: أن زينب بنت جحش قد ماتت سنة عشرين.

و زعموا: أنها أول امرأة جعل على نعشها قبة. أو أنها أول امرأة صنع لها النعش «۱» وفقا لما قالته لها أسماء بنت عميس عن النعوش التى رأتها فى

---

(۱) راجع: أسد الغابة ج ۴ ترجمة زينب، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰ و تفسير الماوردى ج ۴ ص ۴۰۸، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۷ ص ۲۸۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۴۹ و عون المعبود ج ۸ ص ۳۳۸ و ۳۳۷ عن تحفة المحتاج لابن حجر-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۰

أرض الحبشة «۱».

و الصحيح هو: أن أول من جعل على نعشها قبة، هى فاطمة الزهراء «عليها السلام»، و لذلك أضاف الحلبى و غيره هنا عبارة: «أى بعد فاطمة» «۲».

و عبارة الزرقانى: أنها- أى زينب- أول من جعل على جنازتها نعش من أزواجه «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

و بذلك يكون: قد احتفظ لفاطمة «عليها السلام» بأوليتها فى ذلك بالنسبة إلى سائر النساء.

قال البيهقى: «و ما قيل: إن ذلك أول ما اتخذ فى جنازة زينب ابنة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فهو باطل» «۴».

و على حد تعبيرهم: إن الصحيح هو: أن أول من اتخذ لها النعش فى الإسلام، و غطى نعشها هى فاطمة الزهراء «عليها السلام».

و قد روى ذلك: بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام» أيضا «۵».

- المكى، و عن مغنى المحتاج للخطيب، و عن محاضرة الأوائل.

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۲۰۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۴۹ و ۵۰.

(۲) عون المعبود ج ۸ ص ۳۳۸ عن أسد الغابة، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۲۰.

(۳) شرح المواهب اللدنية ج ۴ ص ۴۱۵.

(۴) عون المعبود ج ۸ ص ۳۳۸.

(۵) الكافى ج ۳ ص ۲۵۱ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۲۴ و تهذيب الأحكام ج ۱ ص ۴۶۹ و دعائم الإسلام ج ۱ ص ۲۳۲ وفقه الرضا ج ۵ ص ۱۸۹ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۳۷۹ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۲۸ و البداية-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۱

و ذلك أنها قالت لأسماء: استقبحت ما يصنع بالنساء، فيطرح على المرأة الثوب، فيصفها لمن رأى «۱».

«و إنى لأستحى من جلالة جسمى إذا أخرجت على الرجال غدا، فكيف أحمل على أعناق الرجال مكشوفة؟

و كيف ينظر الرجال إلى جثتى على السرير إذا حملت؟

فلا تحملينى على سرير ظاهر» «۲».

فقالت: لا لعمرى، و لكن أصنع لك نعشا، كما رأيت يصنع بالحبشة.

قالت: فأرينيه.

فدعت بسرير فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد، فشدته على قوائمه، ثم

- و النهاية ج ۶ ص ۳۸ و الجعفريات ص ۲۰۵ و كتاب سليم بن قيس ص ۲۵۵ و ۲۴۹ و ۲۵۰- ۲۵۴ و ۲۸۲ و ج ۴۳ ص ۲۱۳ و ۱۸۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲۱ و الحدائق الناضرة (ط سنة ۱۴۱۳ ه) ج ۴ ص ۸۱ و الوسائل أبواب الدفن باب ۵۲ و باب ۱۰ ج ۳ ص ۲۲۰ و ۲۲۱ و كشف الغمة ج ۱ ص ۵۰۳ و مستدرك الوسائل ج ۲ ص ۳۵۹- ۳۶۱ و البحر المحيط ج ۷ ص ۲۴۷.

(۱) راجع: كشف الغمة ج ۱ ص ۵۰۳ و حلية الأولياء ج ۲ ص ۴۳ و الحدائق ج ۴ ص ۸۱ و ۸۲، و المغنى لابن قدامة ج ۲ ص ۵۴۳ و الإستيعاب ج ۴ (ترجمة فاطمة) و البحار ج ۷۸ ص ۲۵۶ و عون المعبود ج ۸ ص ۳۳۷ و ۳۳۸ و ۳۳۹ و شرح المواهب للزرقانى ج ۴ ص ۴۱۵.

(۲) راجع: دعائم الإسلام ج ۱ ص ۲۳۲ و تاريخ المدينة المنورة ج ۱ ص ۱۰۸ و وسائل الشيعة (الإسلامية) ج ۲ ص ۸۷۶ و البحار ج

۴۳ ص ۱۸۹ و ج ۷۵ ص ۲۵۰ و الذريعة الطاهرة النبوية ص ۱۱۱ و عن كشف الغمة ج ۲ ص ۱۲۶ و اللمعة البيضاء ص ۸۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۲

جللته ثوبا.

(فتبسمت، و ما رؤيت متبسمة- أى بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله»- إلا يومئذ.

فقالت: ما أحسن هذا و أجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل) اصنعى لى مثله. سترتنى، سترك اللّه من النار.

فاتخذ بعد ذلك سنّة «۱».

بل فى بعض الروايات: أن الملائكة أيضا كانت قد صورت لها ذلك النعش «۲».

جهد العاجز:

و يلاحظ هنا: أن ابن أبى الحديد قد بذل محاولة فاشلة للتشكيك فى هذا الأمر، حين قال: «و الثبت فى ذلك: أنها زينب؛ لأن فاطمة دفنت ليلا، و لم

---

(۱) راجع: تاريخ المدينة المنورة ج ۱ ص ۱۰۸ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۰۵ و ۹۰۳ و كشف الغمة ج ۲ ص ۶۷ و التتمة فى حياة الأئمة ص ۹۰ و ۹۱ و راجع: الذريعة الطاهرة ص ۱۱۲ و البحار ج ۷۸ ص ۲۵۵ و ج ۴۳ ص ۲۰۴ و دعائم الإسلام ج ۱ ص ۲۳۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۵۰ عن أبى نعيم و السنن الكبرى ج ۴ ص ۳۴ و حلية الأولياء ج ۲ ص ۴۳ و التهذيب للطوسى ج ۱ ص ۴۶۹.

(۲) روضة الواعظين ص ۱۵۱ و البحار ج ۷۸ ص ۲۵۳ و راجع: ص ۲۵۴ و ج ۴۳ ص ۱۹۲ و ۱۹۹ و ۲۰۶ و ۲۰۴ و ج ۸۱ ص ۲۵۶ عن فقه الرضا، و عن سليم بن قيس، و عن علل الشرايع ج ۱ ص ۱۷۷- ۱۸۰ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۱۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۳

يحضرها إلا على، و العباس، و المقداد، و الزبير» «۱».

و يرد عليه: أنه لا يحل للزبير و المقداد أن ينظرا إليها، فلماذا لا يكون النعش لأجل الستر عنهما؟!

و قال البلاذرى: «.. قالوا: و أوصت زينب أن تحمل على السرير الذى كان قد حمل عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فحملت عليه، و عليه حمل أبو بكر (رض)، و كان الناس يحملون عليه، فلما كان مروان منع أن يحمل عليه إلا الرجل الشريف، و فرّق فى المدينة سررا» «۲».

فهذا الحديث و إن كان يدل على أن زينب لم تكن أول من حمل على النعش، و لم يصنع النعش لأجلها. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۱۴ ۱۹۳ جهد العاجز: ..... ص : ۱۹۲

ن ليحتاج إلى النعش.

هل يجهل عمر حكم اللّه؟!

عن الشعبى: أنه حين ماتت زينب، أرسل عمر إلى أزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله»، يقول: من يدخلها قبرها؟

فقلن: من كان يراها فى حياتها، فليدخلها قبرها «۳».

---

(۱) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱ ص ۲۸۰.

(۲) أنساب الأشراف ج ۱ ص ۴۳۶.

(۳) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۴۸ عن الطبرانى، و رجاله رجال الصحيح. و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۲۰۴ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۵۰ و السنن الكبرى-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۴

و فى نص آخر: أن عمر أراد أن يدخل قبر زينب بنت جحش، فأرسل إلى أزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فقلن: إنه لا يحل لك أن تدخل القبر، و إنما يدخل القبر من كان يحل له أن ينظر إليها و هى حية «۱».

و نقول:

إن ما يثير الدهشة حقا ههنا أمران:

أحدهما: أن يجهل عمر هذا الحكم البديهى، الذى يعرفه كل مسلم، و هو أن الرجل الأجنبى، الذى لا تربطه بالمرأة- سواء فى ذلك زينب بنت جحش أم غيرها- أية رابطة من نسب أو سبب، تجعله من محارمها، لا يجوز له أن يتولى منها ما يتولاه المحارم ..

الثانى: أن تصديه لهذا الأمر الذى يرتبط بإحدى زوجات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يتضمن جرأة كبيرة على مقام الرسول العظيم، و فيه إقدام على هتك حرمة النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله».

و نحن لا ندرى لماذا كان ذلك منه؟ و لعل الفطن الذكى يدرى.

عائشة: أنا أم رجالكم:

و قال البيضاوى: «.. وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ .. منزلات منزلتهن فى

- للبيهقى ج ۴ ص ۳۷ و المصنف للصنعانى ج ۳ ص ۴۸۰ و كنز العمال ج ۱۵ ص ۷۱۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۸ ص ۱۱۱ و علل الدار قطنى ج ۲ ص ۱۸ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۶۷ و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۸۵.

(۱) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ۱۳ ص ۷۰۲ عن ابن سعد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۵

التحريم، و استحقاق التعظيم. و فيما عدا ذلك فكالأ جنبيات» «۱».

و قال الصالحى الشامى: «و يقال لأزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله»:

أمهات المؤمنين الرجال، دون النساء، بدليل ما روى عن مسروق: أن امرأة قالت لعائشة: يا أمه.

فقالت: لست لك بأم؛ إنما أنا أم رجالكم.

فبان بذلك أن معنى الآية: أن الأمومة فى الأمة المراد بها تحريم نكاحهن على التأبيد، كالأمهات» «۲».

لكن المروى عن أم سلمة رحمها اللّه يناقض ذلك، فقد روى أنها قالت:

أنا أم الرجال منكم و النساء «۳».

و نقول:

---

(۱) راجع: أنوار التنزيل للبيضاوى ج ۴ ص ۱۵۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۴۶ و راجع: تفسير الماوردى ج ۴ ص ۳۷۵ و زاد المسير لابن الجوزى ج ۶ ص ۱۸۲ و مسانيد أبى يحيى الكوفى ص ۸۴ و مسند أحمد ج ۶ ص ۱۴۶ و أنوار التنزيل للبيضاوى ج ۴ ص ۱۵۸ و الدر المنثور ج ۶ ص ۵۶۷ عن ابن

سعد، و ابن المنذر، و البيهقى فى سننه. و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۷. و راجع الحديث، أو ما بمعناه أيضا فى: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۲۳ و روح البيان للآلوسى ج ۷ ص ۱۳۹ و أنوار التنزيل ج ۳ ص ۱۵۸ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۶۳ و السنن الكبرى ج ۷ ص ۷۰ و إكمال الكمال ص ۱۳۶ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۶۴ و ۶۷ و ۱۷۹ و ۲۰۰.

(۳) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۷۹ و ج ۵ ص ۱۸۳ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۶۳ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۱۷۹ و ۲۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۶

أولا: إن التعبير القرآنى: .. وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ .. لم يصرح اللّه تعالى فيه بما أراده من حكمه بكونهن كالأمهات، غير أن القدر المتيقن هو أنهن مثل الأمهات من حيث حرمة التزويج بهن. و كل زيادة على ذلك تحتاج إلى شاهد و دليل فما هو الدليل، أو فقل: أية قرينة جعلت البيضاوى و جماعات كثيرة من أهل نحلته يزيدون على ذلك عبارة: «و استحقاق التعظيم»؟! فإنها زيادة لا شاهد لها، و لا دليل يساعدها.

ثانيا: إن قول عائشة: لسنا أمهات النساء، يدفع هذا التفسير الذى ذكره البيضاوى و الصالحى الشامى و غير هما لهذه الآية المباركة، إذ لو كانت أما فى استحقاق التعظيم لشملت الآية النساء و الرجال.

ثالثا: بالنسبة لكلام أم سلمة، نقول: لعلها رحمها اللّه قد نظرت إلى جانب التعظيم الذى يتبع العمل الذى تعمله زوجات النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و ذلك من حيث استحقاقهن للتعظيم من خلاله .. أو من حيث الحرمان منه.

فأم سلمة ترى: أنها تستحق التعظيم من النساء و الرجال، تماما كما يعظم الناس أمهاتهم، لأنها رحمها اللّه تعامل الناس، و تحبهم، و تسعى فى حفظهم و تدبير أمورهم كما تعامل الأم أولادها.

بخلاف عائشة، فإنها لم تظهر للناس شيئا من هذا الحب و الرعاية، بل هى قد ضربت الناس بعضهم ببعض، و قتل بسببها المئات و الألوف، وسعت فى حرمانهم من رعاية من هو بمثابة الأب لهذه الأمة كما قال رسول

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۷

اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أنا و على أبوا هذه الأمة «۱».

فأمومة عائشة للناس تختص بالرجال، لأنها أمومة تقتصر على الناحية التشريعية لحرمة الزواج منها، و ليست هى كأم سلمة- فى رعايتها و محبتها للناس- لكى تستحق التعظيم من النساء و الرجال على حد سواء، كما استحقته أم سلمة ..

---

(۱) تفسير البرهان ج ۱ ص ۳۶۹ عن الفائق للزمخشرى، و عن ابن شهر آشوب، و تفسير الميزان ج ۴ ص ۳۵۷ عنه، و عن العياشى، و البحار ج ۱۶ ص ۹۵ و ج ۴۰ ص ۴۵ و ج ۲۳ ص ۴۴۰ و معانى الأخبار ص ۵۲ و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۸۵ و علل الشرائع ص ۱۳۷ و لسان الميزان ج ۲ ص ۴۰ و من لا يحضره الفقيه ج ۴ ص ۲۳۵ و الأمالى للصدوق ص ۷۵۵ و روضة الواعظين ص ۳۲۲، و راجع:

كنز الفوائد ص ۲۶۶ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۰۰ و الصراط المستقيم ج ۱ ص ۲۴۲ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ۷۴ و إختيار معرفة الرجال (الطوسى) ج ۱ ص ۲۳۳ و نهج الإيمان (ابن جبر) ص ۶۲۹ و تأويل الآيات ج ۱ ص ۱۲۸ و عن ينابيع المودة ج ۱ ص ۳۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۱۹۹

الباب السابع سرايا و غزوات بين المريسيع و الحديبية

اشارة

الفصل الأول: غزوة بنى لحيان الفصل الثانى: غزوة ذى قرد (الغابة) الفصل الثالث: سبع سرايا ..

الفصل الرابع: سرايا أخرى قبل الحديبية الفصل الخامس: بعوث و سرايا قبل خيبر الفصل السادس: حديث الإستسقاء ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۱

الفصل الأول: غزوة بنى لحيان

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۳

غزوة بنى لحيان:

و فى ربيع الأول من السنة السادسة، و عند ابن إسحاق فى جمادى الأولى، على رأس ستة أشهر من غزوة بنى قريظة كانت غزوة بنى لحيان.

فقد ذكروا: أنه بعد ما جرى لعاصم بن ثابت، و حبيب بن عدى، و غير هما ممن قتلتهم هذيل، أراد النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن ينتقم من تلك القبائل .. فأمر أصحابه بالتهيؤ، مظهرا على سبيل التورية: أنه يريد الشام .. و ولى ابن أم مكتوم على المدينة، و سار فى مائتى رجل معهم عشرون فارسا. و اختار مسالك غير معتادة حتى بلغ الموضع الذى أصيب فيه أصحاب غزوة الرجيع، فوجد بنى لحيان قد حذروا، و تمنعوا فى رؤوس الجبال.

فترحم على أصحاب الرجيع، و أقام هناك يوما أو يومين، يبعث السرايا فى كل ناحية. فلما أخطأ من غرتهم ما أراد، قال: لو أنّا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة: أنّا قد جئنا مكة، فخرج فى مائتى راكب من أصحابه، حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كرّا.

و رجع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قافلا إلى المدينة ..

قال جابر: إنه سمع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول و هو راجع:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۴

«آيبون تائبون إن شاء اللّه تعالى، لربنا حامدون. أعوذ باللّه من عناء السفر، و كآبة المنقلب، و سوء المنظر فى الأهل و المال» «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۳ و ۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۲ و ۳ و الكافى ج ۴ ص ۲۸۴ و المجازات النبوية ص ۱۴۰ و تهذيب الأحكام ج ۵ ص ۵۰ و ميزان الحكمة للريشهرى ج ۳ ص ۲۲۰۰ و منتقى الجمان ج ۳ ص ۱۰۱ و البحار ج ۳۲ ص ۳۹۱ و ۴۱۷ و ۵۵۰ و ج ۷ ص ۲۹۳ و ۲۴۲ و ج ۹۵ ص ۱۹۷ و نهج السعادة ج ۲ ص ۱۲۴ و ۲۸۲ و ج ۶ ص ۳۰۱ و مستدرك الوسائل ج ۸ ص ۱۳۷ و ۱۴۰ و المزار لابن المشهدى ص ۴۲۷ و من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۵۲۶ و سنن النسائى ج ۵ ص ۲۴۸ و ج ۶ ص ۱۲۸ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۶ ص ۱۴۱ و ۴۵۱ و مسند أبى يعلى ج ۳ ص ۲۲۶ و صحيح ابن خزيمة ج ۴ ص ۱۳۸ و صحيح ابن حبان ج ۶ ص ۴۱۳ و كتاب الدعاء للطبرانى ص ۲۵۶ و ۲۵۷ و المعجم الأوسط ج ۶ ص ۱۴۷ و الكفاية فى علم الرواية ص ۲۵۴ و الفايق فى غريب الحديث ج ۳ ص ۳۷۰ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۳ ص ۱۶۵ و ۱۶۶ و الأذكار النووية ص ۲۰۰ و ۲۲۱ و رياض الصالحين للنووى ص ۴۳۸ و كنز العمال ج ۶ ص ۷۱۴ و ۷۳۰ و ۷۳۲ و ۷۳۴ و ۷۳۶ و ۷۳۷ و الثقات ج ۱ ص ۲۸۷ و مجمع البيان ج ۹ ص ۷۱ و نور الثقلين ج ۴ ص ۵۹۲ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۱۶ ص ۶۷ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۷۹ و الكامل ج ۵ ص ۱۸۰ و

تاريخ مدينة دمشق ج ۶ ص ۲۵ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۷۱ و تهذيب الكمال ج ۲۱ ص ۴۳ و ۴۴ و تذكرة الحفاظ للذهبى ج ۲ ص ۵۰۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۳۰ و ج ۷ ص ۴۲۰ و ۴۲۴ ج ۸ ص ۴۸۵ و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۵۰ و ۴۳۳ و ج ۵ ص ۸۲ و سنن الدارمى ج ۲ ص ۲۸۷ و صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۰۴ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۱۲۷۹ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۸۴ و الترمذى ج ۵ ص ۱۶۱ و شرح مسلم ج ۹ ص ۱۱۱ و مجمع-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۵

و فى رواية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» بعث أبا بكر فى عشرة فوارس، من عسفان، ليسمع بهم قريشا، فيذعرهم، فأتوا كراع الغميم، ثم رجعوا، و لم يلقوا أحدا.

ثم رجع «صلى اللّه عليه و آله» إلى المدينة، و لم يلق كيدا. و كانت غيبته أربع عشرة ليلة «۱».

و نقول:

إن لنا بعض الكلام حول ما تقدم، نجمله على النحو التالى:

إلى عسفان فى مائتى راكب:

قد ذكروا فيما تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» سار إلى بنى لحيان فى ماءتى راكب، ثم ذكروا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لما فاته منهم ما أراد، قال: لو أنّا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة: أنّا قد جئنا مكة، فخرج فى ماءتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ..

فإنه لا معنى لهذا التعبير إلا إذا كان أصحابه الذين غزا بهم إلى الرجيع، أكثر من ماءتين ..

- الزوائد ج ۱۰ ص ۱۳۰ و عون المعبود ج ۷ ص ۱۸۵ و تحفة الأحوذى ج ۹ ص ۲۸۱ و مسند أبى داود الطيالسى ص ۱۶۳ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۱۵۵ و ۱۵۶ و ۱۵۹ و ج ۱۱ ص ۴۳۳ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۷ ص ۹۹ و ۱۰۰ و ۷۲۴ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ۱۸۲ و ۱۸۳ و غوالى اللآلى ج ۱ ص ۱۴۵.

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۲ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۶

فما معنى قوله أولا: إنه خرج فى ماءتى راكب؟!

أبو بكر إلى كراع الغميم:

و عن إرساله أبا بكر إلى كراع الغميم فى عشرة فوارس نقول:

إن ذلك موضع شك أيضا، فقد ورد فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أرسل فارسين من أصحابه، حتى بلغا كراع الغميم، ثم كرّا راجعين «۱».

و أما القول: بأنه لا مانع من أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسلهما، ثم أرسل أبا بكر فى عشرة فوارس، أو العكس ..

فهو غير ظاهر الوجه، ما دام أن مجموع غيبته «صلى اللّه عليه و آله» هى أربع عشرة ليلة فقط.

فإن عسفان تبعد عن مكة مسيرة يومين «۲»، و الأبواء على خمسة أميال من المدينة «۳».

و المفروض: أن عسفان أبعد منها .. لأنه مر بالأبواء و هو عائد من عسفان.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۹ و ۳۰۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۷۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۵ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۴۳۲ و ۵۵۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۷۵۱.

(۲) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۶۶ و راجع: مراصد الإطلاع ج ۲ ص ۹۴۰.

(۳) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۷

بل إن الحديث المتقدم قد ذكر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد تجاوز عسفان حتى وصل إلى الرجيع، و هو ماء لهذيل بين عسفان و مكة «۱»، أو ماء قرب الهدة بين مكة و الطائف «۲». و قد أقام هناك يومين، ثم أرسل السرايا فى كل ناحية فلم يجدوا أحدا .. ثم أرسل الفارسين إلى كراع الغميم، و عادا إليه.

فهل يمكن أن يقطع هذه المسافات كلها، ذهابا و إيابا فى مدة أربعة عشر يوما؟!! ثم هو يبقى يومين فى ذلك المكان أيضا؟!

و هل يبقى وقت لإرسال فارسين إلى كراع الغميم أولا، ثم يبقى وقت آخر لإرسال أبى بكر فى عشرة فوارس إلى كراع الغميم مرة أخرى؟!

---

(۱) معجم ما استعجم ج ۲ ص ۶۴۱ و ۶۴۲ و راجع المصادر التى تقدمت فى هذا الكتاب: ج ۸ ص ۱۷۳ و راجع: المسالك و الممالك ص ۱۱۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۲۶ و المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۹۴ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۵۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۲۷ و ۳۲۸ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۶۷ و إعلام الورى ج ۱ ص ۱۸۵ و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۶۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۰ و ۲۱۴ و تفسير الإمام العسكرى ص ۲۱۴ و ۲۱۵ و تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۲۴۸ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۵ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۴۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۱ و ۷۳ و تاريخ ابن خلدون ق ۲ ج ۲ ص ۲۷.

(۲) معجم البلدان ج ۳ ص ۲۹ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۱۷ و مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۴۵۴ و ج ۲ ص ۶۰۶ و كتاب المنمق للبغدادى ص ۱۳۹ و معجم البلدان ج ۳ ص ۲۹ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۴۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۵ و البحار ج ۲۰ ص ۲۱۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۱۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۶۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۸

و الحال أن كراع الغميم هو: موضع بالحجاز، بين مكة و المدينة، أمام عسفان بثمانية أميال «۱»، أو سبعة «۲»، و قيل: سبعة من الهدة «۳».

و الحاصل: أنه إذا كان الرجيع قرب الهدة بين مكة و الطائف فإن هذا الموضع يكون جنوبى مكة، مع أن المدينة تقع شماليها. فكيف يمكن أن تقع هذه الأحداث كلها و قطع جميع هذه المسافات فى خلال أربعة عشر يوما؟!

دعاء السفر:

و قد ذكروا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد تعوذ باللّه من و عثاء السفر، و كآبة المنقلب، و سوء المنظر فى الأهل و المال، و قد روى هذا التعوذ أيضا عن على «عليه السلام»، فراجع «۴».

---

(۱) مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۱۵۳ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۷۹.

(۲) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۲۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۵.

(۳) البحار ج ۲ ص ۲۱۴.

(۴) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۱ ص ۹۲ و مستدرك الوسائل ج ۲ ص ۲۶ و ۲۷ و ج ۸ ص ۱۴۰ و البحار ج ۳۲ ص ۳۹۱ و ۴۱۷ و ۵۵۰ و ج ۷۳ ص ۲۴۲ و ج ۷۶ ص ۲۹۳ و ۲۳۶ و ۲۳۷ و ۲۴۲ و الأمان من الأخطار ص ۲۰ و نهج السعادة ج ۶ ص ۳۰۰ و ج ۲ ص ۱۲۴ و ۲۸۲. و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۱۵۴ و ۱۵۵ و ۱۵۹ عن مصادر كثيرة جدا.

و روى عن الصادق «عليه السلام» مثل ذلك فراجع: الكافى ج ۴ ص ۲۸۴ و تهذيب الأحكام ج ۵ ص ۵۰ و وسائل الشيعة ج ۱۱ ص ۳۸۴ و ۲۷۹ و المزار لابن المشهدى ص ۴۲۷ و المزار للشهيد الأول ص ۱۱۷ و البحار ج ۹۸ ص ۱۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۰۹

و الذى يتأمل فى كلمات هذا الدعاء سوف يجد أنها كلها نور و هداية، و علم و دراية، لمن سمع و وعى، و يكفى أن نعيد على مسامع أهل الدراية و الرعاية، نص العبارة الأخيرة- و سوء المنظر فى الأهل و المال- التى تعطى الانطباع عن أن الشارع الحكيم يريد للإنسان المؤمن أن يكون حسن المنظر ليس فقط فى نفسه و شخصه، و إنما فى أهله و ماله أيضا.

فإهمال هذا الأمر، لا يعد زهدا فى الدنيا، و لا هو طاعة للّه تعالى، بل هو مخالفة للشرع ليس فيها للّه رضا، و لا لعباده صلاح، بل هو قد يوجب غضبه و مقته سبحانه، إذا كان سببا فى نفرة الناس من الدين و أهله، و الاستخفاف بهم، و استقذارهم.

و ربما تدخل على بعض الضعفاء شبهة كون الدخول فى الإسلام معناه التعرض للمصائب و البلايا، و للمتاعب و الرزايا، و كثير من الناس ينجذبون- عادة- إلى حياة السعة و الرخاء، و الصفاء و الهناء.

بل إن التظاهر بالتقشف و الإهمال قد يدخل أحيانا فى دائرة الرياء المذموم فى الشريعة، إذا كان الهدف منه هو لفت نظر الناس، و إعطاء الانطباع عن زهد و ورع، و انصراف عن الدنيا، لا حقيقة له، لا فى محتواه، و لا فى مستواه.

زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله قبر أمه و براءته منها:

و تذكر النصوص: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لما رجع من بنى لحيان، وقف على الأبواء، فرأى قبر أمه، فتوضا ثم بكى، و بكى الناس لبكائه ثم صلى ركعتين، ثم أخبر الناس عن سبب بكائه «صلى اللّه عليه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۰

و آله» فكان مما قال:

و لكنى مررت بقبر أمى، فصليت ركعتين، فاستأذنت ربى عز و جل أن أستغفر لها، فنهيت، فبكيت، ثم عدت، و صليت ركعتين، فاستأذنت ربى عز و جل أن أستغفر لها فزجرت زجرا، فأبكتنى.

ثم دعا براحلته فركبها، فسار يسيرا، فقامت الناقة لثقل الوحى؛ فأنزل اللّه تعالى: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ، وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ «۱».

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أشهدكم أنى برىء من آمنة، كما تبرأ إبراهيم من أبيه «۲».

قال الحلبى: و هذا السياق يدل على أن هاتين الآيتين غير ما زجر به عن الاستغفار لها المتقدم فى قوله: «فزجرت زجرا» «۳».

و فى الوفاء: أن ذلك كان بعسفان، و أن قبرها هناك «۴».

(۱) الآيتان ۱۱۳ و ۱۱۴ من سورة التوبة.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۲ و ۳.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳ و راجع: مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۱۷ و المعجم الكبير ج ۱۱ ص ۲۹۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۴۰۸ و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۸۳ و ۲۸۴ و زاد المسير ج ۳ ص ۳۴۵.

(۴) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳ و لباب النقول ص ۱۱۴ و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۸۴ و تفسير الجلالين ص ۴۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۱

و تذكر روايات أخرى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد زار قبر أمه حين فتح مكة، ثم قام متغيرا «۱».

و فى نص ثالث: أنه زار قبرها فى غزوة الحديبية حين مر بالأبواء، فبكى و أبكى من حوله، فقال: استأذنت ربى فى أن أستغفر لها، فلم يأذن لى، و استأذنته فى أن أزورها، فأذن لى، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت «۲».

و عن ابن مسعود، عنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا، و تذكر الآخرة «۳». و زارها فى مكة أيضا.

قال الحلبى: «إن ذلك كان قبل إحيائها له، و إيمانها به «صلى اللّه عليه و آله» ..» «۴».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴ عن الطيبى فى شرح المشكاة و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳ و راجع: جامع البيان ج ۱۱ ص ۳۱ و الكشاف ج ۲ ص ۴۹ و إرشاد الساری ج ۷ ص ۲۸۲ و ۱۵۸ عن صحيح مسلم، و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۸۳ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۳۹۴ و أحمد فى مسنده، و سنن أبى داود، و النسائى، و ابن ماجة، و الحاكم، و البيهقى، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و الطبرانى.

(۳) تاريخ الخميس ج ۳ ص ۳ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۵۵ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۲۵ و المصنف للصنعانى ج ۳ ص ۵۶۹ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۱۹ و مسند الشاميين ج ۳ ص ۳۴۷ و كشف الخفاء ج ۲ ص ۱۳۰ و رفع المنارة ص ۶۷ و تفسير القرآن لابن كثير ج ۲ ص ۴۰۸.

(۴) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱ ص ۲۵۹ و الروض الأنف للسهيلى، و السابق و اللاحق للخطيب البغدادى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۲

و نقول:

قد تقدم بعض الحديث عن إيمان آباء النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فنحن نحيل القارئ الكريم على ذلك الموضع، و نكتفى هنا بالإشارة إلى ما يلى:

أولا: إن آية النهى عن الاستغفار للمشركين، و لو كانوا أولى قربى، إنما هى فى سورة التوبة التى هى من أواخر ما نزل فى المدينة، بل ادّعى بعضهم:

أنها آخر ما نزل «۱».

و قضية استغفار النبى لأمه إنما كانت سنة ست، أو فى الحديبية، أو فى فتح مكة، و كل ذلك قد كان قبل نزول سورة التوبة بزمان. و لا يعقل أن تنزل آية أو أكثر، و تبقى معلقة فى الهواء، من دون أن توضع فى سورة بعينها، كما أشرنا إليه غير مرة.

---

(۱) راجع: الغدير ج ۸ ص ۱۰ و ۱۲ و أبو طالب مؤمن قريش ص ۳۴۱ عن البخارى، و الإتقان، و الكشاف، و ابن مردويه، و ابن أبى شيبة، و النسائى، و ابن الضريس، و ابن المنذر، و أبى الشيخ، و تفسير البيضاوى، و عين العبرة لأحمد آل طاووس ج ۲ ص ۱۸ و سنن

ابن ماجة ج ۱ ص ۲۷ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۱۸۲ و كنز العمال ج ۲ ص ۵۷۵ و مجمع البيان ج ۵ ص ۶ و البيان فى تفسير القرآن ص ۲۴۳ و معانى القرآن ج ۳ ص ۱۷۹ و أحكام القرآن للجصاص ج ۱ ص ۱۰ و أسباب النزول للواحدى النيسابورى ج ۲ ص ۸ و زاد المسير ج ۱ ص ۳ و ج ۳ ص ۲۶۴ و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۹۵ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۴ ص ۱۶۰ و ج ۸ ص ۱۷۳ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۳۴۴ و ۴۱۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۳۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۳

ثانيا: إن قوله تعالى: سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ «۱» قد نزلت فى غزوة بنى المصطلق سنة ست.

فإذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يعرف: أن اللّه لا يغفر للمنافقين، حتى لو استغفر لهم، فإنه لا بد أن يعرف: أنه تعالى لا يغفر للمشرك، المعلن بشركه، فلماذا يبادر إلى عمل يعرف مسبقا أنه بلا نتيجة؟!

ثالثا: لو سلمنا أن آية: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى .. «۲» قد نزلت حين وفاة أبى طالب فهى إنما نزلت لتأكيد تنزيهه عن الشرك، لا لأجل إثبات شركه.

فقد روى: أنه لما مات أبو طالب لم تكن الصلاة على الميت قد نزلت بعد، فما صلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عليه و لا على خديجة، و إنما اجتازت جنازة أبى طالب و النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على و جعفر و حمزة جلوس، فقاموا و شيعوا جنازته و استغفروا له، فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا و أقاربنا المشركين أيضا ظنا منهم أن أبا طالب مات مشركا لأنه كان يكتم إيمانه، فنفى اللّه عن أبى طالب الشرك، و نزّه نبيه «صلى اللّه عليه و آله»، و الثلاثة المذكورين «عليهم السلام» عن الخطأ فى قوله: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ.

فمن قال بكفر أبى طالب فقد حكم على النبى «صلى اللّه عليه و آله»

---

(۱) الآية ۶ من سورة المنافقون.

(۲) الآية ۱۱۳ من سورة التوبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۴

بالخطأ. و اللّه تعالى قد نزهه عنه فى أقواله و أفعاله «۱».

بل حتى لو سلمنا بالكذبة المعروفة: بأن هذه الآية قد نزلت فى أبى طالب نفسه؛ لأجل نهى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن الاستغفار له «۲» فإن ذلك يدل على: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله»- لو كان قد استغفر لأمه- قد فعل أمرا كان اللّه تعالى قد نهاه عنه، و منعه منه، فى آية قد نزلت قبل نحو عقد من الزمن ..

و هذا مما لا يمكن أن يفعله رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

رابعا: لماذا نسى النبى «صلى اللّه عليه و آله» الاستغفار لأمه طيلة أيام حياته، و إلى أن مضى ما يقرب من عشرين سنة من بدء بعثته رسولا للناس؟!

خامسا: قد تقدم فى هذا الكتاب: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يريد لكافر، و لا لمشرك عنده (أى النبى) من نعمة تجزى «۳».

---

(۱) الغدير ج ۷ ص ۳۹۹ عن كتاب الحجة لابن معد ص ۶۷.

(۲) راجع كتابنا: ظلامة أبى طالب «عليه السلام».

(۳) راجع: أبو طالب مؤمن قريش و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۸۴، و تلخيصه للذهبى مطبوع بهامشه، و صححاه و حياة الصحابة ج

۲ ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و ۲۶۰ عن كنز العمال و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۷۸ و كنز العمال (ط أولى) ج ۳ ص ۱۷۷ عن ابن عساكر و (ط ثانية) ج ۶ ص ۵۷ و ۵۹ و عن أحمد، و الطبرانى، و الحاكم، و سعيد بن منصور، و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۸۶ و المصنف للصنعانى ج ۱ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و ج ۱۰ ص ۴۴۷ عن أحمد، و أبى داود، و عن مغازى ابن عقبة، و عن الترمذى، و صححه، و الطيالسى، و البيهقى، و مجمع البيان المجلد الأول ص ۵۳۵ و الوسائل ج ۱۲ ص ۲۱۶ عن الكافى، و المعجم الصغير ج ۱ ص ۹ و عن الترمذى ج ۲ ص ۳۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۵

و من الواضح: أن التربية للنبى «صلى اللّه عليه و آله»، هى من أجلّ الأيادى التى تستحق الشكر و الجزاء منه «صلى اللّه عليه و آله» لذلك المربى ..

سادسا: إنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يفعل إلا ما يعلم أنه يرضى اللّه سبحانه، فما معنى أن يبادر إلى الاستغفار لأمه من دون أن يتأكد من رضا اللّه سبحانه و تعالى به؟!

أليس «صلى اللّه عليه و آله» لا يقول و لا يفعل عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى؟!

بل لماذا يفعل أمرا، فينهاه اللّه سبحانه عنه، ثم يفعله مرة أخرى، فيزجره اللّه سبحانه زجرا. ألم يكن النهى الأول كافيا له؟!

لعن زوارات القبور:

عن أبى هريرة: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لعن زوارات القبور «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴ عن أحمد، و الترمذى، و ابن ماجة، و مسند أحمد ج ۲ ص ۳۳۷ و ۳۵۶ و ج ۳ ص ۴۴۳ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۵۰۲ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۲ ص ۲۵۹ و المستدرك للحاكم ج ۱ ص ۳۷۴ و السنن الكبرى ج ۴ ص ۷۸ و شرح مسلم للنووى ج ۷ ص ۴۵ و فتح البارى ج ۳ ص ۱۱۸ و راجع: تحفة الأحوذى ج ۴ ص ۱۳۶ و عون المعبود ج ۱۰ ص ۱۱۷ و مسند أبى داود الطيالسى ص ۳۱۱ و ۳۵۷ و المصنف للصنعانى ج ۳ ص ۵۶۹ و الآحاد و المثانى ج ۴ ص ۱۰۱ و مسند أبى يعلى ص ۳۱۴ و المعجم الكبير ج ۴ ص ۴۲ و ناسخ الحديث و منسوخه ص ۲۷۳ و العهود المحمدية ص ۸۹۴ و كنز العمال ج ۱۶ ص ۳۸۸ و فيض القدير (شرح الجامع الصغير) ج ۵ ص ۳۵۰ و إرواء الغليل ج ۳ ص ۲۳۲ و ۲۳۳ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۱۰-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۶

و قالوا: إن هذا كان قبل أن يرخص النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى زيارة القبور، فلما رخص دخل فى رخصته الرجال و النساء «۱».

و نقول:

لا ريب فى أن النساء كن يزرن القبور فى حياته «صلى اللّه عليه و آله»، و بعد وفاته .. و يدل على ذلك:

۱- ما روى عن عائشة، قالت: كنت أدخل بيتى الذى فيه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و إنى واضعة ثوبى، و أقول: إنما هو زوجى و أبى، فلما دفن عمر معهما، فو اللّه ما دخلته إلا و أنا مشدودة علىّ ثيابى حياء من عمر «۲».

فعائشة إذن كانت تزور القبور كما دل عليه هذا الحديث.

و من الواضح: أن البيت الذى دفن فيه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

- ص ۳۷۹ و ج ۲۰ ص ۱۷۰ و السير الكبير ج ۱ ص ۲۳۶ و العلل لأحمد بن حنبل ج ۳ ص ۳۲۲ و الكامل فى التاريخ ج ۵ ص ۴۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۳۴ ص ۲۸۹ و أسد الغابة ج ۲ ص ۷ و تهذيب الكمال ج ۱۷ ص ۶۵ و ج ۲۵ ص ۴۰۷ و ميزان الإعتدال ج ۳

ص ۲۰۱ و تهذيب التهذيب ج ۶ ص ۱۷۴ و ج ۹ ص ۲۰۸ و ۳۲۶ و ج ۱۰ ص ۳۴۴ و الإصابة ج ۵ ص ۲۶.

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۴ و ۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۲۰ ص ۱۷۰ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۲ ص ۲۵۹ و تحفة الأحوذى ج ۲ ص ۲۲۶ و ج ۴ ص ۱۳۷ و عون المعبود ج ۹ ص ۴۲.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ عن أحمد، و مسند أحمد ج ۶ ص ۲۰۲ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۶۱ و ج ۴ ص ۷ و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۶ و ج ۹ ص ۳۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۷

لم يكن بيتها، بل هو بيت الزهراء «عليها السلام». و قد حاولت أن تنسبه إلى نفسها بعد طول العهد. فراجع ما كتبناه حول هذا الموضوع فى كتاب دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج ۱ ص ۱۶۹- ۱۸۳.

۲- إن الزهراء «عليها السلام» كانت تزور قبر سيد الشهداء، حمزة بن عبد المطلب، فتصلى، و تبكى عنده، و تزوره «۱» و تزور قبور شهداء أحد بين اليومين و الثلاثة، فتبكى عندهم و تدعو «۲».

فهل ترى أنها صلوات اللّه عليها هى المقصودة باللعن المفترى على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

۳- و قد علّم النبى «صلى اللّه عليه و آله» عائشة كيفية زيارة قبور المؤمنين، حين قالت: كيف أقول لهم يا رسول اللّه؟!

---

(۱) المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۸ و تلخيص المستدرك مطبوع بهامشه ج ۳ ص ۲۸ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۳۲ و البحار ج ۳۶ ص ۳۵۲ و ج ۹۹ ص ۳۰۰ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۸۰ و كفاية الأثر للخزاز القمى ص ۱۹۸ و مستدرك سفينة البحار ج ۲ ص ۴۱۹ و وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ۲ ص ۸۷۹ و بيت الأحزان للقمى ص ۱۶۸.

(۲) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۰ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۳۲ و فى البحار ج ۹۹ ص ۳۰۰ عن من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۱۴ أنها كانت تأتيهم كل يوم سبت. و تهذيب الأحكام ج ۱ ص ۴۶۵ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۳ ص ۲۲۴ و البحار ج ۴۳ ص ۹۰ و ج ۹۶ ص ۳۰۰ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۳۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۸

قال: قولى: «السلام على أهل الديار من المؤمنين و المسلمين» «۱».

۴- كانت أم سلمة تزور قبور الشهداء كل شهر، و قد أنّبت غلامها؛ لأنه لم يسلم عليهم «۲».

۵- و قالت فاطمة الخزاعية: سلمت على قبر حمزة يوما، و معى أخت لى، فسمعنا من القبر قائلا يقول: و عليكما السلام و رحمة اللّه.

قالت: و لم يكن بقربنا أحد من الناس «۳».

۶- و قد قامت عائشة على قبر أبيها، فقالت: نضّر اللّه وجهك الخ .. «۴».

۷- قال العطاف بن خالد: حدثتنى خالتى: أنها زارت قبور الشهداء، قالت: و ليس معى إلا غلامان، يحفظان علىّ الدابة، قالت: فسلمت عليهم، فسمعت رد السلام.

قالوا: و اللّه، إنّا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا.

---

(۱) راجع: صحيح مسلم ج ۳ ص ۶۴ و التاج الجامع للأصول ج ۱ ص ۴۰۷ و الغدير ج ۵ ص ۱۷۰ و سنن النسائى ج ۴ ص ۹۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۷۹ و شرح مسلم ج ۷ ص ۴۴ و تحفة الأحوذى ج ۴ ص ۱۳۵ و ۱۳۷.

و راجع: المصنف للصنعانى ج ۳ ص ۵۷۲ و ۵۷۶ و كتاب الدعاء للطبرانى ص ۳۷۴ و الأذكار النووية ص ۱۶۷ و إرواء الغليل ج ۳ ص ۲۳۶ و تاريخ المدينة ج ۱ ص ۸۹.

(۲) راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۵ ص ۴۰ و ۴۱.

(۳) المصدران السابقان و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۳۳.

(۴) الغدير ج ۵ ص ۱۷۲ و بلاغات النساء ص ۴ و المستطرف ج ۲ ص ۳۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۱۹

قالت: فاقشعررت، فقلت: يا غلام، ادن بغلتى فركبت «۱».

۸- إن عائشة قد زارت قبر أخيها عبد الرحمن «۲».

و بعد .. فإننا نتوقع أن لا يصر هؤلاء على فريتهم بلعن زوارات القبور، بعد أن عرفوا أن عائشة و غيرها كن يفعلن ذلك .. و لم يعد الأمر محصورا بالزهراء صلوات اللّه و سلامه عليها، التى ربما يكون الحرص على التقليل من شأنها، و الطعن بعصمتها و بمعرفتها، و علمها، و تقواها هو السبب فى ظهور هذه الأكاذيب و الافتراءات على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من أهل الأهواء و العصبيات.

كسوف الشمس:

قالوا: و قد كسفت الشمس فى سنة ست، قبل الكسوف الذى كان حين مات إبراهيم ابن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. «۳».

و هذا يبين: أن الناس كانوا يعرفون كسوف الشمس يشاهدونه عبر الأحقاب و الأزمان، و لا يجدون أنه مرتبط بالأشخاص أو غيرهم. بل هو مجرد حدث كونى ينتهى إلى أسبابه الخاصة به، فلا مجال لتصديق ما يشاع أو يذاع مما هو فى غير هذا السياق الطبيعى.

---

(۱) المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۹ و بهامشه تلخيص المستدرك للذهبى، و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۳۲ و ۹۳۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۲۵۳.

(۲) التاج الجامع للأصول ج ۱ ص ۴۱۹ و فتح البارى ج ۳ ص ۱۱۸ و تحفة الأحوذى ج ۴ ص ۱۳۷ و إرواء الغليل ج ۳ ص ۲۳۳ و التاريخ الصغير ج ۲ ص ۱۱۵.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۰

إلا إذا حصل ذلك الكسوف فى غير الوقت الطبيعى له، فإنه يكون حينئذ آية من الآيات، لا بد من الاستفادة منها فى تأكيد اليقين بالحق، و فى التزام سبيل الهدى و الرشاد ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۱

الفصل الثانى: غزوة ذى قرد (الغابة)

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۳

غزوة الغابة:

و كانت غزوة الغابة، و تعرف ب «ذى قرد»، و هو ماء على بريد من المدينة من جهة الشام، فى يوم الأربعاء فى شهر ربيع الأول من

سنة ست قبل الحديبية، كما قال ابن عقبة، و ابن إسحاق.

و ادّعى البخارى و غيره: أنها قبل خيبر بثلاثة أيام أو نحوها «۱».

و الصحيح هو ما فى السيرة الحلبية، حيث قال:

«و الشمس الشامى ذكرها بعد الحديبية، تبعا لما فى صحيح البخارى أنها بعد الحديبية، و قبل خيبر بثلاثة أيام، و كذا فى صحيح مسلم حيث رووا عن سلمة بن الأكوع: أنهم رجعوا من ذى قرد إلى المدينة فلم يلبثوا إلا ثلاث ليال حتى خرجوا إلى خيبر» «۲».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ عن البخارى، و مسلم و ص ۷. و راجع: عيون الأثر ج ۲ ص ۷۲ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۸ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۳ و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۲۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۶ و صحيح البخارى ج ۵ ص ۷۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۲ و ۱۰۶ عن صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۹۴ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۲ و ۳۵۵ و سير أعلام-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۴

و قال بعضهم: «أجمع أهل السير على أن غزوة الغابة كانت قبل الحديبية» «۱».

و ذكر بعضهم غزوة ذى قرد بعد الحديبية و خيبر «۲».

و قال ابن الأثير عن ذى قرد: إنه ماء بين المدينة و خيبر، على يومين من المدينة «۳».

و فى فتح البارى: على مسافة يوم، و فى غيره: نحو يوم «۴».

و ذلك أنه لما قدم النبى «صلى اللّه عليه و آله» من غزوة بنى لحيان لم يقم «صلى اللّه عليه و آله» سوى أيام قلائل حتى أغار بنو فزارة، بقيادة عيينة بن حصن فى أربعين فارسا على لقاح النبى «صلى اللّه عليه و آله» «۵» التى كانت فى

- النبلاء ج ۳ ص ۳۲۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۱ و ۱۷۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۳.

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۶ عن أبى العباس القرطبى، تبعا لأبى عمر عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۳ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۹.

(۲) راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۵.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ عن كنز العمال ج ۸ ص ۴۱۷ و تاريخ خليفة بن خياط ص ۴۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۹۸ و ج ۶۰ ص ۱۷۱ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۸ و معجم البلدان ج ۴ ص ۳۲۱ و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۲۲.

(۴) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵.

(۵) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴ و راجع: عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۴ و الفايق فى غريب الحديث ج ۳ ص ۲۱۰ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۰ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۶۲ و ۵۶۳ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۷۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۵

الغابة. فاستاقوها، و قتلوا ابن أبى ذر الغفارى، و سبوا امرأته «۱».

و جمعوا بين هذين القولين: بأن إغارة عيينة كانت مرتين، إحداهما قبل الحديبية، و الأخرى بعدها، قبل الخروج إلى خيبر «۲».

قالوا: و يؤيد هذا الجمع: أن الحاكم ذكر فى الإكليل: أن الخروج إلى ذى قرد قد تكرر ثلاث مرات، و أن الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحد، و فى الثانية خرج إليها النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى سنة خمس، و الثالثة هى المختلف فيها.

و قد ذكرت رواية ابن إسحاق: أن اللقاح كانت ترعى فى الغابة، و فى رواية البخارى: أنها كانت ترعى بذى قرد.

و جمع بينهما: بأنها كانت ترعى تارة بالغابة، و أخرى بذى قرد «۳».

و نقول:

إن هذا الجمع غريب، فإن الكلام إنما هو عن الموضع الذى أخذت

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ و راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۹۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۶ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۴ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۰ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۳ و الثقات ج ۱ ص ۲۸۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۱ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۳۲.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ و ۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۶ و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۳.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۷ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۶

اللقاح منه. إذ لا يمكن أن تكون قد أخذت من الموضعين فى آن واحد، مع العلم بأن المسافة بينهما بعيدة.

بعض تفاصيل هذه الغزوة:

و نذكر هنا: بعض التفاصيل التى أوردها المؤرخون، على النحو التالى:

لقد ذكروا: أنهم حين قتلوا الغفارى، و سبوا امرأته، و استاقوا اللقاح ..

كان أول من نذر بهم سلمة بن الأكوع، فغدا يريد الغابة، و معه غلام لطلحة، معه فرس لطلحة يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم؛ فأشرف فى ناحية سلع، ثم صرخ: وا صباحاه، و خرج يشتد فى آثار القوم، و كان مثل السبع حتى لحق القوم، فجعل يردهم بالنبل، و يقول إذا رمى:

خذها و أنا ابن الأكوعاليوم يوم الرضع فكلما وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمى رمى، ثم قال:

خذها و أنا ابن الأكوعاليوم يوم الرضع فبلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع ..

أو نودى بالمدينة: يا خيل اللّه اركبى، و كان أول ما نودى بها.

و ركب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى خمسمائة.

و قيل: فى سبعمائة.

و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم. و خلّف سعد بن عبادة فى ثلاث

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۷

مائة يحرسون المدينة.

و كان قد عقد لمقداد بن عمرو فى رمحه لواء، و قال: امض حتى تلحقك الخيول، و أنا على أثرك، فأدرك أخريات العدو «۱».

و فى الإكتفاء: «كان أول من انتهى إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من الفرسان المقداد، ثم عباد بن بشر، و سعد بن زيد، و أسيد بن ظهير أخو بنى حارثة- يشك فيه- و عكاشة بن محصن، و محرز بن نضلة، و أبو قتادة، و أبو عياش، و أبو عبيد بن زيد.

و قال: اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس.

و قال لأبى عياش: لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك، فلحق القوم.

قال أبو عياش: يا رسول اللّه، أنا أفرس الناس.

ثم أضرب الفرس. فو اللّه ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى، فعجبت أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول: لو أعطه أفرس منك.

أقول: أنا أفرس الناس.

فأعطى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فرس أبى عياش- هذا فيما يزعمون- معاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص فكان ثامنا.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ و ۶ عن المواهب اللدنية، و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۴ و ۵ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۹۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۵ و ۹۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۶ و ۲۹۶ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۴ و راجع: الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۰ ص ۱۷۰ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۸

و بعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، و يطرح أسيد بن ظهير، أخا بنى حارثة.

و لم يكن سلمة يومئذ فارسا، قد كان أول من لحق القوم على رجليه.

فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا. و كان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة، و يقال له أيضا: قمير.

و لما كان الفزع جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط، و هو مربوط بجذع نخل، حين سمع صاهلة الخيل، فقالت بعض النساء لمحرز بن نضلة: يا قمير، هل لك فى أن تركب هذا الفرس، فإنه كما ترى، حتى تلحق برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و بالمسلمين؟

فأعطته إياه، فخرج عليه، حتى أدرك القوم، فوقف بين أيديهم، ثم قال:

قفوا بنى اللكيعة، حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين و الأنصار.

ثم حمل عليه رجل منهم، فقتله. و جال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية فى بنى عبد الأشهل «۱».

فقيل: لم يقتل من المسلمين يومئذ غيره.

و قيل: إنه قتل هو و وقاص بن محرز المدلجى.

و لكن ابن إسحاق قال: حدثنى بعض من لا أتهم، عن عبد اللّه بن كعب بن مالك: أن محرزا إنما كان على فرس عكاشة بن محصن، يقال لها:

الجناح، فقتل محرز، و استلبت الجناح ..

---

(۱) الآرى: الحبل الذى تشد به الدابة. و قد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريا أيضا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۲۹

و لما تلا حقت الخيل قتل أبو قتادة، حبيب بن عيينة بن حصن، و غشاه ببرده. ثم لحق بالناس.

و أقبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى المسلمين، فرأوه، فتوهموا: أن المقتول هو أبو قتادة، فقال لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: ليس بأبى قتادة. و لكنه قتيل لأبى قتادة، وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه.

و فى المواهب اللدنية: أن أبا قتادة قتل مسعدة، فأعطاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فرسه و سلاحه.

و قتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو. كما أن عكاشة أدرك أوبارا و ابنه عمروا، و هما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح، فقتلهما جميعا، و استنقذوا بعض اللقاح، قيل: عشرة منها، و أفلت القوم بما بقى، و هو عشر.

و قتل من المسلمين محرز بن نضلة، قتله مسعدة.

و سار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى نزل بالجبل من ذى قرد، و تلاحق به الكثيرون، و أقام «صلى اللّه عليه و آله» عليه يوما و ليلة.

فقال سلمة بن الأكوع لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: يا رسول اللّه لو سرّحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح، و أخذت بأعناق القوم.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:- فيما بلغنى- إنهم الآن ليغبقون فى غطفان.

و فى المواهب اللدنية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال له: يا بن الأكوع إذا ملكت فاسجح (أى فأرفق) ثم قال: إنهم ليقرون فى غطفان.

فقسم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى كل مائة رجل جزورا.

و فى المواهب اللدنية أيضا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد صلى بأصحابه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۰

صلاة الخوف بذى قرد ..

و رجع إلى المدينة، و قد غاب عنها خمس ليال.

و أفلتت امرأة الغفارى على ناقة من إبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حتى قدمت عليه المدينة، فأخبرته الخبر.

و قالت: إنها نذرت أن تنحر الناقة التى نجت عليها.

و فى رواية: نذرت أن تأكل من سنامها و كبدها.

فتبسم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم قال: بئسما جزيتها أن حملك اللّه عليها، و نجاك بها، ثم تنحرينها! إنه لا نذر فى معصية اللّه، و لا فيما لا تملكين، إنما هى ناقة من إبلى. ارجعى إلى أهلك على بركة اللّه «۱».

و ذكروا: أن الناقة التى أفلتت الغفارية عليها هى القصوى.

و فى نص آخر: «العضباء» «۲».

و تقول الروايات أيضا: إن سلمة قد استنقذ سرح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كله، قال سلمة: فو اللّه، ما زلت أرميهم و أعقرهم، فإذا رجع إلى فارس منهم أتيت شجرة، فجلست فى أصلها، ثم رميته، فعقرت.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵- ۷ عن ابن إسحاق و غيره. و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵ و ۶ و ۷ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۹۴- ۲۹۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۰ و ۷۱ و ۷۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۵- ۱۰۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۶- ۲۹۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۲ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۶۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۵۴۸.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷ و ۸ و السنن الكبرى ج ۱۰ ص ۷۵ و سنن الدار قطنى ج ۴ ص ۹۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۱

حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا فى مضايقه، علوت الجبل، فجعلت أردهم بالحجارة، قال: فما زلت أتبعهم حتى ما خلق اللّه من بعير من ظهر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلا خلفته وراء ظهرى، و خلوا بينى و بينه.

ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة و ثلاثين رمحا، يستخفون، و لا يطرحون شيئا إلا جعلت عليه آراما من الحجارة،

يعرفها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أصحابه. حتى أتوا متضايقا من ثنية.

فأتاهم فلان ابن بدر الفزارى، فجلسوا يتضحون (أى يتغدون)، و جلست على رأس قرن، قال الفزارى: ما هذا الذى أرى؟

قالوا: لقينا من هذا البرح، و اللّه ما فارقنا منذ غلس، يرمينا حتى انتزع كل شىء فى أيدينا.

قال: فليقم إليه نفر منكم.

قال: فصعد إلى منهم أربعة فى الجبل، فلما أمكنونى من الكلام، قلت:

هل تعرفونى؟

قالوا: لا، و من أنت؟

قلت: أنا سلمة بن الأكوع. و الذى كرم وجه محمد «صلى اللّه عليه و آله» لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته، و لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى.

قال أحدهم: أظن كذلك. فرجعوا، فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يتخللون الشجر، فإذا أولهم الأخرم الأسدى، على أثره أبو قتادة الأنصارى، و على أثره المقداد بن الأسود الكندى.

فأخذت بعنان الأخرم، و قلت: يا أخرم، احذرهم، لا يقتطعونك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۲

حتى يلحق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فقال: يا سلمة، إن كنت تؤمن باللّه و اليوم الآخر، و تعلم أن الجنة حق و النار حق، فلا تحل بينى و بين الشهادة.

قال: فخليته، فالتقى هو و عبد الرحمن، فقتله، و تحول على فرسه. و لحق أبو قتادة، فارس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعبد الرحمن، فطعنه فقتله، و ركب فرس أخرم الذى ركبه عبد الرحمن.

ثم إن فوارس النبى «صلى اللّه عليه و آله»- كما فى عيون الأثر- أدركوا العدو و السرح، فاقتتلوا قتالا شديدا، و استنقذوا السرح، و هزم اللّه العدو.

و يقال: قتل أبو قتادة أم قرفة امرأة مسعدة «۱».

و عن سلمة بن الأكوع، قال: و الذى أكرم وجه محمد «صلى اللّه عليه و آله»، لتبعتهم أعدو على رجلى، حتى ما أرى من ورائى من أصحاب محمد «صلى اللّه عليه و آله» و لا من غبارهم شيئا، حتى عدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء، يقال له: ذو قرد، ليشربوا منه، و هم عطاش، فنظروا إلى عدوى وراءهم، فجلوتهم عنه، فما ذاقوا منه قطرة.

و يخرجون، و يشتدون فى ثنية، و غربت الشمس، فأعدو، و ألحق رجلا منهم، فأصكه بسهم فى نفض كتفه، فقلت:

خذها و أنا ابن الأكوعاليوم يوم الرضع قال: يا ثكلة أمه، أكوعه بكرة.

---

(۱) راجع فيما تقدم: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷ و ۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴ و ۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۱ و ۷۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲ و ۱۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۳

قلت: نعم، يا عدو نفسه، أكوعه بكرة.

قال: و أردوا فرسين على ثنية. فجئت بهما أسوقهما إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لحقنى عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، و سطيحة فيها ماء، فتوضأت، و شربت، ثم أتيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو على الماء الذى جلأتهم عنه (لعل الصحيح: حلأتهم) قد أخذ تلك الإبل، و كل شىء استنقذته من المشركين، و كل رمح، و كل بردة.

و إذا بلال نحر ناقة من الإبل التى استنقذت من القوم، فإذا هو يشوى لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من كبدها، و سنامها.

قلت: يا رسول اللّه، فانتخب من القوم مائة رجل، فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته.

فضحك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى بدت نواجذه فى ضوء النهار، و قال: يا سلمة، أتراك كنت فاعلا؟!

قلت: نعم، و الذى أكرمك.

قال: إنهم الآن ليقرون بأرض غطفان.

قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزورا، فلما كشطوا جلدها رأوا غبارا، فقال: أتاكم القوم. فخرجوا هاربين.

فلما أصبحنا قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، و خير رجالنا سلمة بن الأكوع. ثم أعطانى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سهمين: سهم الراجل، و سهم الفارس، فجمعهما إلىّ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۴

جميعا «۱».

قال سلمة: ثم أردفنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ناقته، فرجعنا إلى المدينة، فلما دنونا إلى المدينة نادى رجل من الأنصار: هل من سابق نتسابق إلى المدينة؟ فاستأذنت النبى «صلى اللّه عليه و آله» فسابقته، فسبقته «۲».

و ذكروا: أن سهما أصاب وجه أبى قتادة يوم ذى قرد، فبصق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على أثر السهم، فما ضرب، و لا قاح «۳».

و قالوا: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مر فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له: «بيسان»، فسأل عنه، فأخبروه باسمه هذا، و بأنه مالح.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸ عن الشفاء، و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۲ و راجع ص ۷۵ و شرح صحيح مسلم للندوى ج ۱۲ ص ۱۸۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۵ و ج ۱۳ ص ۷۲ و صحيح ابن حبان ج ۱۶ ص ۱۳۷ و نصب الراية ج ۴ ص ۲۸۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۴ و مشاهير علماء الأمصار ص ۴۲ و الثقات ج ۱ ص ۳۱۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۹۹ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۹ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۴ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۶۲۶ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۶ و المصنف لابن شيبة ج ۸ ص ۵۵۸ و المنتقى من السنن المسندة ص ۲۶۹ و أحكام القرآن ج ۳ ص ۷۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۲.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۲.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۴۶ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۴۵۰ و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۲۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۵

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: لا، بل اسمه «نعمان» و هو طيب، فغيّر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» اسمه، فغيّر اللّه تعالى الماء، فاشتراه طلحة، ثم تصدق به، فلما أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بذلك قال له: ما أنت يا طلحة إلا فياض.

فسمى «طلحة الفياض» «۱».

و أرسل سعد بن عبادة بأحمال تمر، و بعشر جزائر (جمع جزور)، فوافت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذى قرد.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: اللهم ارحم سعدا و آل سعد، نعم المرء سعد بن عبادة.

فقالت الأنصار: هو بيتنا و سيدنا و ابن سيدنا، يطعمون فى المحل، و يحملون الكل، و يحملون عن العشيرة.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: خيار الناس فى الإسلام خيارهم فى الجاهلية، إذا فقهوا فى الدين «۲».

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸ و ۹ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۵۸ و ۱۱۵۹ و الإصابة ج ۲ ص ۲۲۹ و السنة لابن أبى عاصم (ط سنة ۱۴۱۳ ه) ص ۶۰۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۹۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۳ و لم يذكر تسمية طلحة بالفياض، و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۳۷۴ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۴۸ و المعجم الكبير ج ۱ ص ۱۱۵ و الفائق فى غريب الحديث ج ۳ ص ۶۰ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۲۰۰ و الكامل ج ۶ ص ۳۴۳ و ميزان الإعتدال ج ۴ ص ۲۱۸ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۰.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۳ و شرح الأخبار ج ۲ ص ۴۸۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۶

- و البحار ج ۳۱ ص ۷۹ و ج ۵۸ ص ۶۵ و مستدرك سفينة البحار ج ۷ ص ۱۲۲ و معالم المدرستين ج ۲ ص ۱۸ و ميزان الحكمة ج ۴ ص ۳۳۹ و مسند أحمد ج ۲ ص ۲۵۷- ۲۶۰ و ۳۹۱ و ۴۳۱ و ۴۳۸ و ۴۸۵ و ۴۹۸ و ۵۲۵ و ۵۳۹ و ج ۳ ص ۳۸۳ و ج ۴ ص ۱۰۱ و سنن الدرامى ج ۱ ص ۷۳ و عن صحيح البخارى ج ۴ ص ۱۱۱ و ۱۲۰ و ۱۲۲ و ۱۵۴ و ج ۵ ص ۲۱۶ و عن صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۰۳ و ۱۸۱ و ج ۸ ص ۴۲ و المستدرك للحاكم ج ۲ ص ۴۸۰ و ج ۳ ص ۲۴۳ و شرح مسلم للنووى ج ۱۵ ص ۱۳۴ و ۱۳۵ و ج ۱۶ ص ۱۵ و ۱۳۴ و ۱۳۵ و ج ۱۶ ص ۷۸ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۲۱ و فتح البارى ج ۶ ص ۲۹۶ و الديباج على صحيح مسلم ج ۵ ص ۳۶۱ و تحفة الأحوذى ج ۸ ص ۴ و مسند الطيالسى ص ۳۲۴ و المصنف للصنعانى ج ۱۱ ص ۳۱۶ و مسند الحميدى ج ۲ ص ۴۵۱ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۷ ص ۵۴۵ و مسند ابن راهوية ج ۱ ص ۱۶۹ و ۲۲۶ و ۴۳۶ و الأدب المفرد ص ۱۳۹ و سنن النسائى ج ۶ ص ۳۶۷ و مسند أبى يعلى ج ۱۰ ص ۲۱۷ و مسند الشاميين ج ۳ ص ۱۷ و ج ۴ ص ۲۷۴ و مسند الشهاب ج ۱ ص ۱۴۵ و ۳۵۴ و رياض الصالحين ص ۹۶ و ۲۲۰ و ۶۰۵ و الجامع الصغير ج ۱ ص ۴۹۹ و اللمع فى أسباب نزول الحديث ص ۴۸ و العهود المحمدية ص ۸۶۸ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۴۹ و ۱۵۲ و ۱۵۳ و ۱۶۹ و ج ۱۲ ص ۲۴ و ۳۱ و ج ۱۳ ص ۵۴۵ و كشف الخفاء للعجلونى ج ۲ ص ۳۱۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۶ ص ۳۴۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۴۸۵ و ج ۴ ص ۲۳۲ و الدر المنثور ج ۶ ص ۹۹ و ۳۹۹ و فتح القدير ج ۵ ص ۶۹ و علل الدار قطنى ج ۸ ص ۱۳۴ و ج ۹ ص ۱۶۰ و ج ۱۰ ص ۴۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۰ ص ۲۵۸ و ج ۲۸ ص ۱۷ و ج ۴۱ ص ۶۰ و البداية و النهاية ج ۱ ص ۱۹۷ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۱ ص ۱۳۴ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۶۵ و قصص الأنبياء لابن كثير ج ۱ ص ۲۴۲ و السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام» لمحمد بيومى ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۷

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات كثيرة، نجملها فيما يلى:

مؤاخذات على ما تقدم و ما يأتى:

لقد روى ابن سعد: أن أبا ذر استأذن النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أن يكون فى اللقاح، فقال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا تأمن عيينة بن حصن و ذويه أن يغيروا عليك.

فألح عليه، فقال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لكأنى بك قد قتل ابنك، و أخذت امرأتك، و جئت تتوكأ على عصاك.

فكان أبو ذر يقول: عجبا لى، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول:

لكأنى بك، و أنا ألح عليه، فكان- و اللّه- ما قال.

ثم ذكر: أنهم بعد حلب اللقاح ناموا فى تلك الليلة، فأحدق بهم عيينة فى أربعين فارسا، و قتلوا ابنه، و كان معه ثلاثة نفر، فنجوا، و

تنحى عنهم أبو ذر، فأطلقوا عقل اللقاح و استاقوها، فلما قدم المدينة، و أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» تبسم «۱».

فهذه الرواية تدل:

أولا: على أن المسبية: هى زوجة أبى ذر نفسه، و ليست زوجة ابنه، كما

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۵ و ج ۹ ص ۲۲۵ عن الواقدى و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۳ و ۲۹۴ عن مسلم، و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۳۶ و راجع: الفايق فى غريب الحديث ج ۳ ص ۲۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۸

يفهم من بعض النصوص الأخرى.

ثانيا: إنه إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يتوقع إغارة عيينة بن حصن على لقاحه، فلماذا يبعدها عن المدينة كل هذه المسافة التى تحتاج إلى ساعات كثيرة أو إلى يوم أو يومين، ليمكن إيصال الخبر إلى المدينة بما يجرى لها، أو عليها؟!

ثالثا: لنفترض: أنه لم يكن مكان أقرب من ذلك المكان يمكن للقاح أن تسرح فيه، و تجد فيه قوتها .. فلماذا تركها النبى «صلى اللّه عليه و آله» من دون حامية قادرة على رد عادية المغيرين عليها؟ حيث هم منها قريبون، و على الاستيلاء عليها قادرون؟!

رابعا: لنفترض: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يريد أن يسوس الناس وفق ما يأتيه من علوم غيبية، خاصة فيما يتعلق باللقاح العائدة إليه، فهل لم يكن ملتفتا إلى هذا الأمر الواضح؟ و هل لم يكن من بين المسلمين العارفين بالحالة الأمنية فى المنطقة من يدرك هذا الأمر، و يهتم بلزوم معالجته؟ و الذى لو حصل فيه ما هو متوقع فى نظائره، فإنه سيفرض على المسلمين خوض حروب، لاسترداد ما أخذ، و لإعادة الهيبة، و لحفظ أرواح الأشخاص الأبرياء الذين كانوا مع اللقاح.

خامسا: هل يعقل أن يغفل أبو ذر عن مراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو يخبره بما سيجرى عليه، و على ابنه، و على امرأته لو أصر على الذهاب إلى موضع اللقاح؟

ألم يكن كلامه «صلى اللّه عليه و آله» واضحا و صريحا فى المراد، بحيث يفهمه حتى الأطفال، فضلا عن النساء و الرجال؟.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۳۹

و لماذا هذا الإصرار من أبى ذر، ليكون مع تلك اللقاح؟!

و إذا كان يرغب فى الخلوة بنفسه، و باكتساب الثواب فى عبادة ربه، فلما ذا يحمل معه ولده و زوجته إلى ذلك المكان النائى و غير المأمون؟!

و هل كان الرجال الآخرون- و هم ثلاثة- يحملون معهم نساءهم و أبناءهم أيضا؟!

و ما الذى جرى على تلك النسوة و الأبناء؟!

أم أنهم تركوهم وراءهم فى المدينة حيث الأمن و الأمان؟! أم تراهم كانوا عزبا و ليس لهم نساء و لا أطفال؟!

من هو المغير؟:

و بينما نجد فى الروايات: أن عيينة بن حصن كان هو المغير، فإن روايات أخرى تقول: إن المغير هو عبد الرحمن بن حصن «۱» الفزارى.

و قد جمعوا بين القولين: بأنه قد يكون البادئ هو عبد الرحمن، و جاء

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵ عن المشكاة و غيرها، و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۹ و ۵۲ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۸۸ و فتح

البارى ج ۷ ص ۳۲۴ و ۳۵۳ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۳ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۵۶ و صحيح ابن حبان ج ۱۶ ص ۱۳۳ و الفائق ج ۱ ص ۷۷ و ج ۲ ص ۱۳۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۲ و الثقات ج ۱ ص ۳۰۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۹۵ و ۹۷ و أسد الغابة ج ۱ ص ۵۶ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۶ و البداية و النهاية ج ۴ هامش ص ۱۷۰ و ۱۷۱ و ۱۷۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۰

عيينة إلى إمداده، فنسبت الإغارة تارة إلى هذا، و أخرى إلى ذاك «۱».

و نقول:

لماذا لا يكون العكس، بأن يكون عيينة هو البادئ، ثم أمده عبد الرحمن، و لماذا لا يكونان شريكين فى هذا الأمر، فنسب تارة إلى هذا، و أخرى إلى ذاك؟!

مع أن النصوص الأخرى: قد ذكرت أن المغير هو عبد الرحمن بن عيينة بن حصن «۲». لا عبد الرحمن بن حصن.

و قيل: إنه عيينة بن بدر.

و يقال: إن مسعدة كان رئيسا فى هذه الغزوة «۳» أيضا!!

الغدر مرتعه و خيم:

و قد قالوا: إن أرض عيينة كانت قد أجدبت، فسمح له النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأن يرعى بتغلمين، و ما والاه إلى المراض. و لكن عيينة لم يحفظ هذا الجميل، و اتجه بعد أن سمن خفه و حاقره إلى الغدر و الخيانة، و قابل

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۷.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۶ و ۱۰۷ و راجع: مسند أحمد ج ۴ ص ۵۳ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۵۷ و صحيح ابن حبان ج ۱۶ ص ۱۳۴ و الفايق ج ۲ ص ۱۳۶ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۹۶ و ۹۷ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۷ و السيرة النبوية ج ۳ ص ۲۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۱

الجميل بالقبيح رغم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين سمح له بذلك لم يكن يطمع منه بمال، و لا بنصرة، و لا كان ذلك عن خوف منه، و إنما كان الدافع إلى هذا الإحسان هو خلقه الرضى، و منطلقاته الإيمانية و الإنسانية، و الثوابت الأخلاقية، و القيم و المثل العليا.

و هو «صلى اللّه عليه و آله» يرى: أن السلم و التعاون و التفاهم هو الأساس لكل العلاقات بين الناس .. لأنه هو المحيط الطبيعى للحياة الكريمة و الحرة، و هو الذى يهيئ لبناء الحياة بناء سليما، و يفسح المجال لاعتماد الخيارات الصحيحة بتدبر و أناة.

و أما الحرب، فهى لمنع العابثين و الطامعين، من استبعاد الناس و إذلالهم، و مصادرة خياراتهم .. و قد كان عيينة من هؤلاء، كما دلت عليه تصرفاته، و كما وشى به غدره و خيانته ..

كيف علم ابن الأكوع بالغارة؟!:

قد ذكرت الروايات السابقة: أن سلمة بن الأكوع أول من نذر بالغارة، فغدا يريد الغابة، و معه غلام للنبى «صلى اللّه عليه و آله» اسمه رباح.

و لكننا نشك فى صحة ذلك، و مستندنا هو:

۱- إن ثمة رواية تقول: إن سلمة كان مع السرح حين أغير عليه، و أنه قام على أكمة، و صاح: وا صباحاه، ثلاثا «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۱ و ۱۷۳ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۷۵۲ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۶ و ۲۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۲

۲- إن رواية أخرى، عن سلمة نفسه يصرح فيها: بأنه إنما علم بالإغارة على اللقاح من عبد لعبد الرحمن بن عوف. و قد التقى به حينما خرج سلمة مع رباح قبل أن يؤذن بلال للفجر.

فقال له سلمة: و يحك ما لك؟

قال: أخذت لقاح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

قلت: من أخذها؟

قال: أخذها غطفان و نزار.

و كان سلمة راكبا على فرس لطلحة، أو لأبى طلحة «۱».

و فى نص آخر: أنه علم بالغارة على السرح من رباح غلام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأعطاه سلمة الفرس الذى معه، و أرسله إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليخبره بالإغارة على السرح «۲».

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۹ و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۹ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۹۱ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۸۸ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۵۶ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۷ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۹۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۳ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۹۱ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۸۸ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۳ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۳

رباح مولى الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

و قد حاول العسقلانى الجمع بين الروايات بادعاء: أن رباحا هو نفس غلام ابن عوف، و كان يخدم الرسول «صلى اللّه عليه و آله» «۱». فنسب إليه تارة، و إلى ابن عوف أخرى.

و يرد عليه: أن الرواية التى قدمناها تصرح: بأن سلمة كان مع رباح، ثم التقيا بغلام ابن عوف، فأخبر هما بالإغارة على السرح ..

رباح .. اسم مكروه:

و اللافت: أنهم يقولون: إن اسم غلام النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو:

«رباح»، مع أنهم يروون: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد نهى أن يسمى الرجل رقيقه بيسار، و رباح، و أفلح، و نافع «۲».

فكيف لم يغيّر النبى «صلى اللّه عليه و آله» اسم غلامه. مع أنه كان يغيّر أسماء الناس من نساء و رجال؟!

و قد تقدمت الإشارة إلى ذلك حين الحديث عن تغيير اسم زينب بنت جحش، و اسم أبيها، من برة- بالفتح- إلى زينب و برة- بالضم- إلى جحش ..

و ادّعاء: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يغيّر اسمه ليؤذن بأن النهى عن

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴ و المستدرك للحاكم ج ۴ ص ۲۷۴ و تحفة الأحوذى ج ۸ ص ۱۰۰ و كنز العمال ج ۱۶ ص ۴۲۶ و سنن الدارمى ج ۲ ص ۲۹۴ و علل الدار قطنى ج ۲ ص ۹۵ و ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۴

تلك الأسماء قد كان للتنزيه «۱». غير مقبول .. لأنه مجرد تخرص، و رجم بالغيب، ليس له شاهد و لا دليل.

رؤية سلمة للمغيرين:

و اللافت: أن بعض الروايات تذكر: أن سلمة رجع إلى المدينة، و صعد على ثنية الوداع، فرأى بعض خيول المغيرين، فصرخ: وا صباحاه ..

و نقول:

أولا: لماذا رجع إلى المدينة بعد أن كان قد خرج منها؟ ..

ثانيا: هناك روايات أخرى تقول: إنه صعد على تل بناحية سلع. و أين جبل سلع من ثنية الوداع؟!

ثالثا: كيف سمع أهل المدينة صوته، و هو فى ثنية الوداع؟! ..

رابعا: كيف تمكن من رؤية خيول المغيرين من موضعه، و كانوا يبعدون عن المدينة مسيرة يوم، أو يومين؟ ..

حليب اللقاح إلى المدينة:

و اللافت هنا قولهم: إنهم كانوا يحلبون تلك اللقاح عند المغرب.

«و كان راعيها يرجع بلبنها كل ليلة عند المغرب إلى المدينة».

أى فإن المسافة بينها و بين المدينة يوم أو بعض يوم «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۵ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۱۸۰ و عن صحيح البخارى ج ۷ ص ۵۲۶ و صحيح مسلم ج ۳ ص ۱۴۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۵

بل تقدم القول: بأن المسافة بين موضع النياق و بين المدينة كانت يوما أو يومين ..

و السؤال هو: كيف كانوا يمضون يوما كاملا أو يومين على الطريق، و يقطعون تلك المسافات الشاسعة، لكى يوصلوا ذلك الحليب إلى أهله؟!

يا خيل اللّه اركبى:

قال الحلبى: «لما بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» صياح ابن الأكوع صرخ بالمدينة: الفزع الفزع، يا خيل اللّه اركبى.

و قيل: و كان أول ما نودى بها.

و فيه- كما فى الأصل-: أنه نودى بها فى بنى قريظة» «۱».

أمير الغزوة:

و اختلفوا فى الذى أمّره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على السرية هل هو سعيد بن زيد أم هو المقداد كما دلت عليه أبيات لحسان؟ جاء فيها قوله:

و لسر أولاد اللقيطة أنناسلم غداة فوارس المقداد

كنا ثمانية و كانوا جحفلالجبا، فشكوا بالرماح بداد «۲»

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۲ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۶ و ۹۷ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۰.

(۲) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۹۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۶

و زعموا أن سعيد بن زيد: غضب على حسان، و حلف ألا يكلمه أبدا.

و قال: انطلق إلى خيلى فجعلها للمقداد؟

فاعتذر منه حسان: بأن الروى وافق اسم المقداد، ثم قال أبياتا ذكر فيها سعيد بن زيد، و لكن سعيد لم يقبل منه ذلك «۱».

و نقول:

أولا: إن عليا «عليه السلام» قد حضر هذه الغزوة بلا ريب، لأن النصوص قد صرحت: بأنه «عليه السلام» قد حضر المشاهد كلها باستثناء تبوك، التى أمره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالبقاء فيها بالمدينة، حيث قال له: أنت منى بمنزلة هارون من موسى ..

و قد ذكرنا فى غزوة أحد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يؤمّر عليه أحدا، بل كان «عليه السلام» هو صاحب لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى بدر، و فى كل مشهد.

ثانيا: لنفترض: أن الاعتراض على حسان كان صحيحا، فإن ذلك لا يلزم منه عدم جعله قائدا فى تلك السرية إذ قد يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد جعله على الرجالة مثلا، أو على جماعة أخرى من بعض القبائل المشاركة فى ذلك الجيش، أو على الطليعة التى أرسلها النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمامه. أو نحو ذلك.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۷ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص

۷۵۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۷

ثالثا: إن ما ذكر من اعتذار حسان باقتضاء الروى اسم المقداد، ما هو إلا اعتذار واه، فإن الشعر شعره، و يمكنه أن يغيّر صياغة البيت بحيث ينسجم مع اسم من يريد الثناء عليه .. بل إنه حتى لو لم يكن المقداد أميرا، فإنه ربما يكون قد تعمد ذكر اسمه، لبطولات نادرة ظهرت منه فى تلك الغزوة و ما سبقها، فصار له تميز على أقرانه ..

ثم حاول حسان أن يرضى ابن زيد، من دون أن يتراجع عن موقفه السابق.

عبد الرحمن بن عيينة:

و قد صرحت الروايات: بأن عبد الرحمن بن عيينة قد قتل فى هذه الغزوة، و أن قاتله هو أبو قتادة ..

و قد اعترضوا على هذا القول: بأن عبد الرحمن بن عيينة لم يذكر فيمن قتل من المشركين فى هذه الغزوة. بل المعروف أن المقتول هو حبيب بن عيينة و قد قتله المقداد «۱».

أما أبو قتادة، فقتل مسعدة الفزارى. فأعطاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فرسه و سلاحه.

و لكن الحلبى أشار إلى: أن أبا قتادة هو الذى قتل حبيبا هذا «۲». و لم يقتل

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵ عن الدمياطى، و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۹.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵ و ۶ و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۲ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۸

من المسلمين إلا محرز بن نضلة، و هو الأخرم الأسدى «۱».

عمر سلمة بن الأكوع:

إننا نشك: فى أن يكون سلمة بن الأكوع كان قد بلغ من العمر ما يخوله حضور الحرب، و ممارسة الطعن و الضرب.

فقد قالوا: إنه توفى سنة أربع و سبعين على الصحيح «۲».

و قالوا: إن عمره حين توفى كان ثمانين سنة «۳».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵ و راجع: مسند أحمد ج ۴ ص ۵۳ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۹۲ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۶۲۵ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۸۸ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۵ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۵ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۵۷ و صحيح ابن حبان ج ۱۶ ص ۱۳۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۳ و الثقات ج ۱ ص ۳۰۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۹۸ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۵۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۴ و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۳ ص ۲۸۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۸.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۶۷ و الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۲ ص ۸۷ و العمدة لابن البطريق ص ۳۴۲ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۵۶۲ و ۵۶۳ و مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۱۱ و المعجم الكبير ج ۶ ص ۳۳ و ج ۷ ص ۵ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۰۸ و الثقات ج ۳

ص ۱۶۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۰ ص ۳۹۹ و ج ۲۲ ص ۸۵ و ۱۰۴ و ۱۰۵ و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۳ و تقريب التهذيب ج ۱ ص ۳۷۸.

(۳) الإصابة ج ۲ ص ۶۷ عن الواقدى و من تبعه، و الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۴۹

و هذا معناه: أن عمره فى سنة ست كان حوالى: عشر سنين، أو اثنى عشرة سنة و من يكون فى ذلك السن لا يبايع على الموت «۱».

و لعل قول بعضهم: إنه مات فى سنة أربع و ستين، أو فى خلافة معاوية «۲»، إنما جاء من أجل تصحيح هذه الأمور التى ينسبونها إليه.

هل أفلتت اللقاح؟ و من الذى أنقذها؟!:

و قد ادّعى سلمة بن الأكوع: أنه استنقذ اللقاح كلها، «حتى ما خلق اللّه تعالى من بعير من ظهر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلا خلفته وراء ظهرى، و خلوا بينهم و بينه».

و لكن يقابل ذلك:

أولا: أن هناك نصا لسلمة بن الأكوع نفسه، يقول: إنه قال: يا رسول اللّه، إن القوم عطاشى، فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت ما بقى فى أيديهم من السرح، و أخذت بأعناق القوم «۳».

- ص ۸۸ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۵۶۲ و المعجم الكبير ج ۴ ص ۳۰۸ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۰۸ و الثقات ج ۳ ص ۱۶۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۱۰۵ و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۳۳.

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۶۷.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۶۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۸۵ و ۱۰۴ و الثقات ج ۳ ص ۱۶۳ و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۳۳.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۰ ص ۱۷۱ و راجع: تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ج ۲ ص ۲۶۰ و البداية-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۰

ثانيا: أن أبا قتادة يدّعى: أنه هو الذى استنقذ اللقاح كلها «۱».

ثالثا: أن هناك ما دل على أن الذى استنقذوه من أيديهم هو عشرة فقط من تلك اللقاح «۲»، و ذهبوا بسائرها. و هكذا، فإن عدد اللقاح التى استنقذت يبقى غير واضح كما أن الذى استنقذها يبقى فى دائرة الشك و الاختلاف، بسبب اختلاف الروايات و تناقضها.

كما أننا لا نستطيع أن نصدق: أن سلمة كان يخبرنا عن ظن أخطأ فيه، حين قال: «حتى ما خلق اللّه من بعير الخ ..».

لأنه إنما ينقل لنا هذه البطولات عن نفسه بصورة الحتم و الجزم، و ذلك بعد سنوات كثيرة من الحدث، و عن عمد و روية، و لا يتكلم فى لحظة صدور الفعل منه، و فى لحظات التوتر و الانفعال ..

سهم فى جبهة أبى قتادة:

و ذكروا عن أبى قتادة قوله: «فسرت حتى هجمت على القوم، فرميت بسهم فى جبهتى، فنزعت قدحه، و أنا أظن أنى نزعت الحديدة، فطلع علىّ

- و النهاية ج ۴ ص ۱۷۲ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۶۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۷۵۴ و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۸ و عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۷۱ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۸۹.

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶ و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶ و ۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۷ عن ابن سعد، و الواقدى، و ابن إسحاق و غيرهم، و عون المعبود ج ۷ ص ۳۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۱

فارس، فقال: لقد ألقانيك اللّه يا أبا قتادة، و كشف عن وجهه، فإذا هو مسعدة الفزارى».

ثم ذكروا: أن مسعدة خيره بين المجالدة، و المطاعنة، و الصراع، فتصارعا، فصرعه أبو قتادة. فطلب منه مسعدة أن يتركه؛ فأبى ثم قتله و لبس ثيابه، و ركب فرسه، لأن فرس أبى قتادة نفرت نحو القوم حين كانا يتصارعان، فعرقبوها.

ثم ذهب خلف القوم، فلحق ابن أخى مسعدة فقتله، و انكشف من معه عن اللقاح، فأتى بها أبو قتادة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أبو قتادة سيد الفرسان «۱».

و نقول:

أولا- إذا كان أبو قتادة خير الفرسان، أو سيد الفرسان، و سلمة بن الأكوع خير الرجالة «۲»، فما الذى أبقيا لعلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فضلا عن أبى دجانة، و المقداد، و غير هما من فرسان المسلمين؟! إذ لا شك فى حضور على «عليه السلام»، و مشاركته فى تلك الغزوة، و كذلك كان المقداد و غيره من فرسان المسلمين حاضرين فيها ..

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۹ و ۱۰۰ و ۱۰۱ و دلائل النبوة ج ۴ ص ۱۹۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۵ و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۸۴ و الأذكار النبوية ص ۲۱۴.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۶۷ و ج ۴ ص ۱۵۸ عن مسلم، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵ و ۶ و ۷ و فيهما أنه كان يقال له: فارس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و راجع: عيون الأثر ج ۲ ص ۷۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۳۹۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۲

ثانيا: إن من غير المعقول: أن تبقى حديدة السهم فى جبهة أبى قتادة، دون أن يشعر بها، حتى و هو يصارع مسعدة، و إلى حين رجوعه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

بل لا مجال للتصديق: بأن السهم يخترق جبهته، ثم ينتزع قدحه، ثم لا يصيبه دوار أو صداع، و يبقى قادرا على القتال، و النضال، و المصارعة!! ..

ثالثا: كيف يمكن أن نصدق: أن أبا قتادة قد حقق كل هذا الإنجاز، حتى استرد اللقاح بعد أن هزم القوم، و كانوا أربعين رجلا، و لم يخطر فى بالهم أن يرموه بسهام أخرى فى جبهته أيضا و فى سائر جسده؟! خصوصا حينما ساق اللقاح، و أدبر بها عنهم، بعد أن قتل منهم من عرفنا، فلماذا لم يلاحقوه، و لم يرموه بنبالهم، و يطعنوه برماحهم، و يقذفوه بحجارتهم، و يربكوا حركته، و يفشلوا خطته؟!

رابعا: كيف نوفق بين نسبة كل هذه الأمور إلى أبى قتادة، و بين نسبتها كلها أيضا إلى سلمة بن الأكوع.

و لعلهم أحبوا أن ينال سلمة بن الأكوع كل هذه الأوسمة، أو أنه أراد ذلك لنفسه؛ لأنه بعد قتل عثمان اعتزل فى الربذة، و بقى بها. و لم تظهر منه أية مودة، أو موافقة، أو مشاركة، أو نصرة لعلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فى حكومته، و فى حروبه مع أعدائه.

و كان ذلك على حساب أبى قتادة، و على حساب المقداد، و على حساب على «عليه السلام» فضلا عن غيرهم!!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۳

ملكت .. فاسجح:

و قد تقدم: عن المواهب اللدنية، و السيرة الحلبية: أن سلمة بن الأكوع طلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يرسل معه مائة رجل لاستنقاذ بقية السّرح.

فقال له «صلى اللّه عليه و آله» بعد أن ضحك: ملكت فاسجح. أى فارفق واعف.

و نقول:

إننا حتى لو قبلنا أن المراد بالسرح الذى يريد استنقاذه هو سرح المغيرين على اللقاح، و ليس المقصود به تلك اللقاح التى كانت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فإننا نقول:

أولا: لماذا احتاج إلى مائة رجل ليستنقذ السرح؟! ألم يزل هو نفسه يدّعى: أنه هو وحده، قد هزمهم، و استرجع اللقاح جميعها منهم؟! فليذهب وحده و ليأت بالسرح، أو ليذهب هو و أبو قتادة معه، فإنهم يدّعون أنه قد قام بنفس ما قام به سلمة هذا.

ثانيا: هل مجازاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لذلك الغادر الذى أحسن إليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كل هذا الإحسان، و سمح له بأن يرعى إبله فى بلاده. هل مجازاته على غدره تكون من مفردات القسوة، و خلاف الرفق؟! أم أن الرفق به يكون خلاف الحكمة، و ضد العدل؟! و لا يحب اللّه سبحانه بل هو لا يجيز رفقا من هذا القبيل.

ثالثا: إذا كان استنقاذ السرح خلاف السجاحة، و ضد الرفق، فلماذا كان «صلى اللّه عليه و آله» يرسل السرايا ليغيروا على الذين يتآمرون

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۴

و يدبرون للإغارة عليه، فتأخذ جيوشه سرحهم، و يقتلون أو يأسرون رجالهم، و يسبون نساءهم و ذرايهم؟! و ما على القارئ الكريم إلا أن يلقى نظرة عابرة على ما يذكره هؤلاء من نتائج الغزوات و السرايا هذه .. فهل هذا ينسجم مع الرفق و السجاحة، و لا ينسجم معه تسديد ضربة لغادر ظالم، تسقط كيده، و تبير سعيه المشؤوم لإلحاق الأذى بأهل الإيمان؟!

لابن الأكوع سهم الراجل، و سهما الفارس:

و قد ذكروا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أعطى سلمة سهم الراجل، و سهمى الفارس جميعا مع كونه راجلا.

و قد استدل بهذا الأمر من قال: إن للإمام أن يفاضل فى الغنيمة، و هو مذهب أبى حنيفة، و إحدى الروايتين عن أحمد «۱».

و نقول:

أولا: إنه لم يكن فى هذه الغزوة غنائم تذكر، أو يمكن تقسيمها على خمسمائة أو سبعمائة مقاتل، كانوا قد شاركوا فيها، سوى ما يذكرونه عن حصول سلمة على بعض الأسلحة، و بعض الألبسة التى كانوا يتخففون منها، بالإضافة إلى فرسين زعم سلمة أنه حصل عليهما حين طرد الغزاة عن الماء.

و زعموا: أن ذلك قد حصل له حينما رجعت الصحابة عنهم، و استمر هو يتبعهم «۲». فهو غنيمة له دونهم.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۲.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۵

ثانيا: إن مالكا و الشافعى قالا: لا يجوز للإمام أن يفاضل فى الغنيمة.

قال الحلبى: «لعله لعدم صحة ذلك عند هما» «۱».

ثالثا: إذا صح ما يذكرونه عن هذه الغزوة، فاللازم هو: أن يفوز سلمة بن الأكوع، أو أبو قتادة بالغنيمة كلها، إذ إن أحدا من المسلمين لم يشاركه فى تحقيق النصر، و استرداد اللقاح. فلماذا يشاركونه فى الغنيمة؟!.

بل إن أحدا من الصحابة لم يكن حاضرا فى موضع القتال .. فراجع رواياتهم فى مصادرها.

رابعا: إذا كان سلمة خير الرجالة، فإن أبا قتادة كان خير الفرسان أيضا، فإذا استحق سلمة ثلاثة أسهم: سهم الراجل و سهمى الفارس، فلماذا لا يستحق أبو قتادة ذلك أيضا ..

و الذى يتبادر إلى الذهن هو: أن دعوى إعطاء سلمة سهمى الفارس و الراجل، تهدف إلى التخفيف من أهمية ما جاء فى حديث مناشدة على «عليه السلام» لأصحاب الشورى، و فيهم طلحة و عثمان، و سواهما، حيث قال «عليه السلام»:

«أفيكم من كان له سهم فى الحاضر و سهم فى الغائب؟!

قالوا: لا» «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸.

(۲) ترجمة الإمام على بن أبى طالب «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (تحقيق المحمودى) ج ۳ ص ۹۳ و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۶۲ و الضعفاء الكبير ج ۱ ص ۲۱۱ و ۲۱۲ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۵ ص ۶۸۵ و كنز العمال ج ۵ ص ۷۲۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۲ ص ۴۳۵ و الموضوعات لابن الجوزى ج ۱ ص ۳۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۶

و ذكر الزمخشرى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» جلس فى المسجد يقسم غنائم تبوك. فدفع لكل واحد منهم سهما، و دفع لعلى كرم اللّه وجهه سهمين. فاعترض عليه زائدة بن الأكوع.

فكان مما أجابه النبى «صلى اللّه عليه و آله» به: أن جبرئيل كان يقاتل فى تبوك مكان على «عليه السلام»، و أن جبرئيل «عليه السلام» هو الذى أمره بأن يعطى عليا «عليه السلام» سهمين «۱». فراجع.

كما أنه قد كان لجعفر بن أبى طالب سهم فى الحاضر، و سهم فى الغائب.

فقد روى عن الإمام الباقر «عليه السلام»، أنه قال: ضرب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم بدر لجعفر بن أبى طالب بسهمه، و أجره «۲».

و فى حديث آخر: أن الرسول «صلى اللّه عليه و آله» أعطى الإمام عليا «عليه السلام» سهمى جبرئيل بطلب من اللّه فى واقعة خيبر «۳».

قال الوراق القمى:

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۴۲ عن فضائل العشرة للزمخشرى، و علل الشرائع ج ۱ ص ۱۷۲ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۸۲ و ۳۲۰ و البحار ج ۳۹ و ۹۴ و جواهر المطالب فى مناقب الإمام على «عليه السلام» ج ۱ ص ۷۸ و تنبيه الغافلين لتحسين آل شبيب ص ۳۹.

(۲) سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۶ و شرح الأخبار ج ۳ ص ۲۰۵ و بغية الباحث ص ۲۱۵ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۵۲ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۹۶.

(۳) مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۲۰ و مدينة المعاجز ج ۱ ص ۱۷۹ و البحار ج ۴۱ ص ۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۷ على حوى سهمين من غير أن غزاغزاة تبوك حبذا سهم مسهم «۱»

هل كان هناك قتال؟!

إننا إذا نظرنا إلى: حديث سلمة بن الأكوع، فسوف نخرج بنتيجة هى أنه لم يحصل فى تلك الغزوة قتال .. إلا ما قام به إبن الأكوع من رميهم بالنبال، حتى أربكهم و استعاد منهم اللقاح كلها.

و لكن الحقيقة: هى غير ذلك، فإن حديث أبى قتادة و غيره يدل على أنه قد كان قتال قوى بين المغيرين الذين استاقوا اللقاح، و بين الثمانية الذين أرسلهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بقيادة المقداد، الذى أريد الانتقاص من جهده و جهاده، بإنكار أن تكون الإمارة له، رغم شعر حسان بن ثابت المصرح باسمه، و بنسبة جنود السرية إليه.

و قد دلت النصوص التى تقدمت: على أنه قد حصل فيها قتال و سقط عدد من القتلى من المسلمين و المشركين، على حد سواء، و يدل على ذلك أيضا قول حسان بن ثابت:

كنا ثمانية و كانوا جحفلالجبا فشكوا بالرماح بداد و قال شداد بن عارض فى يوم ذى قرد لعيينة بن حصن:

فهلا ذكرت أبا مالكو خيلك مدبرة تقتل

ذكرت الإياب إلى عسجرو هيهات قد بعد المقفل و هناك أبيات أخرى لكعب بن مالك فى هذه المناسبة تشير إلى

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۸

ذلك .. «۱».

الشك فى أخذ اللقاح:

و ربما يكون ثمة تهويل مقصود فى أمر استياق اللقاح، ثم تخليصها منهم بواسطة سلمة بن الأكوع، أو بغير ذلك.

و لعل الصحيح هو: أن المسلمين قد نذروا بهم قبل أن يتمكنوا من استياقها، و يدل على ذلك قول حسان:

أظن عيينة إذ زارهابأن سوف يهدم فيها قصورا

فأكذبت ما كنت صدقتهو قلتم سنغنم أمرا كبيرا

فعفت المدينة إذ زرتهاو آنست للأسد فيها زئيرا

فولوا سراعا كشد النعامو لم يكشفوا عن ملطّ حصيرا «۲» أى لم يصيبوا بعيرا، و لا كشفوا عنه حصيرا، و الحصير: ما يكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة.

و هذا معناه: أنهم لم يتمكنوا من استياق شىء من الإبل.

تركوا فرسين:

و زعموا: أنه حين طردهم سلمة بن الأكوع عن ماء ذى قرد، تركوا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۱۴ ۲۵۸ تركوا فرسين: ..... ص : ۲۵۸

و زعموا: أنه حين طردهم سلمة بن الأكوع عن ماء ذى قرد، تركوا

(۱) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۹۸- ۳۰۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۴ و ۱۰۵.

(۲) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۹۹ و ۳۰۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۵۹

فرسين، و جاء بهما سلمة يسوقهما إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و نقول:

إن هذا أمر غير ظاهر الوجه أيضا، إذ لماذا يتركون خيولهم، و يفرون مشيا على الأقدام، و لا يفرون عليها؟! أليس ذلك أسرع لهم، و أضمن لنجاتهم؟!

و كيف عدلوا إلى ذلك الماء و نزلوا عن خيولهم، و ابن الأكوع لم يزل وراءهم، يرميهم بالحجارة، أو بالسهام؟! حتى لم يتمكنوا من أن يذوقوا منه قطرة؟!

و هل أخذ الفرسين منهم عند ذلك الماء أم أخذهما حينما تركوهما على ثنية أخرى حسبما تقدم؟!

ثم إننا لا ندرى: لماذا توقف طرده لهم عند ماء ذى قرد، و لم يواصل ملاحقتهم إلى ما بعد ذلك؟!

يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو:

و ذكروا: أن عيينة و أصحابه بعد فرارهم من ذى قرد، مروا على فلان الغطفانى، فنحر لهم جزورا، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة، فتركوها، و خرجوا هرّابا.

غير أننا نقول:

إذا كانوا قد هربوا بعد غروب الشمس من ذى قرد «۱»، فإنهم لا بد أن

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۹۹ عن الواقدى، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۱ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۰

يكونوا قد وصلوا إلى ذلك الغطفانى الذى نحر الجزور لهم، و بدأوا بكشط جلدها بعد حلول الظلام، فكيف رأوا الغبرة قد ظهرت، و الحال: أن الرؤية فى الليل غير متيسرة لهم و لا لغيرهم؟!

صلاة الخوف:

و الغريب فى الأمر، أنهم يذكرون: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لما بلغ ماء ذى قرد، صلى بالمسلمين صلاة الخوف، فجعل المسلمين فرقتين، فصلى ركعة بالفرقة الأولى، و فرقة قامت بإزاء العدو، ثم جاءت الطائفة الثانية، و حل الذين صلوا مكانها، فصلى بهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أيضا ركعة، فكانت الصلاة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ركعتين، و لكل رجل من الطائفتين ركعة «۱».

و نقول:

أولا- إن المفروض: أن جيش رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لم يواجه عدوا، لتقف طائفة من الجيش بإزاء ذلك العدو، و تقف الطائفة الأخرى معه للصلاة.

و لأجل ذلك التجأ البعض إلى القول: بأن المقصود: أنهم وقفوا فى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷ عن الإمتاع، و عيون الأثر ج ۲ ص ۷۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۱ و اختلاف الحديث ص ۵۲۶ و السنن الكبرى ج ۳ ص ۲۶۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۴ و شرح معانى الآثار ج ۱ ص ۳۰۹ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۹۴ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۱ و الثقات ج ۱ ص ۲۸۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۳ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۱

المحل الذى يظن مجيئهم منه، و ذلك كان لغير جهة القبلة .. و إلا فالعدو لم يكن بمرأى منهم «۱».

و هو كلام لا معنى له؛ لأن ذلك لو تم لوجب على المسلمين أن يصلوا صلاة الخوف باستمرار فى كل سرية و غزوة، بل قد يحتاجون إلى صلاة الخوف، حتى و هم فى داخل المدينة، لأن الخوف من مداهمة العدو حاصل فى كل وقت.

بل إن نفس حديث غزوة ذى قرد يذكر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله»، قد خلّف سعد بن عبادة مع ثلاث مائة مقاتل فى المدينة، من أجل أن يحرسوها.

ثانيا: إن هناك اختلافا كثيرا حول تاريخ تشريع صلاة الخوف، فلا محيص عن الرجوع إلى أهل البيت «عليهم السلام» لحسم هذا الأمر، حيث قد روى بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال عن صلاة الخوف: «إنها نزلت لما خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى الحديبية، يريد مكة» «۲» فراجع.

ثم صلاها فى غزوة ذات الرقاع فى سنة سبع «۳».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷.

(۲) البرهان ج ۱ ص ۴۱۱ و مستدرك الوسائل ج ۶ ص ۵۱۸ و البحار ج ۸۶ ص ۱۱۰ و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۵۰ و الصافى ج ۱ ص ۴۹۴ و كنز الدقائق ج ۲ ص ۶۰۶ و الميزان ج ۵ ص ۶۴.

(۳) البرهان للبحرانى ج ۱ ص ۴۱۱ و من لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامى، قم) ج ۱ ص ۴۶۰ و الكافى ج ۳ ص ۴۵۶ و تهذيب الأحكام ج ۳-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۲

- ص ۱۷۲ و وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ۵ ص ۴۷۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۷ و ج ۸۳ ص ۳ و مستدرك سفينة البحار ج ۴ ص ۱۸۲ و ج ۵ ص ۲۰۷ و ج ۷ ص ۵۷۴ و إختلاف الحديث ص ۵۲۶ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۷۰ عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۵۱ و ۵۲ و صحيح مسلم ج ۲ ص ۲۱۴ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۲۷۸ و سنن النسائى ج ۳ ص ۱۷۱ و السنن الكبرى ج ۳ ص ۲۵۳ و شرح صحيح مسلم للندوى ج ۶ ص ۱۲۸ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و الديباج على صحيح مسلم ج ۲ ص ۴۲۵ و عون المعبود ج ۴ ص ۸۰ و مسند ابن راهويه ج ۱ ص ۳۱ و سنن النسائى ج ۱ ص ۵۹۲ و المنتقى من السنن المسندة ص ۶۹ و شرح معانى الآثار ج ۱ ص ۳۱۳ و سنن الدار قطنى ج ۲ ص ۴۸ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۹۴ و إرواء الغليل ج ۲ ص ۲۹۲ و فقه القرآن ج ۱ ص ۱۴۹ و تفسير الصافى ج ۱ ص ۴۹۴ و أحكام القرآن ج ۱ ص ۵۴۴ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۱ ص ۵۶۰ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۲ و التاريخ الكبير للبخارى ج ۴ ص ۲۷۶ و الجرح و التعديل ج ۳ ص ۱۱۳۸ و تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۲۸۱ و معجم البلدان ج ۳ ص ۵۶ و تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ج ۲ ص ۲۲۶ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۹۳ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۴۲۱ و عيون الأثر ج ۲ ص ۲۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۸۰ و ج

۱۲ ص ۶۰ و ج ۸ ص ۲۴۵ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۰ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۰۳ و صحيح ابن خزيمة ص ۲۴۰ و ۳۰۳ و صحيح ابن حبان ج ۷ ص ۱۲۴ و موارد الظمآن ص ۱۵۵ و كنز العمال ج ۸ ص ۴۱۹ و جامع البيان ج ۵ ص ۳۴۱ و تفسير القرطبى ج ۵ ص ۳۶۸ و تفسير الثعالبى ج ۲ ص ۲۹۱ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۲ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۲ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ج ۲ ق ۲ ص ۲۹ و إعلام الورى ج ۱ ص ۱۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۳

و يؤيد ذلك: ما روى عن جابر بن عبد اللّه، قال: «غزا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ست غزوات قبل صلاة الخوف، و كانت صلاة الخوف فى السنة السابعة» «۱».

و أما كيفية الإتيان بها، فقد رويت على ست عشرة صورة، فراجع «۲».

و ذلك يشير: إلى أنه لا يمكن الاعتماد على رواياتهم، كما أن الصورة التى ذكرت آنفا ليست هى الصورة الصحيحة المروية عن أهل بيت النبوة «عليهم السلام» كما يظهر بالمراجعة.

الغفارية التى أفلتت:

و قد تقدم: أن امرأة أبى ذر قد أفلتت من آسريها على ناقة الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» التى تسمى القصوى، أو على المسماة بالعضباء.

و يذكرون فى كيفية ذلك: أن تلك المرأة انفلتت من الوثاق ليلا، فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا، فتتركه، حتى انتهت إلى العضباء، فلم ترغ، فقعدت على عجزها، ثم زجرتها. و علموا بها، فطلبوها، فأعجزتهم.

و نذرت إن نجاها اللّه عليها: أن تنحرها، و تأكل من سنامها و كبدها، فلم يرض رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك، و قال لها: «إنها ناقة من إبلى، ارجعى إلى أهلك على بركة اللّه تعالى، و رجع رسول اللّه «صلى اللّه عليه

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۴ و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴۸ و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۱۹۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۴ و مسند ابن راهويه ج ۱ ص ۳۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۸۱ و ج ۸ ص ۲۵۲.

(۲) راجع: غزوة ذات الرقاع فى الجزء الثامن من هذا الكتاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۴

و آله» إلى المدينة» «۱».

و نقول:

أولا: إن هذا النص يدل على: أن الغفارية قد التقت بالنبى «صلى اللّه عليه و آله» قبل رجوعه إلى المدينة، و معنى ذلك: أنها التقت به على ماء ذى قرد.

و ذلك يدل على: أنها لم تفلت على الناقة المذكورة، و لا قدمت على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بتلك الناقة، لأن المفروض: أن ابن الأكوع- كما يدّعى- قد طارد المغيرين إلى نفس هذا الموضع، أعنى ماء ذى قرد، و أنه قد استرجع منهم كل بعير خلقه اللّه كان معهم مما أخذوه فى غارتهم ..

و كذلك يقال: بالنسبة للحديث عن بطولات أبى قتادة، و استرجاعه للقاح .. فأين كانت هذه المرأة؟ و كيف نجت على تلك الناقة؟!

ثانيا: إن الرواية تقول: إنه لما كان الليل انفلتت المرأة من الوثاق، و قامت إلى الإبل و بذلت محاولتها .. مع أن سياق الأحداث يأبى عن أن يكون هؤلاء قد استقروا فى مكان، و باتوا فيه ..

بل فى حديث سلمة بن الأكوع: أنه قد طاردهم إلى وقت الغروب، حيث استنقذ كل ما كان فى يدهم.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ ملخصا و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۰۳ عن أحمد و مسلم، و أبى داود. و راجع: سنن ابن داود ج ۳ ص ۸۰۷ برقم ۳۵۳۷ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۵۳۰ و المعجم الكبير ج ۱۱ ص ۱۸ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۱۴۸ و مسند الحميدى برقم ۱۰۵۱ و ۱۰۵۳ و مسند أحمد ج ۲ ص ۲۹۲ و سنن النسائى ج ۶ ص ۲۸۰ و المصنف للصنعانى برقم ۱۹۹۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۵

ثالثا: إذا كانت تلك المرأة كلما دنت من بعير رغا فتتركه إلى غيره، فلماذا لم يلتفتوا إليها، و لم يتفقدوا تلك الإبل ليعرفوا من ذلك الذى يهيجها حتى ترغو. خصوصا مع تكرر رغائها، واحدا بعد الآخر؟

رابعا: إن مفاد الحديث المتقدم: أن الغفارية قدمت على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قبل أن يشرع بالرجوع إلى المدينة ..

و قد يؤيد ذلك: أنها إنما نجت على العضباء.

و المفروض: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد رجع إلى المدينة راكبا على العضباء، مردفا سلمة بن الأكوع «۱».

و لكن ابن هشام و غيره يقولون: إنها قدمت على ناقتها على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى المدينة، فأخبرته الخبر «۲».

و قد يقال: إن الناقة لها لا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و يجاب: بأن المراد: أنه قدمت إلى المدينة على ناقة، و لم يرد ابن هشام أن يشير إلى مالك تلك الناقة.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ و مسند أحمد ج ۴ ص ۵۳ و صحيح ابن حبان ج ۱۶ ص ۱۳۷ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۵۸ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۴ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۲ ص ۹۹ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۳۲۹ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۹۲ و تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ج ۲ ص ۲۵۷ و المعجم الكبير ج ۷ ص ۳۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۷ ص ۳۷۹.

(۲) السيرة النبوية لابن هشام (ط سنة ۱۳۸۳ ه) ج ۳ ص ۷۵۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۷۲ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۲۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۶

و كل ذلك يشير: إلى عدم صحة كثير مما يقال حول هذه السرية و إن كان يبدو لنا: أن هذه القضية لها أساس صحيح، و لكنها قد استعيرت من موضعها الأصلى، ليستفاد منها فى هذا الموضع، لإضفاء مزيد من الغرابة على هذا الحدث ..

و لعل الصحيح هو: ما روى عن النواس بن سمعان: أن ناقة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سرقت، فقال: لئن ردها اللّه على لأشكرن ربى.

و قد وقعت فى حى من أحياء العرب فيهم امرأة مسلمة، فرأت من القوم غفلة، فقعدت عليها، فصبحت المدينة الخ .. «۱».

طلحة الفياض:

و قد تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» مرّ فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له: «بيسان»، و هو مالح، فسماه «نعمان»، و قال: هو طيب، فتغيّر طعم الماء .. فاشتراه طلحة، و تصدق به، فسمى طلحة الفياض.

و نقول:

لقد تعودنا من هؤلاء إطراء أوليائهم و محبيهم، خصوصا إذا كانوا من المناوئين و الأعداء لعلى «عليه السلام» و إعطائهم أسمى

المقامات، و أعلى الدرجات، حتى لو فعلوا الأفاعيل، و جاؤوا بالأفائك و الأضاليل ..

و الكل يعلم: أن طلحة قد حارب عليا «عليه السلام»، و كان على رأس الجيش الباغى فى حرب الجمل .. فكانت له الحظوة و الزلفى لدى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸ عن الأوسط للطبرانى، و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۱۸۷ و المعجم الأوسط ج ۲ ص ۱۴ و الدر المنثور ج ۱ ص ۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۷

هؤلاء، و لم يبخلوا عليه بالأوسمة، و لا قصروا فى اختراع الفضائل و الكرامات له. و هذا المورد هو أحد تلك المخترعات التى ظهرت.

و نحن لا نشك: أنها رواية مكذوبة، و يظهر ذلك من ملاحظة نصوصها، فإنه عدا عما ذكروه من رواية شرائه بئر بيسان، و تصدقه بها، نشير إلى ما يلى:

۱- عن طلحة، أنه قال: سمانى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم أحد طلحة الخير، و يوم العسرة طلحة الفياض، و يوم حنين طلحة الجود «۱».

و فى بعض المصادر: يوم خيبر، بدل حنين، و يحتمل التصحيف ..

و الظاهر: أن المراد بيوم العسرة يوم تبوك، المسمى بجيش العسرة.

۲- ذكر نص آخر: نفس الكلام المتقدم، غير أنه قال: «و يوم غزوة ذات العشيرة، طلحة الفياض».

و فى نص آخر: «العسيرة» «۲».

---

(۱) البداية و النهاية (ط سنة ۱۴۱۳ ه) ج ۷ ص ۲۷۶ و أسد الغابة ج ۳ ص ۵۹ و لسان الميزان ج ۳ ص ۷۸ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۴۷ و كتاب السنة ص ۶۰۰ و مسند أبى يعلى ج ۲ ص ۵ و المعجم الكبير ج ۱ ص ۱۱۲ و ۱۱۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۹۲ و أسد الغابة ج ۳ ص ۵۹ و ميزان الإعتدال ج ۲ ص ۱۹۷ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۰ و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۱۹ و راجع: ذكر أخبار إصبهان ج ۲ ص ۲۷۱ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۷۴.

(۲) الكامل لابن عدى ج ۶ ص ۴۴۳ و تاريخ دمشق ج ۲۵ ص ۹۲ و ميزان الإعتدال (ط سنة ۱۳۸۲ ه) ج ۲ ص ۱۹۷ و القاموس المحيط (ط دار إحياء التراث العربى سنة ۱۴۱۲ ه) ج ۱ ص ۴۷۷ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۰ و مستدرك الحاكم-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۸

۳- روى عن سلمة بن الأكوع، قال: إبتاع طلحة بئرا بناحية الجبل، و نحر جزورا، فأطعم الناس، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أنت طلحة الفياض «۱».

۴- و فى نص آخر: أن طلحة اشترى مالا فى موضع يقال له: بيسان، فقال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: يا طلحة الفياض، أو قال: ما أنت إلا فياض، فسمى طلحة الفياض «۲».

۵- عن موسى بن طلحة: أن طلحة نحر جزورا، و حفر بئرا يوم ذى قرد، فأطعمهم و سقاهم، فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: يا طلحة الفياض، فسمى طلحة الفياض «۳».

- ج ۳ ص ۳۷۴ و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه)، و تاج العروس (ط منشورات مكتبة الحياة، بيروت) ج ۲ ص ۱۹۱ و مجمع الزوائد

ج ۹ ص ۱۴۷ عن الطبرانى، و المعجم الكبير ج ۱ ص ۱۱۷ و ۱۱۲ و السنة لابن أبى عاصم (ط سنة ۱۴۱۳) ص ۶۰۰ و ذكر أخبار إصبهان ج ۲ ص ۲۷۱ و لسان العرب (ط سنة ۱۴۰۵ ه قم) ج ۱ ص ۵۳۴ و كتاب السنة ص ۶۰۰.

(۱) سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۰ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۴۸ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۲۰۰ عن الحسن بن سفيان، و أبى نعيم فى معرفة الصحابة، و ابن عساكر، و المعجم الكبير ج ۷ ص ۷ و الكامل لابن عدى ج ۳ ص ۲۸۴ و ميزان الإعتدال ج ۴ ص ۲۱۸ و كتاب السنة ص ۶۰۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۹۳.

(۲) تاريخ مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۹۳ و الإصابة ج ۳ ص ۴۳۰.

(۳) السنة لابن أبى عاصم ص ۶۰۰ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۴۸ عن الطبرانى، و المعجم الكبير ج ۱ ص ۱۱۲ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۳۷۴ و تلخيص المستدرك للذهبى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۶۹

فأى ذلك نصدق .. و بأيها نأخذ؟!

و الظاهر هو: أن أقرباء طلحة هم الذين منحوا أو هيأوا له لقب الفياض.

فعن سفيان بن عيينة، قال: «و كان أهله يقولون: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سماه الفياض» «۱».

فهو يتعمد أن ينسب ذلك إلى أهل طلحة، دون من عداهم!!

۶- و أخيرا، فإن ابن حبيب يقول: «الطلحات المعدودون فى الجود:

طلحة بن عبيد اللّه بن عثمان التيمى، صاحب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو طلحة الفياض.

و طلحة الخير، (طلحة) بن عمر بن عبيد اللّه بن معمر التيمى، و هو طلحة الجود الخ ..» «۲».

و بعد ما تقدم، نقول:

إننا نستفيد من النصوص المتقدمة:

أولا: أن ثمة خلافا و اختلافا فى موضع التسمية، هل هى غزوة ذات العشيرة؟ أم غزوة القردة؟ أم يوم العسرة؟!

و إن ثمة خلافا فى المناسبة التى دعت إلى إطلاق هذا الوصف عليه، هل هى شراء بئر ثم التصدق بها؟!

---

(۱) المعجم الكبير ج ۱ ص ۱۱۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۴۷ و حلية الأولياء ج ۱ ص ۸۸.

(۲) المحبر ص ۳۵۵ و ۳۵۶ و تهذيب الكمال ج ۱۳ ص ۴۰۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۰

أم هى حفر بئر، و ذبح جزور، فأطعم الناس و سقاهم؟!

أم هى شراء مال؟!

أم هى شراء بئر فقط؟!

و إن ثمة خلافا فى الأوصاف و أصحابها، فهل طلحة الجود، و الفياض، و الخير رجل واحد؟ أم ثلاثة أشخاص؟! كما قاله ابن حبيب و غيره.

ثانيا: إن مجرد أن ينحر إنسان جزورا، و يطعم الناس، و يحفر بئرا، و يسقى الناس، أو يشترى بئرا، أو آبارا و لا يتصدق بها، أو يشتريها و يتصدق بها لا يقتضى إطلاق هذه الأوصاف العالية، و لا يستوجب إعطاء هذه الأوسمة، و لو اقتضى ذلك لأصبحت الأوسمة تعد بمئات الألوف، بل بالملايين. إذ ما أكثر الذين فعلوا أكثر من ذلك بمراتب.

و قد ذكرت نفس النصوص المتقدمة: أن سعد بن عبادة أرسل بأحمال التمر، و بخمس جزائر إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى ذى

قرد، فأين الجزور الواحد لطلحة من خمسة جزائر لسعد، و لم نجده «صلى اللّه عليه و آله» يطلق على سعد مثل هذا الوصف؟!

ثالثا: إن كلام سفيان بن عيينة- حول أن أهل طلحة هم الذين يروون ذلك عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»-: يعطى الانطباع، و يقرب للأذهان مدى صدقية أمثال هذه المزاعم، و يشير بإصبع الاتهام إلى من دبّر هذه التسميات!!

أفاعيل و فظائع طلحة:

و نحن نذكر هنا من أفاعيل طلحة على سبيل التعداد لا الحصر ما يلى:

۱- مر أمير المؤمنين «عليه السلام» على طلحة فى يوم الجمل، فقال:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۱

هذا الناكث بيعتى، و المنشئ الفتنة فى الأمة، و المجلب علىّ، و الداعى إلى قتلى، و قتل عترتى «۱».

۲- إن طلحة كان من قتلة عثمان، ثم حارب عليا باسم الطلب بدم عثمان!!

۳- و قد قال عمر لطلحة حين أراد أن يرتب الشورى بعده: «أقول أم أسكت؟!

قال: قل. فإنك لا تقول من الخير شيئا.

قال: أما إنى أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم أحد بالبأو الذى حدث لك. و لقد مات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ساخطا عليك للكلمة التى قلتها يوم نزل الحجاب».

۴- قال الجاحظ: الكلمة المذكورة: أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب، قال عن النبى «صلى اللّه عليه و آله» بمحضر ممن نقل عنه: ما الذى يغنيه حجابهن اليوم، و سيموت غدا فننكحهن «۲»؟

۵- لما نبحت كلاب الحوأب عائشة، قالت: ردونى .. و كان طلحة فى ساقة الناس، فلحقها، و أقسم لها: أن ذلك الماء ليس بالحوأب، و شهد معه

---

(۱) الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۲۵۶ و الكافئة ص ۲۶ و الإحتجاج ج ۱ ص ۲۳۹ و الجمل للمدنى ص ۱۵۷ و البحار ج ۳۲ ص ۲۰۰ و ۲۰۹ و معجم رجال الحديث ج ۱۰ ص ۱۸۳.

(۲) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱ ص ۱۸۵ و ۱۸۶ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ۵۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۲

خمسون رجلا على ذلك. فكان ذلك أول شهادة زور فى الإسلام «۱».

۶- فى حرب أحد أراد طلحة أن يخرج إلى الشام و يتنصر. و استأذن النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالمسير إلى الشام، و أصر على ذلك «۲».

۷- كما أن القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة، صاحب شرطة الكوفة من قبل عيسى بن موسى العباسى قد قال لإسماعيل ابن الإمام الصادق «عليه السلام»: لم يزل فضلنا و إحساننا سابغا عليكم يا بنى هاشم، و على بنى عبد مناف.

فقال إسماعيل: أى فضل و إحسان أسديتموه إلى بنى عبد مناف؟!

أغضب أبوك جدى بقوله: ليموتن محمد، و لنجولن بين خلاخيل نسائه، كما جال بين خلاخيل نسائنا.

فأنزل تعالى، مراغمة لأبيك: .. وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً «۳».

و الحديث فى هذا الأمر طويل، و نكتفى منه بهذا القدر، فإن الحر تكفيه الإشارة.

(۱) مروج الذهب ج ۲ ص ۳۵۷ و ۳۵۸ و مستدرک الوسائل ج ۱۷ ص ۴۴۹ و الإيضاح هامش ص ۸۲ و ۸۳ و الجمل للمدنى ص ۴۴ و ۱۱۰ و البحار ج ۳۲ ص ۱۴۷ و خلاصة عبقات الأنوار ج ۳ ص ۲۸۰ و نهج السعادة ج ۱ ص ۲۳۸ و أضواء على الصحيحين ص ۱۰۵ و ميزان الحكمة ج ۳ ص ۲۳۱۷ و إختيار معرفة الرجال ج ۱ ص ۱۸۴ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۵۸ و حياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشى ج ۲ ص ۳۳.

(۲) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۲ ص ۱۶۲.

(۳) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۹ ص ۳۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۳

الفصل الثالث: سبع سرايا

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۵

۱- سرية القرطاء:

اشارة

فى محرم على رأس تسعة و خمسين شهرا من الهجرة كانت سرية القرطاء. و هم بطن من بكر بن كلاب، فى موضع يقال له: «الضريّة» و هى على سبع مراحل على الطريق بين البصرة و مكة.

حيث يقال: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعث إليهم محمد بن مسلمة فى ثلاثين راكبا، و أمره أن يغير عليهم بغتة، فسار إليهم، و كان يكمن بالنهار، و يسير بالليل، حتى أغار عليهم، فقتل نفرا منهم، و هرب سائرهم و أصاب منهم خمسين بعيرا (أو مائة و خمسين بعيرا)، و ثلاثة آلاف شاة.

و قدم المدينة لليلة بقيت من المحرم، فخمسها، ثم قسمها بين أصحابه.

و كانت غيبته فى تلك السرية تسع عشرة ليلة «۱».

و فى نص آخر: أنه حين سار محمد بن مسلمة إليهم صادف فى طريقه ركبانا نازلين، فأرسل إليهم رجلا من أصحابه، يسأل: من هم؟ ثم رجع إليه فقال: قوم من محارب.

فنزل قريبا منهم، ثم أمهلهم حتى عطّنوا الإبل (أى برّكوها) حول

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۲ و ۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۷۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۶

الماء، فأغار عليهم، فقتل نفرا منهم، أى عشرة، و هرب سائرهم، و ساق نعما و شاء، و لم يتعرض للنساء «۱».

و نقول:

أولا: إن لنا تحفظا على كثير مما يقال فى هذه السرايا، خصوصا حين تعطى صورة غير واقعية عن سياسات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و

آله»، حيث يتخيل القارئ لرواياتها: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» بمثابة رئيس عصابة، أو جماعة (و العياذ باللّه) ليس له و لهم شغل إلا- أن يترصدوا الناس الآمنين ليغيروا عليهم، فيقتل رجالهم، و يأسر و يسبى ذراريهم، و نساءهم، و يغنم أموالهم. من دون أى مبرر ظاهر، أو مقبول وفق ما توحى به سرية القرطاء و أمثالها ..

و من الواضح: أن طريقة النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»، و كذلك طبيعة تعاليم الدين الحنيف إنما كانت تقضى بالرفق، و السماحة، و الاهتمام بهداية الناس و الحرص على سعادتهم، بل كانت نفس النبى «صلى اللّه عليه و آله» تكاد تذهب حسرات على أناس نصبوا له الحرب، و بغوا له الغوائل، لشدة حرصه على هدايتهم، و نجاتهم مما هم فيه من الجهل و الشرك ..

و لم يكن «صلى اللّه عليه و آله» بالذى يهتم بشن الغارات على الناس الآمنين، رغبة فى قتلهم، و الحصول على أموالهم، و أسر و استعباد من يتمكن من أسرهم و استعبادهم.

لقد كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» أنبل فى نفسه، و اللّه تعالى أرحم

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۷

و أرأف و أجل و أعدل من أن يكون ذلك داخلا- فى أهدافه، و جزءا من سياساته، فحاشا، ثم حاشا أن ينسب أحد أمثال هذه الترهات و الأباطيل إلى اللّه و رسوله.

من أجل ذلك نقول: إن جميع الحروب التى خاضها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و كذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» من بعده قد كانت لرد العدوان القائم، أو من أجل إحباط تدبير لعدوان خطير ..

بعد أن تكون قد استنفذت جميع الوسائل المتاحة لهدايتهم و إرشادهم، و العمل على نصحهم، و كشف غشاوات الجهل و العمى عن بصائرهم، بحيث يصبح استمرارهم فى خط الكفر لا- يعدو كونه نتيجة جحود و عناد، و تمرد و فساد، على قاعدة وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ...

فإن صح ما يقال عن سرية القرطاء، فلا بد أن يكون بعد إقامة الحجة، و ظهور المحجة، ثم إصرارهم و عنادهم، و سعيهم فى إطفاء نور اللّه تعالى، و الإفساد منهم فى الأرض، و صدا منهم عن سبيل اللّه تبارك و تعالى.

ثانيا: إننا نتمنى أن تكون هذه البطولات و الإنجازات، التى ينسبونها إلى محمد بن مسلمة، صحيحة و دقيقة المضامين، فقد تعودنا من هؤلاء الناس ممارستهم الكثير من الخيانة و التزوير للحقائق، لمجرد منح هذا أو ذاك أو سمة، و بطولات، ليس لها نصيب من الواقعية و الصدق، و ذلك فى ضمن كيد إعلامى رخيص، يهدف إلى إطراء من هم معهم، و فى خطهم، و من اختار طريق الخصومة لعلى «عليه السلام» و مناوأته، و تعظيم مناوئيه، و كان محمد بن مسلمة من هؤلاء بلا ريب ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۸

فإنه كان ممن امتنع عن البيعة لعلى «عليه السلام» «۱» رغم أنه كان من الناقمين على عثمان، و الشامتين به، فقد قال فى يوم قتل عثمان: «ما رأيت يوما أقر للعيون، و لا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم» «۲».

و محمد بن مسلمة كان أيضا من الذين هاجموا بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام» بعد وفاة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و دخلوه، بل يدّعون: أنه هو الذى كسر سيف الزبير «۳».

و حين جاءه عمار ليدعوه إلى بيعة على «عليه السلام» قال له: «مرحبا بك يا أبا اليقظان على فرقة ما بينى و بينك ..».

ثم كلّمه فى أمر البيعة فرفضها، فلما أبلغ عليا «عليه السلام» بما جرى قال «عليه السلام»: «.. و ذنبى إلى محمد بن مسلمة أنى قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهودى» «۴».

و كان صاحب العمال أيام عمر إذا اشتكى إليه عامل أرسله ليتكشف

---

(۱) أسد الغابة ج ۴ ص ۳۳۰ و ۳۳۱ و الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۵۳ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۴ ص ۹.

(۲) قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸ و ۳۸۹ و البحار ج ۳۰۱ ص ۲۹۱.

(۳) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۲ ص ۵۱ و ج ۶ ص ۴۸ و قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸ و كتاب سليم بن قيس ص ۴۱۱ و السقيفة و فدك للجوهرى ص ۴۸ و ۷۳ و البحار ج ۲۸ ص ۳۱۵ و الغدير ج ۵ ص ۳۵۶ و السنن الكبرى ج ۸ ص ۱۵۲ و كنز العمال ج ۵ ص ۵۹۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۳۰ ص ۲۸۷ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۷۰ و ج ۶ ص ۳۳۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۴۹۶.

(۴) الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۵۴ و قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۷۹

الحال. و هو الذى أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقته به «۱».

و بعثه إلى الشام أيضا مع خالد بن الوليد لقتل سعد بن عبادة، و أشاعوا: أن الجن قتلته «۲».

رغم ذلك كله، فإنه زعم: أن خلافة على «عليه السلام» فتنة، و أنه اعتزلها من أجل ذلك «۳».

و لكن ليت شعرى ألم يكن كل ما سبقها فتنة؟ و هل بعد بيعة الغدير، و سواها من الدلائل ما يصلح عذرا لهذا الرجل أو لغيره؟!.

قصة ثمامة:

و قد ذكروا: أن ابن مسلمة حين رجع من تلك الغزوة، جاء بثمامة بن أثال الحنفى- سيد أهل اليمامة- أسيرا- و لكن آسريه لم يعرفوا أسيرهم- فأمرهم النبى «صلى اللّه عليه و آله»: بأن يحسنوا إساره، بعد أن عرّفهم

---

(۱) أسد الغابة ج ۴ ص ۳۳۰، و راجع: قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸ و الإصابة ج ۳ ص ۳۸۴ و الزهد و الرقائق ص ۱۷۹ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۲۶۷.

(۲) البحار ج ۳۰ ص ۴۹۴ و الإستغاثة ج ۱ ص ۸ و مجالس المؤمنين ج ۱ ص ۳۳۵ و قاموس الرجال ج ۸ ص ۳۸۸ و معجم رجال الحديث ج ۹ ص ۷۶ و إكمال الكمال ج ۳ ص ۱۴۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۰ ص ۲۴۳ و تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۴۱۲.

(۳) راجع ترجمته فى: الإصابة، و الإستيعاب، و أسد الغابة و غير ذلك و راجع: فيض القدير ج ۱ ص ۳۸۸ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۳۶۹ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۳۷۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۶۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۰

«صلى اللّه عليه و آله» به.

و لما رجع «صلى اللّه عليه و آله» إلى أهله قال: اجمعوا ما عندكم من طعام، فابعثوا به إليه، و أمر بلقحته، أن يغدى عليه بها و يراح، فجعل لا يقع من ثمامة موقعا. و يأتيه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يقول له: أسلم يا ثمامة، (أو ما تقول يا ثمامة)، أو ما عندك يا ثمامة؟

فقال: عندى خير يا محمد، إن تقتلنى تقتل ذا دم، و إن تنعم تنعم على شاكر، و إن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت.

فتركه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم سأله فى اليوم الثانى، ثم فى اليوم الثالث، ثم أمر بإطلاقه. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم عاد إليه، فأسلم، و بايعه.

فلما أمسى جاؤوه بما كانوا يأتونه به من الطعام، فلم ينل منه إلا قليلا، و باللقحة، فلم يصب من حلابها إلا يسيرا، فتعجب المسلمون من ذلك!!

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: ممّ تعجبون؟! من رجل أكل أول النهار فى معى كافر و أكل آخر النهار فى معى مسلم، إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء و إن المسلم يأكل فى معى واحد «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴ و ۱۷۵ و قاموس الرجال (ط مؤسسة النشر الإسلامى) ج ۲ ص ۴۹۴ و ۴۹۵ و الطرائف لابن طاووس ص ۵۰۵ عن الحميدى، و عن مسلم فى صحيحه، و مصباح الشريعة ص ۲۷ و ۲۸ و البحار ج ۳۶ ص ۳۳۷ و ج ۶۳ ص ۳۲۵ و ۳۳۷ و ج ۸۱ ص ۲۰۴ عن الخصال ص ۳۵۱ و عن المحاسن ص ۴۴۷ و فيه: ستكون بعدى سنة، يأكل (فى بعض الروايات: يشرب) المؤمن فى معا واحد، و يأكل الكافر فى سبعة أمعاء.-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۱

- و راجع: مستدرك سفينة البحار ج ۹ ص ۴۰۸ و الصراط المستقيم ج ۳ ص ۴۷ و غوالى اللآلى ج ۱ ص ۱۴۴ و مجمع البيان ج ۹ ص ۱۶۶ و تفسير غريب القرآن ص ۷۰ و الكافى ج ۶ ص ۲۶۸ و المجازات النبوية ص ۳۷۶ و الوسائل (الإسلامية) ج ۱۶ ص ۴۰۶ و مستدرك الوسائل ج ۱۶ ص ۲۱۱ و مصباح الشريعة ص ۷۸ و الطرائف ص ۵۰۵ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ۶۳۲ و البحار ج ۶۰ ص ۳۲۵ و ج ۷۸ ص ۲۰۴ و ميزان الحكمة ج ۱ ص ۸۹ و ۲۰۸ و مسند أحمد ج ۲ ص ۲۱ و ۴۳ و ۳۱۸ و ۳۷۵ و ۴۱۵ و ۱۴۵ و ۲۷۵ و ج ۳ ص ۳۳۳ و ۳۵۷ و ج ۴ ص ۳۳۶ و ج ۶ ص ۳۹۷ و سنن الدارمى ج ۲ ص ۹۹ و صحيح البخارى ج ۶ ص ۲۰۰ و ۲۰۱ و صحيح مسلم ج ۶ ص ۱۳۲ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۱۰۸۴ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۳ ص ۱۷۳ و ج ۵ ص ۴۱۵ و شرح مسلم للنووى ج ۱۴ ص ۲۳ و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۱ و فتح البارى ج ۸ ص ۶۹ و ج ۹ ص ۴۴۲ و الديباج على صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۰۸ و تحفة الأحوذى ج ۵ ص ۴۴۰ و صحيفة همام بن منبّة ص ۴۰ و مسند الطيالسى ص ۲۵۱ و المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۴۱۹ و مسند الحميدى ج ۲ ص ۲۹۵ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۵ ص ۵۶۹ و مسند ابن راهويه ج ۱ ص ۲۴۷ و إكرام الضيف للحربى ص ۴۰ و الآحاد و المثانى ج ۲ ص ۲۴۴ و ج ۵ ص ۵۷ و سنن النسائى ج ۴ ص ۱۷۸ و المغاريد عن رسول اللّه ص ۹۵ و مسند أبى يعلى ج ۲ ص ۲۱۸ و ج ۳ ص ۱۵۹ و ج ۴ ص ۱۱۳ و صحيح ابن حبان ج ۱ ص ۳۷۸ و ج ۱۲ ص ۳۹ و المعجم الأوسط ج ۱ ص ۲۷۶ و ج ۲ ص ۱۶۸ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۲۷۴ و ج ۷ ص ۲۳۰ و ج ۲۳ ص ۴۳۳ و مسند الشاميين ج ۲ ص ۳۹۸ و ج ۴ ص ۲۹۵ و مسند الشهاب ج ۱ ص ۱۱۴ و الفائق ج ۳ ص ۲۴۸ و الجامع الصغير ج ۲ ص ۶۶۰ و العهود المحمدية ص ۷۷۶ و كنز العمال ج ۱ ص ۱۴۱ و شرح مسند أبى حنيفة ص ۱۹۷ و فيض القدير ج ۶ ص ۳۲۶ و كشف الخفاء-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۲

ربط الأسير فى المسجد:

تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» عرفهم بأسيرهم، و أنه سيد أهل اليمامة، و قال لهم: أحسنوا إساره.

و لكن الروايات ذكرت أيضا: أنه «ربط بسارية من سوارى المسجد» «۱».

- ج ۲ ص ۲۹۵ و ضعيف سنن الترمذى ص ۵۷۱ و مجمع البيان ج ۹ ص ۱۶۶ و غريب القرآن ص ۷۰ و نور الثقلين ج ۲ ص ۲۰ و

تفسير القرطبى ج ۷ ص ۱۹۲ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۴ ص ۱۸۹ و التاريخ الكبير للبخارى ج ۸ ص ۱۱۹ و علل الترمذى ص ۴۱۵ و الثقات ج ۳ ص ۶۱ و الكامل ج ۱ ص ۳۷۹ و ج ۲ ص ۶۳ و تاريخ بغداد ج ۲ ص ۱۸۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۶ ص ۱۸ و أسد الغابة ج ۱ ص ۳۰۹ و ميزان الإعتدال ج ۴ ص ۲۱۴ و سير أعلام النبلاء ج ۱۶ ص ۲۳۸ و تاريخ المدينة ج ۲ ص ۴۳۷ و ذكر أخبار إصبهان ج ۱ ص ۱۱۲ و ج ۲ ص ۱۵۳ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۴۱ و ج ۶ ص ۱۳۱ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۵۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۴۳۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۴۵۴ و ج ۶ ص ۷۲ و ۷۵ و ج ۹ ص ۴۶۶ و ج ۱۲ ص ۱۰۳.

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴ و قاموس الرجال (ط مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين) ج ۲ ص ۴۹۴ و مستدرك الوسائل ج ۲ ص ۵۱۴ و غوالى اللآلى ج ۱ ص ۲۲۷ و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۳۴۹ و مسند أحمد ج ۲ ص ۴۵۲ و عن صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۱۹ و ۱۲۰ و ج ۳ ص ۹۱ و ج ۵ ص ۱۱۷ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۵۸ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۶۰۵ و سنن النسائى ج ۲ ص ۴۶ و ج ۱ ص ۲۶۲ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۱ ص ۱۷۱ و ج ۲ ص ۲۴۴ و ج ۶ ص ۳۱۹ و ج ۹ ص ۶۵ و ۸۸ و شرح مسلم للنووى ج ۱۲ ص ۸۷ و صحيح ابن خزيمة ج ۱ ص ۱۲۵ و صحيح ابن حبان ج ۴ ص ۴۲ و نصب الراية ج ۴ ص ۲۴۳ و ۲۴۴ و إرواء الغليل-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۳

فهل ربط الأسير بسارية من سوارى المسجد بحيث يراه الخاص و العام يعدّ إحسانا لإساره؟! خصوصا إذا كان من سادات العرب، و من أهل الشرف و الرياسة!! ألا يعدّ ذلك بالنسبة لهذا النوع من الناس غاية الإذلال، و أبلغ المهانة؟!

متى أسر ثمامة؟!

و التأمل فى قصة ثمامة يثير أمامنا أكثر من سؤال، يحتاج إلى إجابة مقنعة و دقيقة.

فهناك سؤال عن تاريخ أسره، فإن ابن هشام و غيره يذكرون: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كتب إلى ثمامة بن أثال، و هوذة بن على، ملكى اليمامة- حين كتب إلى الملوك- «۱».

و المعلوم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد كتب إلى الملوك بعد الحديبية كما سيأتى فى موضعه، أى فى سنة ست أو سبع «۲».

- ج ۵ ص ۴۲ و الثقات ج ۱ ص ۲۸۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۱ ص ۲۷۹ و تاريخ المدينة ج ۲ ص ۴۳۴ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۵۹ و عيون الأثر ج ۲ ص ۶۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۹۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۷۱.

(۱) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۲۵۴ و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۴۴.

(۲) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۲۵۴ و ۲۵۵ و أسد الغابة ج ۳ ص ۳۴۴ و راجع: مكاتيب الرسول (ط دار صعب) ج ۱ ص ۱۱۳ عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۸۸ و عن الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۸۰ و عن الطبقات لابن سعد ج ۱ ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۴۸ و التنبيه و الإشراف ص ۲۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۴

بل لقد ورد: أن ثمامة عزم على قتل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأسر على قول، أو خرج معتمرا و دخل المدينة فتحير فيها حتى أخذ و جىء به إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

و يؤيد ذلك: ما رواه الكلينى من أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد قال: اللهم مكنى من ثمامة، فأسرته خيل النبى «صلى اللّه

عليه و آله» «۲».

و الظاهر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد قال ذلك بعد أن أساء ثمامة إلى رسوله «صلى اللّه عليه و آله». و إلا فلما ذا يخص ثمامة بهذا الدعاء؟!

و يدل على تأخر إسلام ثمامة و تأخر قضية أسره: أن أبا هريرة يروى القضية، و يقول فى آخرها: «فجعلنا المساكين تقول بيننا: ما نصنع بدم ثمامة؟! لأكلة من جزور سمينة من فدائه أحب إلينا من دم ثمامة» «۳».

أين أسر ثمامة؟!

و من ذلك: السؤال عن مكان أسر ثمامة .. فإن الروايات التى ذكرناها آنفا لم تبين ذلك، بل ربما يكون فيها إلماح إلى أنه قد أسر فى المناطق التى وصلت إليها السرية المذكورة ..

مع أن ثمة ما يدل: على أنه قد أسر فى داخل المدينة نفسها، حيث يقول

---

(۱) مكاتيب الرسول للأحمدى (ط دار صعب) ج ۱ ص ۱۴۰ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۴۶ و ۲۴۷.

(۲) راجع: الكافى ج ۸ ص ۴۹۹.

(۳) أسد الغابة ج ۱ ص ۲۴۷ و تاريخ المدينة لابن شيبة ج ۲ ص ۴۳۹ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۶۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴ و الكافى ج ۸ ص ۲۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۵

النص: إنه قد «دخل المدينة و هو يريد مكة للعمرة، فتحير فى المدينة، فقبض، و أتى به إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، ثم أسلم، و منع حمل الحب من اليمامة إلى مكة إلا بإذن النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..» «۱».

و فى نص آخر: أنه «كان قد جاء إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رسولا من عند مسيلمة، و أراد اغتياله «صلى اللّه عليه و آله». فدعا ربه أن يمكنه منه، فأخذ وجىء به إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فربط بسارية من سوارى المسجد الخ ..» «۲».

و لنا تحفظ على هذا النص الأخير.

فإن سيد أهل اليمامة لا- يرضى عادة بأن يكون هو الرسول لاغتيال أحد، بل هو يقود الجيوش، و يتزعم الكراديس فى الحروب، و يرسل من قبله أفرادا مغمورين، لا يعرفهم الناس إذا رأوهم، بل يظنونهم أعرابا، أو تجارا، أو ما إلى ذلك.

ثمامة المجهول لآسريه:

و قد صرح النص الذى نقلناه فيما سبق: بأن الذين أسروا ثمامة لم يعرفوه، حتى كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى دلهم عليه، و أمرهم بالإحسان إليه ..

و نقول:

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۴۶ و ۲۴۷ و راجع المصادر المتقدمة فى الهامش السابق.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۶

إن هـذا لو صـح، فلا بـد أن يكون مؤيـدا للنص الـذى يقول: إنه قـد قبض على ثمامـة فى المدينة، حيث لم يسـتغرق أسـرهم له سوى دقائق، هى مسافة الطريق من موضع القبض عليه حتى وصوله إلى المسجد، حيث عرض أمره على النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

و لو كان قـد أسـر قبل ذلك، فلا يعقل أن يبقى فى يـد آسـريه ساعات أو أياما، دون أن يسألوه عن نفسه، و عن أهله و بلـده، و يبقى مجهولا لهم إلى أن يعرفه النبى «صلى اللّه عليه و آله» و يخبرهم بأمره.

إلا أن يقال: إنهم سألوه، فلم يجبهم، أو أجابهم و لم يصدقوه .. و كلاهما احتمال لا شاهد له.

أكلة لحم جزور أحب إليه:

و قـد زعموا أيضـا: أن النـبى «صـلى اللّه عليه و آله» انصـرف من عنـد ثمامـة و هو يقول: اللهم أكلـة لحم من جزور أحب إلى من دم ثمامة، ثم أمر به فأطلق «۱».

و نحن نجل رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» عن هـذه التفاهات، فإنه «صـلى اللّه عليه و آله» لم يكن يهتم بأكلـة من لحم جزور، و لا يجعل هذا الأمر طرفا فى المقايسة مع دم أحد ..

و الصـحيح هو: أن هذا من أقوال أبى هريرة، و من معه من أصـحاب الصفة، الذين صاروا يقولون: نبينا «صلى اللّه عليه و آله» ما يصنع بدم

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴ عن الإستيعاب (بهامش الإصابة) و تاريخ المدينة لابن أبى شبة النميرى ج ۲ ص ۴۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۷

ثمامة؟! و اللّه لأكلة جزور سمينة من فدائه أحب إلينا من دم ثمامة «۱».

الإحسان إلى ثمامة .. ثم إسلامه:

و قـد ذكرت الروايات المتقدمـة: أنه «صـلى اللّه عليه و آله» قـد أحسن إلى ثمامة، و خصه بلقاحه فكان يغدى بها عليه و يراح. و صار «صلى اللّه عليه و آله» يطلب منه أن يسلم ..

و نقول:

إن من الواضح: أن الإسلام حين خص المؤلفة قلوبهم بنصيب من المال، فلا بد أن يكون قد لا حظ:

أولا- إنه بـذلك يكون قـد أعطـاهم الفرصـة ليعيشوا أجواء الإسـلام، عن كثب، ليتلمسوا حقائقه و قيمه، و مفاهيمه، و ليعيشوا الأمن و السلام الداخلى، و الاجتماعى، و السياسى، بكل ما لهذه الكلمات من معنى.

ثانيـا: إنه يكون بـذلك قـد طمـأنهم إلى أن الإسـلام لا- يريـد أن يحرمهم من لذائـذ الحيـاة الـدنيا، و لا- يريـد أن يسـلبهم الامتيـازات المشـروعة فيها، بل هو يريد أن يحفظ لهم ذلك، و أن يوجههم باتجاه إنتاج المزيد من الخير و السعادة لهم، و إبعاد أى نوع من أنواع الخلل فى حياتهم و فى سعادتهم ..

ثالثا: إنه يريد منهم أن يكفوا عن ممارسة أساليب الضغط على الناس و عن العمل على مصادرة حريات الآخرين، و التأثير على قرارهم فيما يرتبط بالفكر و الاعتقاد، و أن يبقى الباب مفتوحا و المجال مفسوحا أمام أبنائهم، و سائر

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۴ و الكافى ج ۸ ص ۲۹۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۶۶ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۴۷ و تاريخ المدينة لابن شبة ج ۲ ص ۴۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۸

أرحامهم و أصدقائهم، و كل من يرتبط بهم، ليعيشوا أجواء الإسلام، من دون أى حرج أو تردد، و أن يتفهموا حقائقه، و مفاهيمه، و معانيه، من منابعه الأصلية، بكل سلامة و صفاء، بعيدا عن أى تشويه، و من دون تأثر بالشائعات المغرضة، أو الكاذبة.

رابعا: إن ذلك ليس شراء لذممهم، و لا هو شراء لضمائرهم، و لدينهم بالمال. بل ذلك من أجل رفع الحواجز النفسية، و طمأنتهم إلى أن الهدف هو مجرد الحصول على حرية التفكير و القرار، إذ لو كان الأمر على خلاف ذلك لكان اللازم هو فرض قرار الإسلام و الإيمان عليهم مقابل المال. و هذا ما لم يكن، بل الذى كان هو مجرد رفع حالة العداء، و حصول درجة من الثقة و الإلفة، و رفع الوحشة و إزالة الخشية من نفوسهم، و لذلك سماهم الإسلام بالمؤلفة قلوبهم، و سمى سهمهم أيضا بسهم المؤلفة قلوبهم ..

خامسا: و أخيرا، فإن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت و تفرغت للعبادة، و أيس منها الوسواس، حسبما قاله الصحابى الجليل سلمان الفارسى (المحمدى) رضوان اللّه تعالى عليه «۱».

و على هذا الأساس نقول:

إنه إذا وجد المؤلفة قلوبهم مقاصدهم المالية، فإن الباب يصبح أمامهم مفتوحا للتفكير بأمور الاعتقاد و السياسة، و الأخلاق و القيم، و ما إلى ذلك.

(۱) المعجم الكبير ج ۶ ص ۲۱۹ و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۵ و العلل لأحمد بن حنبل ص ۴۰۲ و حلية الأولياء ج ۱ ص ۲۰۷ و الإمامة و أهل البيت (لمحمد بيومى مهران) ج ۱ ص ۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۸۹

أمعاء الكافر .. و المؤمن:

و أما الحديث عن كثرة أكل ثمامة، و قلته، قبل الكفر و بعده، و ادّعاء أن سبب قلة أكله بعد أن أسلم هو أن المؤمن يأكل بمعى واحد .. فهو حديث غريب و عجيب.

فأولا: لماذا عجب المسلمون من ثمامة حينما قلّ أكله بعد إسلامه؟ ألم يجر هذا الأمر على كل واحد منهم قبله، حين خرجوا من الكفر إلى الإيمان؟! أم أن ذلك قد حدث لأول مرة مع خصوص ثمامة دون سواه؟!

و ها نحن لا زلنا نشاهد مشركين و كفارا يسلمون، فهل يقلّ أكلهم بعد إسلامهم، بحيث يلفت ذلك النظر، و يثير العجب؟!

ثانيا: قيل: إن هذا الحديث قد ورد فى رجل بعينه، و هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى، الذى كان يأكل فى حال كفره فيكثر، فلما أسلم قل طعمه ..

و قال أبو عبيد فى تاريخه: هو أبو بصرة الغفارى و اسمه حميل «۱».

و قيل: المراد به أبو غزوان «۲».

غير أننا نقول: إن سياق الحديث يأبى هذا الاختصاص، لأن كثرة الأكل و قلته، قد علقتا على الكفر و الإيمان ..

(۱) البحار ج ۶۳ ص ۲۲۶ و تقريب التهذيب ج ۲ ص ۳۶۲ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۹۵ و إكمال الكمال ج ۲ ص ۱۲۶ و ضعيف سنن الترمذى ص ۵۱ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۲۷۶ و عون المعبود ج ۴ ص ۶۴.

(۲) البحار ج ۶۳ ص ۲۲۷ عن فتح البارى، و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۲ و عن فتح البارى ج ۹ ص ۴۴۳ و تحفة الأحوذى ج ۵ ص ۴۴۰ و أسد الغابة ج ۵ ص ۲۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۰

إلا أن يقال: إن اللام فى كلمتى المؤمن و الكافر عهدية لا جنسية «۱».

و لكنه توجيه لا يصح، لأن ظاهر الكلام: أنه «صلى اللّه عليه و آله» بصدد ضرب القاعدة، و إعطاء الضابطة.

توجيهات معقولة:

و خير ما يوجه به هذا الكلام هو: ما ذكره علماؤنا الأبرار رضوان اللّه تعالى عليهم، من أنه جار على طريقة المجاز لحث الناس على القناعة، و على أن لا تكون همتهم فى طعامهم «كالبهيمة المربوطة همها علفها، و شغلها تقممها»، فإن الذى يبحث عن اللذة، و ينساق وراء إشباع دواعى الشهوة هو الكافر .. أما المؤمن فهمه مجرد التبلغ لحفظ خيط الحياة.

أو يقال: إن الكافر لا يبالى من أين أكل، و لا كيف أكل، بل هو لا يشبع من جمع الأموال، و يريد أن يأكل الدنيا بأسرها، بأى سبب كان، فكأن له سبعة أمعاء، على سبيل المبالغة.

أما المؤمن، فلا يأكل إلا الحلال بالسبب الحلال، فيقتصر ما يتناوله أو يصل إليه على أقل القليل ..

ثمامة أول من اعتمر:

و قالوا أيضا: إن ثمامة قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: إن خيلك أخذتنى و أنا أريد العمرة، فماذا ترى؟! فبشره النبى «صلى اللّه عليه و آله» و أمره أن يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟

---

(۱) راجع: البحار ج ۶۳ ص ۳۲۵- ۳۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۱

فقال: لا، و لكنى أسلمت مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». و لا و اللّه لما تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن النبى «صلى اللّه عليه و آله».

ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا. حتى أضر بهم الجوع و أكلت قريش العلهز «۱».

فكتبوا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»: إنك تأمر بصلة الرحم، و إنك قد قطعت أرحامنا.

فكتب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أن خل بين قومى و بين ميرتهم. ففعل، فأنزل اللّه تعالى: وَ لَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَ ما يَتَضَرَّعُونَ «۲».

و يقال: إنه لما كان ببطن مكة فى عمرته لبى، فكان أول من دخل مكة يلبى، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اجترأت علينا. و هموا بقتله، ثم خلوه لمكان حاجتهم إليه و إلى بلده «۳».

هل قطع النبى صلّى اللّه عليه و آله أرحامه؟!

و حول ما ذكرته رواية قطع النبى «صلى اللّه عليه و آله» أرحام قومه، نقول:

---

(۱) العلهز: هو الدم يخلط بأوبار الإبل، فيشوى على النار.

(۲) الآية ۷۶ من سورة المؤمنون.

(۳) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۳ عن البخارى، و الإكتفاء، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۴۵ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۶۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۵۴ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۲

أولا: هل يحق لأهل مكة، الذين حصروه هو و الهاشميين فى شعب أبى طالب سنوات، و منعوا عنهم كل شىء حتى كادوا يهلكون جوعا، ثم أخرجوا النبى «صلى اللّه عليه و آله» و من معه من ديارهم، و حاربوه، و قتلوا عمه حمزة، و ابن عمه عبيدة بن الحارث و كذلك غير هما من الأخيار، و تآمروا على حياته، و لا يزالون يعملون جاهدين لإطفاء نور اللّه .. و يشنون عليه الغارات .. و .. و ..

هل يحق لهم: أن يتهموه بأنه قطع أرحامهم؟! ..

و لماذا لم يتهموه بذلك و هو لم يزل يعترض قوافلهم التى تحمل أموالهم و تجاراتهم، و قد عور عليهم متجرهم؟! ..

و إذا كانوا قد قالوا ذلك له فعلا، فلما ذا لم يستجب لهم، و يتوقف عن اعتراض قوافلهم و تجاراتهم؟!

و إذا كان قد استجاب لهم، فما هو الداعى لحرب بدر؟

ألم يكن بإمكانهم أن يطالبوه بصلة أرحامهم، ليكف عن اعتراض تجاراتهم؟!

ثانيا: إذا كان ثمامة هو الذى منع عن قريش أى شىء من نتاج اليمامة، فما هو ذنب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ليتهموه بأنه قد قطع رحمهم؟! و لماذا لا يطالبون ثمامة نفسه بهذا الأمر؟ ..

ثالثا: و الأهم من ذلك: هل كانت اليمامة هى المصدر الوحيد للحنطة، و لغيرها مما تحتاجه مكة؟! ألم يكن فى سائر بلاد اللّه الواسعة ما يلبى حاجات مكة و سواها من ذلك؟!

رابعا: و علينا أن لا نغفل أخيرا عن هذا التعبير الذى ينسب إلى رسول

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۳

اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو قوله: «خلّ بين قومى و بين ميرتهم»، فهل كان «صلى اللّه عليه و آله» على استعداد لإمداد قريش بالميرة فى غير حالات المجاعة القصوى، حيث يتطلب الأمر إنقاذ الأطفال و النساء، و غيرهم من المستضعفين الذين لا حول لهم و لا قوة؟!

و ما معنى التعبير بكلمة «قومى» بياء المتكلم؟

فهل نسبتهم إلى نفسه «صلى اللّه عليه و آله» تهدف إلى تشريفهم بذلك و تكريمهم؟!

أم أنه «صلى اللّه عليه و آله» واقع تحت المشاعر العنصرية بصورة عفوية؟!

أم أنه قال ذلك فى حالة غضب، لم يتمكن من السيطرة عليه .. و كلا هذين الخيارين لا يمكن صدور هما منه «صلى اللّه عليه و آله».

ثم لماذا ينسب الميرة إلى قومه، فيقول: «ميرتهم»؟!

و هل لهم حق مفروض بهذه الميرة، لا يجوز لأحد منعه عنهم، و منعهم عنه؟!

۲- سرية عكاشة إلى غمر مرزوق:

و فى ربيع الأول من سنة ست كانت سرية عكاشة بن محصن إلى غمر مرزوق- ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد، فى أربعين رجلا «۱».

و قيل: بل كان أميرهم ثابت بن أرقم، فأخبر به القوم فهربوا، فنزلوا

---

(۱) البحار ج ۲۰ ص ۲۹۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۴ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۱ ص ۱۱۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۲ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۴

عليا بلادهم، و انتهى المسلمون إلى ديارهم فلم يجدوا أحدا.

فبعثوا شجاع بن وهب فى جملة جماعة إلى بعض النواحى طليعة يطلبون خبرا، و يجدون أثرا، فرجع شجاع بن وهب، فأخبرهم أنه وجد أثر نعم قريبا، فذهبوا إلى هناك، فأخذوا رجلا من بنى أسد كان نائما، فدلهم على نعمهم بالمرعى.

و فى نص آخر: أطلعهم على نعم لبنى عم له لم يعلموا بمسيرهم، فساقوا مائة بعير، أو مائتين، و قدموا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

۳- سرية أبى مسلمة إلى ذى القصّة:

و فى ربيع الأول بعث محمد بن مسلمة فى عشرة معه إلى بنى ثعلبة فى ذى القصّة- بفتح القاف- موضع بينه و بين المدينة أربعة و عشرون ميلا- و قيل غير ذلك- فورد عليه ليلا، فكمن له القوم، و هم مائة رجل، و أمهلوهم حتى ناموا، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم، و جرح محمد بن مسلمة، و ظنوه قد مات، و جردوهم من ثيابهم «۲».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۷۷ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۵ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۶۰ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۵.

(۲) المسترشد ص ۲۲۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۵ و الثقات ج ۱ ص ۲۸۳ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۹ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۶ و البحار ج ۲۰ ص ۲۹۱ و ج ۳۰ ص ۱۳۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۸۵ و ج ۳۰ ص ۳۱۶-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۵

و مر رجل من المسلمين، فحمل ابن مسلمة حتى ورد به المدينة.

۴- سرية أبى عبيدة إلى ذى القصّة:

ثم بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أنهم يريدون أن يغيروا على سرح المدينة، الذى كان يرعى بعيدا عنها بسبعة أميال ببطن هيفاء، فسار إليهم فى ربيع الآخر من سنة ست أبو عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا إلى مصارعهم، فأغاروا عليهم فى عماية الصبح، فأعجزوهم هربا فى الجبال، و أسروا رجلا واحدا، فأسلم و تركه، و أخذوا نعما من نعمهم فاستاقوها، و رثّة من متاعهم، و قدموا المدينة، فخمسه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و قسم ما بقى عليهم «۱».

۵- سرية زيد إلى بنى سليم:

اشارة

و فى ربيع الآخر من سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم أو الجموح: (و هى ناحية من بطن نخل على أربعة أميال من المدينة)، فأصابوا امرأة من مزينة يقال لها: حليمة، فدلتهم على محلة من محال بنى سليم، فأصابوا نعما، و شاء، و أسرى. فكان فيهم زوج حليمة المزنية.

- و ج ۶۵ ص ۱۲۵ و سير أعلام النبلاء ج ۴ ص ۵۱۸ و معجم البلدان ج ۴ ص ۳۶۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۵۷ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۸۶ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۸۶.

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۷۹ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۷ و الثقات ج ۱ ص ۲۸۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۶

فلما قفل زيد بما أصاب وهب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» للمزنية زوجها و نفسها «۱».

طبيعة سرايا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و يستوقفنا فى السرايا الثلاث عدة أمور هى:

أولا: ما أشرنا إليه فيما سبق من أن سياق هذه السرايا من شأنه أن يعطى انطباعا غير صحيح بأن هذا النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» ليس له همّ إلا الإغارة على الناس الآمنين، و سلب أموالهم، و قتل رجالهم و ..

و هؤلاء هم أصحابه يفعلون الأفاعيل بالناس، حتى إنهم ليضربون الرجل الأسدى ليدلهم على النعم فى مراعيها، و هى لأناس لم يعلموا بمسيرهم «۲».

و لكن الحقيقة مغايرة لهذا تماما، فإن هم النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو هداية الناس و إسعادهم، و ليس قتلهم، و سلب أموالهم. و قد كان «صلى اللّه عليه و آله» شديد التثبت فى أمر الذين يدبرون و يسعون للعدوان على المسلمين، كما يظهر من كثير من الموارد، مثل سرية ابن رواحة إلى أسير بن رزام الآتية و غيرها.

ثانيا: إنه إذا صحت الروايات عن حدوث هذه السرايا فعلا، فلا بد أن تكون قد هدفت إلى رد عدوان أناس كانوا معلنين للحرب على أهل

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۶ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۸۶ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۸ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۷۱ و البحار ج ۲۰ ص ۲۹۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۷

الإيمان، أو إبطال كيدهم، و تفريق جموعهم، و إضعاف قدرتهم على تنفيذ ما يخططون له .. و ليس للمحارب أن يغفل أو أن يتغافل فإنما الحرب خدعة تبتدر، و فرصة تنتهز.

و قد صرحت الروايات: بأن الذين أغار عليهم أبو عبيدة كانوا بصدد الإغارة على سرح المدينة لاستياقه ..

ثالثا: إن الظاهر هو: أن سرية محمد بن مسلمة- لو صحت- فإنما كانت لأجل الاستطلاع، و تقصى الأخبار عما يخطط له بنو ثعلبة، فوقعوا فى كمين أعدائهم، و جرى عليهم ما جرى.

رابعا: ذكر ابن عائذ: أن أمير السرية هو ثابت بن أقرم، و ليس عكاشة بن محصن .. «۱».

الشهداء فى سرية ابن مسلمة:

و قد ذكروا: أن جميع من انتظم فى سرية ابن مسلمة قد قتل، و نجا ابن مسلمة وحده جريحا ..

و قد ذكر الواقدى: أن هؤلاء العشرة هم:

۱- أبو نائلة.

۲- و الحارث بن أوس.

۳- و أبو عبس بن جبر.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۷۷ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۱۰ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۷۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۱ ص ۱۱۰ و ج ۶ ص ۷۷ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۲۰ و عن الإصابة ج ۱ ص ۵۰۱ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۸

۴- و نعمان بن عصر.

۵- و محيصة بن مسعود.

۶- و حويصة بن مسعود.

۷- و أبو بردة بن نيار.

۸ و ۹- و رجلان من مزينة.

۱۰- و رجل من غطفان.

و نقول:

قد نص العلماء: على أن أكثر هؤلاء قد عاش سنوات طويلة بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلاحظ ما يلى:

۱- النعمان بن عصر: قتله طليحة بن خويلد بعد استشهاد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيما يعرف بحروب الردة، أو اليمامة «۱».

۲- أبو بردة بن نيار: مات فى خلافة معاوية، بعد أن شهد مع على «عليه السلام» حروبه كلها و قيل: إنه مات سنة إحدى، و قيل: اثنتين، و قيل: خمس و أربعين «۲».

---

(۱) الإصابة ج ۳ ص ۵۶۳ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۳ ص ۵۴۳ عن الطبرى، و إكمال الكمال ج ۷ ص ۲۶ و ۳۸۵ و الأنساب للسمعانى ج ۴ ص ۲۰۲ و ج ۵ ص ۵۶۹ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۴۷۰ و أسد الغابة ج ۵ ص ۲۷.

(۲) الإصابة ج ۴ ص ۱۹ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۱۸ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۴۵۲ و أسد الغابة ج ۵ ص ۱۴۶ و الجرح و التعديل ج ۹ ص ۱۰۰ و تهذيب الكمال ج ۳۳ ص ۷۲ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۳۵ و تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۱۸ و تقريب التهذيب ج ۲ ص ۳۶۰ و إسعاف المبطأ برجال الموطأ ص ۱۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۲۹۹

۳- أبو عبيس (أو عبس) بن جابر (أو جبر): كان قد عمى فى عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأعطاه «صلى اللّه عليه و آله» عصا، و قال:

تنور بهذه، فكانت تضىء له ما بين كذا و كذا «۱».

و مات سنة أربع و ثلاثين، و صلى عليه عثمان «۲».

۴- حويصة يقولون: إنه شهد أحدا، و الخندق، و سائر المشاهد «۳»، فمن حضر سائر المشاهد، فإنه يكون قد عاش إلى ما بعد وفاة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و هناك ثلاثة رجال لا يعلم عنهم شىء.

و على هذه فقس ما سواها ..

شكوك أخرى حول سرية ابن مسلمة:

على أن ما ذكرناه آنفا ليس هو كل شىء، فهناك شكوك أخرى، لا بد

---

(۱) الإصابة ج ۴ ص ۱۳۰.

(۲) الإصابة ج ۴ ص ۳۰ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۱۲۲ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۴۵۱ و ۵۰۷ و الثقات ج ۳ ص ۲۵۵ و أسد الغابة ج ۳ ص ۲۸۳ و ج ۵ ص ۲۴۸ و تهذيب الكمال ج ۳۸ ص ۴۶ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۳۵۰ و ۳۵۱ و الآحاد و المثانى ج ۴ ص ۳۱ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۱۸۹ و تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۱۴۰ و تاريخ المدينة لابن شبة ج ۲ ص ۴۵۷ و تقريب التهذيب ج ۲ ص ۴۳۱.

(۳) الإصابة ج ۴ ص ۳۰ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۱ ص ۳۹۴ و تهذيب الكمال ج ۲۷ ص ۳۱۳ و تهذيب التهذيب ج ۱۰ ص ۶۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱ هامش ص ۱۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۰

من التصريح بها، و البحث عما يزيلها، إن كان هناك ما يمكن أن يكون مفيدا فى معرفة الحق و الحقيقة فيها.

و نذكر مما يدخل فى هذا المجال ما يلى:

بالنسبة إلى الذين قتلوا مع ابن مسلمة نقول:

۱- إنهم إذا كانوا قد ناموا فهجم عليهم الأعداء حتى خالطوهم، فما معنى أن يتراموا بالنبل، الذى يحتاج إلى مسافة، فإن المفروض فى الذين خالطوهم ألا يلجأوا إلى الرمى بالنبال، بل أن يضربوهم بسيوفهم، أو أن يشجروهم برماحهم؟!

۲- ما معنى أن ينام جميع رجال السرية، حتى لم يبق أحد منهم يحرس و يراقب؟! مع أنهم كما صرحت الروايات قد أصبحوا فى بلاد عدوهم، و حيث أصبح الخطر داهما؟!

۳- قد صرحت الروايات: بأن محمد بن مسلمة وقع جريحا «فضربوا كعبه، فلم يتحرك، فظنوا موته، فجردوه من الثياب».

و السؤال هو: لماذا اختاروا أن يضربوا كعب محمد بن مسلمة، و لم يغمدوا سيوفهم فى صدره أو نحره، أو بطنه، أو ما إلى ذلك، ليتأكدوا من موته؟!

و كيف أبصروا حركته و عدمها فى ظلمة ذلك الليل؟!

و كيف استطاع هو أن يتحمل هذا الألم، و لا يتحرك؟!

و حين قتل المشركون المسلمين، هل تمكن المسلمون من قتل أحد من المشركين؟! أم أنهم سلموا جميعا، فلا قتل و لا جراح فيهم؟!

و لماذا لم يحدثنا التاريخ عن شيء من ذلك؟!

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التى تحتاج إلى إجابات مقنعة و مقبولة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۱

و أين و أنّى؟!.

۶- سرية زيد إلى العيص:

اشارة

و فى جمادى الأولى من سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص (موضع على أربعة ليال من المدينة) «۱»، و معه سبعون راكبا، أو فى سبعين و مائة راكب «۲»، لما بلغه «صلى اللّه عليه و آله»: أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام. فتعرضوا لها، فأخذوها و ما فيها، فأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، و أسروا منهم أناسا، منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنة (و الصحيح: ربيبة «۳») رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۴».

---

(۱) الإمتاع للمقريزى ص ۲۶۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۷ و عيون الأثر ج ۲ ص ۹۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۵ و البحار ج ۲۰ هامش ص ۲۹۲ عن الإمتاع، و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۳۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۳ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۹.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۵ ص ۲۹۶ و ج ۶۷ ص ۱۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۵ و ۸۷ و ج ۸ ص ۳۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۳ و ج ۱۱ ص ۳۱ و البحار ج ۲۰ ص ۲۹۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۹ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۲۴۹ و عن الإصابة ج ۸ ص ۱۵۲.

(۳) راجع: أسد الغابة ج ۵ ص ۴۶۹ و كتابنا «بنات النبى «صلى اللّه عليه و آله» أم ربائبه»، و كتابنا «القول الصائب فى إثبات الربائب».

(۴) الثقات ج ۱ ص ۲۸۴ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۲ و راجع: أسد الغابة ج ۵ ص ۲۳۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۲ و ذخائر العقبى ص ۱۵۸ و المنتخب من ذيل المذيل ص ۷ و راجع: تحف العقول ص ۴۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۲

فنادت زينب فى الناس، حين صلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» الفجر:

إنى قد أجرت أبا العاص.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: ما علمت بشيء من هذا. و قد أجرنا من أجرت. ورد عليه ما أخذ «۱».

و قد ذكر ابن عقبة: أن أسره كان على يد أبى بصير و أبى جندل بعد الحديبية.

و كانت هاجرت قبله، و تركته على شركه ..

و ردها النبى «صلى اللّه عليه و آله» عليه بالنكاح الأول.

قيل: بعد سنتين، و قيل: بعد ست سنين، و قيل: قبل انقضاء العدة.

و فى حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: ردها بنكاح جديد سنة سبع «۲».

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۳ و المستدرك للحاكم ج ۴ ص ۴۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۷ و ج ۸ ص ۳۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۶ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۹ و عن الإصابة ج ۸ ص ۱۵۲ و الآحاد و المثانى ج ۱ ص ۳۹۸ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۲۴۸.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و ۱۷۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۴ و جواهر العقود للأسيوطى ج ۲ ص ۲۷ و نصب الراية ج ۳ ص ۳۹۹ و الفصول فى الأصول للجصاص ج ۳ ص ۱۶۳ و العلل لأحمد بن حنبل ص ۳۱۳ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۲۴۹ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۳۳ و حلية الأبرار ج ۱ ص ۸۴ و البحار ج ۱۹ ص ۳۵۴ و راجع سنن ابن ماجة ج ۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۳

و لنا هنا وقفات، هى التالية:

فضة صفوان:

قد ذكرنا فى أول الجزء السادس من هذا الكتاب: أنهم يدّعون أنه قد كانت هناك سرية إلى ماء يقال له: القردة، و أن أميرها زيد بن حارثة أيضا، و قد أرسله «صلى اللّه عليه و آله» إلى قافلة لقريش فيها صفوان بن أمية، و أبو سفيان، و كان أكثرها من الفضة، فأصاب العير و ما فيها، و أعجزه الرجال، و رجع بالغنيمة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فخمّسها، فبلغ الخمس عشرين ألفا.

و قد لا حظنا: أن ثمة تشابها عجيبا بين تلك السرية و بين هذه التى نحن بصدد الحديث عنها، فإن هذه السرية أيضا: أميرها زيد بن حارثة، و كانت إلى ماء يقال له: القردة، و أخذ المسلمون منها فضة كثيرة، و كانت الفضة أيضا لصفوان بن أمية ..

فهل تراهما سرية واحدة؟ اختلف الرواة فى تاريخها، و فى بعض خصوصياتها، كما يختلفون فى غيرها، فظنهما البعض سريتين. فدوّنهما مرتين؟!

- ص ۶۴۷ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۶۳۹ و المصنف للصنعانى ج ۷ ص ۱۷۱ و راجع: شرح معانى الأخبار ج ۳ ص ۲۵۶ و المعجم الكبير ج ۱۹ ص ۲۰۲ و سنن الدار قطنى ج ۳ ص ۱۷۷ و أسد الغابة ج ۴ ص ۲۶۶ و ج ۵ ص ۲۳۷ و ۴۶۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۹ و البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۹۰ و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۱۲۷ و الجوهر النقى ج ۷ ص ۱۸۹ و إرواء الغليل ج ۶ ص ۳۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۴

على نفسها جنت براقش:

و فى سياق آخر نقول:

إن قريشا هى التى جنت على نفسها حين واجهت المسلمين بالبغى، و العدوان، و الاضطهاد، و الاستيلاء على أملاكهم، و إخراجهم من أوطانهم و ديارهم، بغير جرم أتوه. إلا أن يقولوا: ربنا اللّه، و يريدون أن يكونوا أحرارا فيما يفكرون، و فيما يعتقدون ..

فكان لا بد من أن تواجه عاقبة ذلك، حين يريد المظلومون أن يسترجعوا بعض ما أخذ منهم، و لو كان نزرا يسيرا .. و سوف يكون

استرداد هذا القليل عظيم الأثر على روح أولئك الطغاة الجبارين، الذين يرون الحياة الدنيا كل شيء بالنسبة إليهم، و يرون فى ارتفاع آهات المظلومين و المعذبين فضلا عن مطالباتهم، و سعيهم للتخلص من الظلم و البغى، مساسا بكبريائهم، و انتقاصا من جبروتهم، فإذا تمكن أولئك المستضعفون من استرجاع شيء من حقوقهم، فسيكون فى ذلك أعظم الخزى لأولئك الطغاة، و أبلغ الخذلان، و تلك هى أعظم مصائبهم، و فيها أشد آلامهم.

و أما إذا بلغ الأمر حد إرباك هؤلاء الطغاة، و إشغالهم بالحفاظ على لقمة عيشهم، و سلامة تجارتهم، فإن ذلك يكون غاية ذلهم، و صغارهم و هوانهم ..

مدائح لأبى العاص بن الربيع:

و عن دعواهم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أثنى على صهره أبى العاص بن الربيع، نقول:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۵

إن ذلك لا يصح: فقد روى عن أبى جعفر «عليه السلام»، أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» زوج أبا العاص بن الربيع مع كونه منافقا «۱».

كما أننا لم نجد له موقفا جهاديا مميزا، و لا عرف عنه شيء من الزهد و التقوى، و البذل فى سبيل اللّه، و نحو ذلك.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يتصرف بما ليس له:

و قالوا: «إن زينب دخلت على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه، فأجابها إلى ذلك» «۲».

و نقول:

إننا نشك فى صحة ذلك: لأن ما أخذه المسلمون إنما هو غنائم حرب و هى ملك لهم .. فإن كان قد وعدها النبى «صلى اللّه عليه و آله» بشيء، فلا بد أن يكون ذلك بأن يطلب من المسلمين التنازل له عن شيء من حقهم، فإن رضوا أعاد إليه ما يرضون بإعادته ..

و يدل على ذلك: أنهم يذكرون: أنه «صلى اللّه عليه و آله» بعث للسرية، فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم. و قد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا و تردوا عليه الذى له، فإنا نحب ذلك، و إن أبيتم فهو فيء اللّه الذى

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۲ ص ۱۵۹ و السرائر ص ۴۷۱ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۴ ص ۴۳۵ و مستطرفات السرائر ص ۵۶۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۳ و ج ۱۱ ص ۳۱ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۳۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۶ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۶

أفاء عليكم، فأنتم أحق به» «۱».

لا يخلص إليك:

و زعموا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال لزينب عن أبى العاص:

«لا يخلص إليك، فإنك لا تحلين له» «۲».

و الظاهر: أن ذلك كان قبل أن يسلم أبو العاص ..

رد زينب على أبى العاص:

و يقولون: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد رد زينب على زوجها

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۳ و ذخائر العقبى ص ۱۵۹ و المعجم الكبير ج ۲۲ ص ۴۳۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۲ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۴۸۳ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۱۶ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۶۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۹۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و ۱۷۸ و عن تحف العقول ص ۴۵۵ و البحار ج ۱۹ ص ۳۵۳ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۴۱ و مستدرك سفينة البحار ج ۴ ص ۳۴۵ و سنن النسائى ج ۷ ص ۱۸۵ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۱۸۵ و ج ۹ ص ۹۵ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۱۶ و المعجم الكبير ج ۲۲ ص ۴۳۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۹۶ و نصب الراية ج ۳ ص ۴۰۱ و أسد الغابة ج ۵ ص ۲۳۷ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۶۶ و المنتخب من ذيل المذيل ص ۷ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۴۰۱ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۴۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۵۲۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۳ و ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۷

بالنكاح الأول ..

و هذا معناه: أن ذلك قد حصل قبل غزوة الحديبية، أى قبل تحريم نكاح المشرك للمؤمنة؛ لأن هذا التحريم إنما كان فى الحديبية «۱» كما يزعمون ..

و لو كان ذلك قد حصل بعد الحديبية، فلا بد أن يكون زوجها قد أسلم قبل أن تنقضى عدتها، أى أنه أسلم بعد إسلامها بيسير؛ لأن شرط عودتها إليه بالنكاح الأول هو ذلك، أى أن يكون قبل انقضاء العدة.

و لو قيل: إن قوله «صلى اللّه عليه و آله» لزينب: لا يخلص إليك يدل على أن إرجاعها إليه كان بعد الحديبية،؛ لأن تحريم نكاح المشرك للمسلمة قد نزل بعدها،

لأجيب: بأن سرايا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم تتعرض لقوافل قريش بعد الحديبية. فأبو العاص لم يؤسر بعدها.

إلا أن يقال: إن السرية التى اعترضت عير قريش، و أسرت أبا العاص، تعود لأبى جندل، و أبى بصير و أصحابهما الذين كانوا يعترضون عير قريش ..

و قد قيل: إنهم أخذوا أبا العاص، فهرب منهم، و دخل إلى المدينة، و استجار بزينب.

و قيل: بل هم الذين أطلقوه، لمكانه من رسول اللّه «صلى اللّه عليه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۵ و عن فتح البارى ج ۹ ص ۳۴۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۷ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۳۱ و عن الإصابة ج ۷ ص ۲۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۸

و آله»، فخطب النبى «صلى اللّه عليه و آله» الناس، و أعلمهم أن زينب قد أجارته، فلما علم أبو جندل و أصحابه بذلك أطلقوا

الأسرى، و ردوا عليهم كل شيء. و كان ذلك فى سنة ثمان «۱».

و قد يقال:

كيف يمكن ادّعاء: أن أبا العاص قد أسلم بعد زينب بيسير، أى قبل انقضاء عدتها، و هم يقولون: إنها أسلمت قبله بست سنين، و قيل: بسنة واحدة، و قيل: بعد سنتين من إسلامه؟! «۲».

و يمكن أن يجاب:

بأن الثابت هو: أنها قد أتت إلى المدينة قبل زوجها بهذه المدة الطويلة، و لكن ذلك لا يدل على: أنها قد أسلمت قبله، فلعل انتقالها إلى المدينة كان للتخلص من مضايقات قريش لها، لمجرد صلتها برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و إن لم تكن قد دخلت فى دينه. كما هو ظاهر لا يخفى.

۷- سرية زيد إلى الطرف:

و فى جمادى الآخرة سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف،

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۳ و ۸۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۸ و راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۷۵ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۳۲ و ج ۲ ص ۲۴۶ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۶۱ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۱۸۷ و فتح البارى ج ۹ ص ۳۴۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۲۰ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۴۰۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۰۹

و هو ماء على ستة و ثلاثين ميلا من المدينة، فخرج إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا، فأصاب نعما و شاء، و هربت الأعراب.

و صبح زيد بالنعم المدينة، و هى عشرون بعيرا، و لم يلق كيدا، و غاب أربع ليال، و كان شعارهم الذى يتعارفون به فى ظلمة الليل: أمت أمت «۱».

و قد قلنا: اكثر من مرة بأننا نشك فى وقوع هذه السرايا، التى تظهر أن همّة النبى «صلى اللّه عليه و آله» كانت منصرفة إلى الغنائم و السبايا، و لو بقيمة قتل الناس و إبادة خضرائهم، أو إذلالهم.

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۷ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۹۹ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۷ و راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۸۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۱

الفصل الرابع: سرايا أخرى قبل الحديبية

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۳

۱- سرية زيد إلى حسمى:

اشارة

و فى جمادى الآخرة من سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة أيضا إلى حسمى، و هو واد وراء ذات القرى.

و كان من حديثها- كما حدث رجال من جذام، و كانوا علماء بها-: أن رفاعة بن زيد الجذامى لما قدم على قومه من عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بكتابه، يدعوهم إلى الإسلام استجابوا له .. فلم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبى من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه إليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و معه تجارة له، و قد أجازه قيصر، و كساه، فعاد إلى المدينة حتى إذا كان بوادى: «حسمى»، أغار عليه الهنيد بن عوض الضلعى (بطن من جذام) و معه ابنه عوض فى ناس من جذام، فأصاب كل شىء كان مع دحية. و لم يتركوا عليه إلا ثوبا خلقا.

فبلغ ذلك قوما من جذام أيضا، من بنى الضبيب، و هم رهط رفاعة، ممن كان قد أسلم، فنفروا إلى الهنيد و ابنه، فاستنقذوا لدحية ما أخذ منه.

فخرج دحية حتى قدم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأخبره خبره، و استشفاه (أو استسقاه) دم الهنيد و ابنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۴

فبعث النبى «صلى اللّه عليه و آله» زيدا فى خمس مائة رجل «۱»، ورد معه دحية، فكان زيد يسير بالليل، و يكمن بالنهار، حتى هجموا مع الصبح على الهنيد و من معه، فأغاروا عليهم، و قتلوا فيهم (رجلين)، و أوجعوا، و قتلوا الهنيد و ابنه، و أخذوا من النعم ألف بعير، و من الشاء خمسة آلاف، و مائة من النساء و الصبيان.

قالوا: فلما سمع بذلك بنو الضبيب ركب نفر منهم، فيهم حسان بن ملّة، فلما وقفوا على زيد بن حارثة، قال حسان: إنا قوم مسلمون.

فقال له زيد: اقرأ أم الكتاب. فقرأها.

فقال زيد بن حارثة: نادوا فى الجيش: أن قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاؤوا منها، إلا من ختر أى غدر.

و إذا بأخت حسان مع الأسارى، فقال له زيد: خذها.

فقالت أم الغرار الضلعية: أتنطلقون ببناتكم، و تذرون أمهاتكم؟.

فقال أحد بنى الخصيب: إنها بنو الضبيب و سحر ألسنتهم سائر اليوم.

فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيدا، فأمر بأخت حسان، و قد كانت أخذت بحقوى أخيها، ففكت يداها من حقويه، و قال لها: اجلسى مع بنات عمك، حتى يحكم اللّه فيكن حكمه، فرجعوا.

و نهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاؤوا منه، فأمسوا فى أهليهم.

---

(۱) راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۵۷ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۰۱ و البحار ج ۲۰ ص ۲۹۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۵

فلما شربوا عتمتهم ركبوا إلى رفاعة فصبحوه، فقال له حسان بن ملة: إنك لجالس تحلب المعزى، و إن نساء جذام أسارى، قد غرّها كتابك الذى جئت به؟!

فدعا رفاعة بجمل له، فشد عليه رحله، و هو يقول: هل أنت حى و تنادى حيا؟.

ثم سار فى نفر من قومه إلى المدينة ثلاث ليال، فلما دخلوا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ألاح إليهم بيده: أن تعالوا من وراء الناس .. ثم دفع رفاعة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كتابه، الذى كان كتب له و لقومه، حينما قدم عليه فأسلم، فقال: دونك يا

رسول اللّه قديما كتابه، حديثا غدره.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: اقرأه يا غلام، و أعلن.

فلما قرأ كتابه استخبرهم، فأخبروه، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: كيف أصنع بالقتلى؟! ثلاث مرات.

فقال رفاعة: أنت أعلم يا رسول اللّه، لا نحرم عليك حلالا، و لا نحلل لك حراما.

فقال أبو زيد بن عمرو- أحد قومه معه-: أطلق لنا يا رسول اللّه من كان حيا، و من قتل فهو تحت قدمى هذه.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: صدق أبو زيد، اركب معهم يا على.

فقال له على «عليه السلام»: يا رسول اللّه، إن زيدا لا يطيعنى.

قال «صلى اللّه عليه و آله»: فخذ سيفى هذا.

فأعطاه سيفه، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبلهم،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۶

أرسله زيد مبشرا، فأنزلوه عنها، وردها على القوم، و أردفه على خلفه، فقال: يا على، ما شأنى؟!

فقال: ما لهم، عرفوه فأخذوه؟!

ثم ساروا، فلقوا الجيش، فطلب زيد من على «عليه السلام» علامة، فقال: هذا سيفه «صلى اللّه عليه و آله».

فعرف زيد السيف، و صاح بالناس، فاجتمعوا، فقال: من كان معه شيء فليرده، فهذا سيف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأخذوا ما بأيديهم، حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة من تحت الرجل «۱».

و نقول:

إن لنا على هذا النص بعض الملاحظات، و هى التالية:

ألف: إرسال دحية إلى قيصر:

قد ذكر فيما تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان قد أرسل دحية إلى قيصر ..

و ذلك موضع شك، فإن النبى «صلى اللّه عليه و آله» إنما أرسل دحية فى كتاب إلى قيصر بعد الحديبية «۲».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹ و ۱۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۸ و ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۳۷۵.

(۲) قد تقدمت المصادر لهذه الفقرات و لأجل التذكير ببعضها، نقول: راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۹ و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۳۹۸ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۵۵۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۷ ص ۲۰۸ و تهذيب الكمال ج ۸ ص ۴۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۷

فلعل دحية كان عند قيصر فى شغل خاص به، و قد حصل منه على أموال و عطايا فجرى عليه ما جرى ..

ب: لماذا إرجاع الأموال؟!

قد يقال: إن الغنائم إن كانت قد أخذت من أناس مشركين، معلنين للحرب، فلماذا تردّ عليهم؟.

و قد تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أوكل أمر إرجاع الأموال إلى أبى العاص بن الربيع- أوكله- إلى قبول المشاركين فى

السرية، حيث قال لهم: «و إن أبيتم فهو فيء اللّه الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به» «۱».

و إن كانت قد أخذت من أناس مسلمين، فلماذا يأخذها منهم زيد؟

ثم لماذا لا يردها عليهم بعد أخذها؟!

و يؤيد هذا: أن أولئك القوم قد ذهبوا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و اشتكوا له، فبادر «صلى اللّه عليه و آله» إلى الاستجابة لهم، حسبما تقدم ذكره .. فلو أن المقتولين، و الذين أخذت أموالهم كانوا من المسلمين لم يكن معنى لهذه المبادرة من هؤلاء، و لم يكن معنى لاستجابة النبى «صلى اللّه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۷ و البحار ج ۱۹ ص ۳۵۳ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۴۱ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۳۷ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۱۶ و المعجم الكبير ج ۲۲ ص ۴۳۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۹۶ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۶۶ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۴۸۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۳ و راجع: مناقب آل البيت «عليهم السلام» للشيروانى ص ۴۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۸

عليه و آله» لهم، و أخذ الأموال من المقاتلين و إرجاعها إلى أصحابها الشرعيين، لأنه إذا كان المقتولون و أصحاب الأموال محاربين، فإن تلك الأموال تكون للمقاتلين و لا يصح أخذها منهم ..

و لكن قبولنا لهذا الأمر لا يحل الإشكال أيضا؛ لأن المقتولين إذا كانوا مسلمين فلا معنى لطل دمهم، بل كان ينبغى أن يحاسب الذين قتلوهم، فإن كانوا قد قتلوهم مع علمهم بإسلامهم، فلا بد من إنزال العقوبة بمن فعل ذلك ..

كما لا بد من محاسبتهم على أخذ أموالهم، و إصرارهم على هذا الأخذ، حتى إنهم ليحتاجون إلى علامة من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لإرجاعها إلى أهلها ..

و إن كانوا قد قتلوهم عن جهل منهم بكونهم مسلمين، فهم و إن كانوا معذورين بقتلهم، لكن لا بد للرسول «صلى اللّه عليه و آله» من أن يديهم من بيت مال المسلمين على الأقل ..

و قد يقال:

إن المقتولين كانوا من المشركين المعاهدين .. الذين لا ذنب و لا يد لهم بما جرى، و إنما غلبوا على أمرهم، و أصبحوا ضحية بغى الهنيد و ابنه، فأخذوا بذنب غيرهم، و قد جاء الذين أسلموا من قومهم، ليحلوا هذا الإشكال، فارتأوا حله، بطلّ دمهم، و الاكتفاء بإرجاع أموالهم إليهم ..

و يجاب:

بأنه لا توجد أية إشارة إلى وجود معاهدات بين أهل الشرك من هذه القبيلة، و بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۱۹

و الصحيح فى القضية هو: أن هذه القبيلة كانت قد أسلمت استجابة لرفاعة بن زيد الجذامى، الذى جاءهم بكتاب من عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

ثم إن بضعة أفراد منها، و هم الهنيد و ابنه، و ربما بعض آخر معهما، قطعوا الطريق على دحية و سلبوه ما معه ثم أرجع بنو الضبيب من جذام إليه ما كان سلب منه .. فاشتكى دحية إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و طلب منه أن ينتقم له من الهنيد و ابنه، فأرسل النبى «صلى اللّه عليه و آله» زيدا على رأس سرية لأخذ الجناة، فقتلت السرية الهنيد و ابنه، و اثنين (أو أكثر) ممن كانوا معه، و أخذوا ما وجدوه هناك من إبل و شاء.

و لكن هذا الذى وجدوه و أخذوه لم يكن للمقتولين بل هو لغيرهم من أفراد القبيلة المسلمين، الذين كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد كتب لهم الكتاب مع رفاعة ..

فاعتبره زيد غنيمة حرب، فرفعت القبيلة المسلمة أمرها إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فحكم بإرجاع الأموال إلى أهلها، و لم يعبأ بالمقتولين لأنهم أفسدوا، و اعتدوا و حاربوا، و قطعوا السبيل، و لم يكن هناك أى عدوان أو تقصير من زيد، و قد فعل ما كان ينبغى له. و اللّه هو العالم بالحقائق.

ج: العصبية للحق، لا للعشيرة:

و الذى يثير الانتباه هنا: أن الجذاميين المسلمين من بنى الضبيب قد تعصبوا لإسلامهم و لدينهم و للحق، و نصروا المظلوم حتى على ابن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۰

العشيرة، فاستنقذوا الأموال التى استلبها الهنيد و ابنه منهما، و أرجعوها إلى صاحبها، مع أنهم كانوا إلى الأمس القريب يتعصبون لابن العشيرة، و ينصرونه على غيره، حتى لو كان معتديا و ظالما لذلك الغير.

د: خمس مائة رجل!! لماذا؟!

و قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسل زيدا فى خمس مائة رجل مع دحية ..

و نحن نشك كثيرا فى صحة هذا الأمر ..

فإن أعداد أفراد السرايا التى كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يرسلها إلى البلاد البعيدة و القريبة كانت قليلة فى الغالب.

فهو «صلى اللّه عليه و آله» يرسل ثلاثين، أو أربعين، أو سبعين، أو مائة، أو مائتى رجل ..

فلماذا أرسل خمس مائة رجل فى هذه المرة؟! مع كون تلك القبيلة كانت على الإسلام، و مع كون العصاة من أفرادها قليلين، لا يحسب لهم حساب، خصوصا مع كون سائر قبيلتهم ضدهم، و قد أثبتت تلك القبيلة ذلك بصورة عملية، حيث استنقذت لدحية جميع ما كان قد أخذ منه ..

ه: تسرع غير مقبول:

و بعد .. فإن ما يثير الدهشة أيضا: أن زيدا يغير على أولئك القوم فى عماية الصبح، فيقتل، و يأسر، و يستاق النعم و الشاء، و يسبى النساء .. فإن كان المذنب من تلك القبيلة هم أفراد قلائل، فما ذنب سائر أفراد القبيلة؟.

و إذا كانت القبيلة قد أعلنت إسلامها- حسبما ذكرناه فيما سبق- فلماذا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۱

يغير عليها فى عماية الصبح؟!

و إذا أراد أن لا يفلت المجرم من يده، و إذا كان يصح أسر المقاتلين من الرجال، حتى لو كانوا مسلمين، فما هو ذنب النساء حتى تسبى؟! خصوصا إذا كن مسلمات مؤمنات، قد صدقن كتاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، الذى أرسله إليهن مع رفاعة، و قبلن

أمانه؟!.

و كيف يكتب لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كتابا، ثم يأمر جنوده بالإغارة عليهم ..

ألم يكن الأجدر و الأولى .. أن يرسل الرسول «صلى اللّه عليه و آله» إلى رفاعة، و إلى سائر بنى جذام يطلب منهم تسليمه المجرم لينال جزاءه؟! فإن امتنعوا من ذلك، و منعوا صاحبهم، و أصبحوا فى عداد المحاربين، أمكن فى هذه الحال .. أن يتخذ النبى «صلى اللّه عليه و آله» القرار المناسب فى حقهم، وفق هذه المستجدات ..

على أن من الواضح: أن الأخذ بقول دحية، و المبادرة إلى اتخاذ قرار الحرب ضد أناس آخرين- كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه قد أرسل إليهم بكتاب أمان منه، و قد استجابوا لكتابه، و أسلم من أسلم منهم بناء على ذلك. إن ذلك- لا يتناسب مع أخلاق و سياسات الأنبياء «عليهم السلام»، و لا يصح نسبته إليه «صلى اللّه عليه و آله».

و: كيف أصنع بالقتلى؟!

و حين قال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: كيف أصنع بالقتلى؟ .. لم يكن يريد أن يعبّر عن تحيره فى الأمر، و لا كان يسأل عن حكم اللّه تعالى فيهم، بل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۲

كان «صلى اللّه عليه و آله» يريد أن يسمع من نفس أصحاب العلاقة، ما يريد أن يمضيه فيهم، لأن ذلك يبعد عن أذهان ضعفة النفوس و الإيمان أى احتمال يمكن أن يثار حول صوابية القرار الذى يصدره فى قضيتهم، و هو يظهر بذلك لكل أحد: أن قراره هذا هو ما تحكم به الفطرة، و يفرضه الإنصاف فى حق من يشهر سيفه على الناس، و يقطع الطريق و يخيف السبيل ..

و لأجل ذلك: صرح رفاعة بأنه: لا يطلب إلا ما هو حلال و مباح، و موافق للمنطق. ثم جاءت مبادرة أبى زيد التى انطلقت بعفوية و أريحية لتؤكد هذا الأمر، و تحسم الرأى الصواب فيه، فأمضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» له ذلك، حين ظهر أنهم منسجمون مع هذا الحق، متفهمون لذلك الصواب ..

ز: مالهم، عرفوه فأخذوه:

و لم يكن انتداب النبى «صلى اللّه عليه و آله» عليا «عليه السلام» للمهمة الحاسمة، التى تضمنت إرجاع الحقوق إلى أهلها، هو الوحيد فى تاريخ النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على «عليه السلام».

و قد جاء تفويض هذه المهمة إليه «عليه السلام» ليؤكد على دوره فى هذا الاتجاه، و ليكون الدليل على الثقة المطلقة بحسن تدبيره، و بدقته فى إنجاز ما يوكله «صلى اللّه عليه و آله» إليه من مهمات، حتى إنه «عليه السلام» لينتزع الناقة من الرسول الذى جاء بالبشرى، ثم يردفه خلفه، و لا يرضى بأن يركب ناقة صدر حكم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۳

بإرجاعها إلى أربابها، و لو خطوات يسيرة.

و كان التساؤل الحائر من ذلك الرسول: يا على ما شأنى؟! حيث ظن أن ذلك قد جاء عقوبة له على أمر صدر منه.

فجاءه الجواب الحاسم و الحازم منه «عليه السلام»: ما لهم، عرفوه فأخذوه.

ح: مبالغات لا مبرر لها:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۱۴ ۳۲۳ ح: مبالغات لا مبرر لها: ..... ص : ۳۲۳

و روى الواقدى عن محجن الديلى، أنه قال: «كنت فى تلك السرية، فصار لكل رجل سبعة أبعرة، أو سبعون شاة، و صار له من السبى المرأة و المرأتان، حتى رد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذلك كله إلى أهله» «۱».

و نقول:

إنه إذا كان الجيش خمس مائة مقاتل، ثم كان مجموع السبى مائة امرأة و طفل، فكيف يكون قد صار للرجل المرأة و المرأتان؟!

و إذا كان الجيش خمس مائة، و الأبعرة ألف، فكيف نال كل واحد سبعة أبعرة؟!

ط: زيد لا يطيعنى:

و حين قال على «عليه السلام» للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: زيد لا يطيعنى، فإنه لم يكن يريد بذلك تحريض الرسول الكريم «صلى اللّه عليه و آله» على زيد ..

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۴

بل هو قد أراد أن يمدح زيدا بذلك، من حيث إنه يمارس عمله وفق أصول الانضباط، و الالتزام بالمقررات بحزم و صرامة، و لا يتعامل على أساس العلاقات الشخصية، التى ربما تجر أحيانا إلى الوقوع فى أخطاء قد لا يمكن تداركها .. خصوصا حين يتعلق الأمر بالتعاطى مع الشأن العام، و تنفيذ المهمات، و القيام بالمسؤوليات النظامية.

و قد كان على «عليه السلام» يدرك: أنه لا بد من إشاعة هذا النهج، و فرض الالتزام به على الآخرين، بصورة عملية و حاسمة، بحيث لا يبقى أى منفذ، أو فرصة لأى تسلل من شأنه أن يفسد طريقة تنفيذ القرار، أو أن يخل بحركة العمل فى المجالات التطبيقية المختلفة. و إلا، فإن زيدا كان يعرف عليا «عليه السلام»، و يدرك موقعه من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و من الإسلام كله .. و لكنه يريد أن يرى الناس كيف يلتزم القائد بحرفية البيانات و البلاغات الصادرة إليه، و أن عليهم أن يتعلموا: أنه لا مجال لمحاباة أحد، و لا للاعتماد على الرأى و الاجتهاد، بعد أن استبعدت المعرفة اليقينية، و حوصرت و صودرت أحكامها بأحكام و بيانات صريحة أخرى لم تدع لها مجالا، و لا مقالا ..

و حسبنا هذا الذى ذكرناه هنا: فإن استقصاء الحديث حول التفاصيل و الجزئيات لسوف يضر بالاستفادة مما هو أهم، و نفعه أتم، و أشمل و أعم ..

۲- سرية كرز بن جابر إلى العرنيين:

اشارة

و فى جمادى الآخرة من سنة ست على قول ابن اسحاق، أو فى شوال على قول الواقدى، و ابن سعد، و ابن حبان، أو فى ذى القعدة

بعد الحديبية،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۵

كما فى البخارى .. كانت سرية كرز بن جابر الفهرى إلى العرنيين، و هم حى من قضاعة، و حى من بجيلة. لكن المراد هنا الثانى، على ما ذكره ابن عقبة فى مغازيه.

فقد روى: أن ثمانية من عرينة، و فى البخارى من عكل و عرينة، و فى الاكتفاء من قيس كبة من بجيلة، قدموا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فتكلموا بالإسلام و كانوا مجهودين، قد كادوا يهلكون لشدة هزالهم، و صفرة ألوانهم، و عظم بطونهم، فطلبوا منه «صلى اللّه عليه و آله» أن يؤويهم و يطعمهم، فأنزلهم «صلى اللّه عليه و آله» عنده بالصفة.

ثم استوخموا المدينة، و طلحوا، و قالوا: إنا كنا أهل ضرع، و لم نكن أهل ريف، فبعثهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى لقاحه التى كانت ترعى بناحية الجماوات، و كان يرعاها عبد له، يقال له: يسار ..

و فى رواية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» بعثهم إلى إبل الصدقة.

و جمع بينهما: أنهما كانا معا، فالبعث كان إليهما معا.

فخرجوا إليها، و شربوا من أبوالها، و ألبانها، حتى صحوا و سمنوا، و انطوت بطونهم عكنا، فكفروا بعد إسلامهم، و عدوا على الراعى فذبحوه.

و فى رواية: أنهم استاقوا اللقاح، فأدركهم يسار، فقتلوه، و مثّلوا به.

فبلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله» الخبر، فبعث فى أثرهم كرز بن جابر فى عشرين فارسا، فأدركوهم و أحاطوا بهم، و ربطوهم، و قدموا بهم إلى المدينة و أرجعوا اللقاح، و كانت خمس عشرة إلا واحدة، و كان «صلى اللّه عليه و آله» بالغابة، فخرجوا بهم نحوه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۶

و فى الإكتفاء: فأتى بهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مرجعه من غزوة ذى قرد، فأمر بهم فقطعت أيديهم، و أرجلهم.

و فى رواية: و سمرت أعينهم، و صلبوا هناك.

و فى البخارى: فأمر بمسامير فأحميت، فكحلهم، و قطع أيديهم، و ما حسمهم، ثم ألقوا فى الحرة و هى أرض ذات حجارة سود، يستقون، فما سقوا حتى ماتوا.

قال أنس: فكنت أرى أحدهم يكد، أو يكدم الأرض بفيه، من العطش، ليجد بردها «۱»، فلا يجده، حتى ماتوا على حالهم.

و أنزل اللّه فيهم: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ الآية «۲».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۰ و ۱۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۸۵ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۷۷ و ۲۷۸ عن مصادر كثيرة. و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و مسند أحمد ج ۲ ص ۲۸۷ و عن سنن أبى داود ج ۲ ص ۳۳۱ و عن الجامع الصحيح للترمذى ج ۱ ص ۴۹ و سنن النسائى ج ۷ ص ۹۸ و راجع: عون المعبود ج ۱۲ ص ۱۷ و سنن النسائى ج ۲ ص ۲۹۶ و مسند أبى يعلى ج ۶ ص ۲۲۵ و ۴۶۶ و الفايق فى غريب الحديث ج ۱ ص ۲۱۲ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۶ ص ۱۴۸ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۵۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۳۴۱.

(۲) سورة المائدة الآية ۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۷

و لم يقع بعد ذلك: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سمل عينا «۱».

و نقول: إن لنا ههنا وقفات هى التالية:

المثلة و التعذيب:

قد يقال: إنه لا معنى لهذا التعذيب الذى أنزل بهم.

و قد يجاب عن ذلك- كما عن محمد بن سيرين-: أنه إنما فعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذا قبل أن تنزل الحدود «۲».

قال أبو قلابة: هؤلاء قوم سرقوا، و قتلوا، و كفروا بعد إيمانهم،

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۷ و راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۷۷ عن البخارى، و مسلم، و عبد الرزاق، و أبى داود، و الترمذى، و النسائى، و ابن ماجة، و ابن جرير، و ابن المنذر، و النحاس فى ناسخه، و البيهقى فى الدلائل عن أنس و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۹۳ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۹۹.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱ عن الترمذى، و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۷ و ج ۹ ص ۲۰۰ و مسند أحمد ج ۳ ص ۲۹۰ و عن صحيح البخارى ج ۷ ص ۱۳ و عن سنن أبى داود ج ۲ ص ۳۳۲ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۱ ص ۵۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۸ ص ۲۸۳ و ج ۹ ص ۷۰ و ج ۱۰ ص ۴ و عن فتح البارى ج ۱ ص ۲۹۴ و ج ۱۰ ص ۱۲۰ و شرح سنن النسائى ج ۷ ص ۹۵ و تحفة الأحوذى ج ۱ ص ۲۰۷ و عون المعبود ج ۱۲ ص ۱۹ و مسند أبى يعلى ج ۶ ص ۴۶۶ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۶ ص ۱۴۹ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۵۲ و فتح القدير ج ۲ ص ۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۸

و حاربوا اللّه و رسوله «۱».

و نقول:

أولا: إننا لم نجد فى النصوص ما يدل على أن عقوبة السرقة، و القتل، و محاربة اللّه و رسوله أن تحمى المسامير بالنار، ثم يكحل فاعل ذلك بها، و لا أن يلقى فى الحرة ليموت عطشا؟!

ثانيا: لقد نزل قوله تعالى: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ فى مكة قبل هذه القصة «۲» .. و هذه العقوبات المذكورة التى صبت عليهم لم يفعلوا هم مثلها ..

ثالثا: إن ما فعله النبى «صلى اللّه عليه و آله» بهم- لو صح- فهو من مصاديق المثلة التى نهى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عنها فى غزوة أحد، كما يقولون. فما معنى أن ينهى «صلى اللّه عليه و آله» عن الأمر، ثم يبادر هو إلى فعله؟!

رابعا: عن ابن أبى يحيى، عن جعفر، عن أبيه، عن على بن حسين، قال:

لا و اللّه، ما سمل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عينا، و لا زاد أهل اللقاح

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۶ و عن صحيح البخارى ج ۸ ص ۲۰ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۳۳۰ و عون المعبود ج ۱۲ ص ۱۵ و صحيح ابن حبان ج ۱۰ ص ۳۲۰ و الجامع لأحكام القرآن ج ۶ ص ۱۴۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۱ ص ۴۸۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴۶ عن ابن كثير. و راجع: واقعة أحد فى هذا الكتاب، فصل: بعد ما هبت الرياح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۲۹

على قطع أيديهم و أرجلهم «۱».

و من الواضح: أن قطع الأيدى و الأرجل هو عقوبة المفسد فى الأرض، و قد صرح بها القرآن الكريم، و ليست هى من المثلة المنهى

عنها.

عدد الرعاة المقتولين:

و قد ذكرت الروايات تارة أنهم قتلوا يسارا فقط.

و جاء فى رواية أخرى: ثم مالوا على الرعاء فقتلوهم.

و فى نص ثالث: فقتلوا الراعيين، و جاء الآخر، فقال: قتلوا صاحبىّ، و ذهبوا بالإبل «۲».

فما هذا التناقض فى عدد من قتلوا من الرعاء؟

أين كانت اللقاح؟!:

قد ذكرت الرواية السابقة: أن اللقاح كانت بناحية الجماوات، و لكن هناك رواية أخرى تقول: إن اللقاح كانت بذى الجدر، غربى جبال عير، على ستة أميال من المدينة «۳» و هى بناحية قباء.

---

(۱) المسند للشافعى ص ۳۱۵ و الأم للشافعى ج ۴ ص ۲۵۹ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۷۰.

(۲) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۵ و ۱۱۹ و فتح البارى ج ۱ ص ۲۹۲ و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۱۸۰.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱ و راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۷۴ و ۱۱۷۵ و تركة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لحماد البغدادى ص ۱۰۷ و الطبقات الكبرى ج ۱ ص ۴۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴ ص ۲۳۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۴۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۰

و نحن نشك فى ذلك، إذ:

۱- لماذا تكون هذه اللقاح بعيدة عن المدينة إلى هذا الحد، و كيف يؤمن عليها الغارة من القبائل المحيطة، و المعادية؟!

۲- لقد اختلفت النصوص فى موضع رعى الإبل، فهل كانت بناحية الجماوات، التى هى إلى جهة الشام، على ثلاثة أميال من المدينة؟ أم كانت ترعى بذى الجدر، على ستة أميال من المدينة، إلى جهة قباء؟!

أين صلب الجناة؟:

و هم تارة يقولون: إنهم قد صلبوا بالرغابة، بعد أن قطعت أيديهم و أرجلهم «۱».

و أخرى يقولون: إنهم قد صلبوا، و جرى عليهم ما جرى فى المدينة نفسها، و أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بهم فألقوا فى الحرة «۲».

من هو أمير السرية؟:

و قد تقدم: أن الأمير على تلك السرية هو كرز بن جابر، بينما هناك من يقول: إن أمير الخيل يومئذ هو ابن زيد أحد العشرة المبشرة بالجنة.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱ عن ابن سعد عن ابن عقبة.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۸۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۶ و راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۹۹ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۱

و هناك من يقول: أن أمير السرية هو جرير بن عبد اللّه البجلى «۱».

و يرد هذا القول الأخير: بأن إسلام جرير بن عبد اللّه قد كان بعد حوالى أربع سنين من تاريخ هذه السرية «۲».

و قد روى عنه: أنه ما أسلم إلا بعد سورة المائدة فى حجة الوداع «۳».

آية جزاء المحاربين:

و قد تقدم قولهم: إن آية: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ..

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۷۷ عن ابن جرير، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۵۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۸۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و فى ص ۳۱۲: أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر.

(۳) عن فتح البارى ج ۱ ص ۴۱۶ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۱ ص ۶۴ و المستدرك للحاكم ج ۱ ص ۱۶۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۱ ص ۲۷۱ و ۲۷۳ و ۲۷۴ و مسند أحمد ج ۴ ص ۳۶۳ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۴۲ و تحفة الأحوذى ج ۱ ص ۲۶۵ و عون المعبود ج ۱ ص ۱۷۹ و المنتقى من السنن المسندة للنيسابورى ص ۳۲ و المعجم الأوسط ج ۴ ص ۲۲۵ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۳۰۸ و ۳۳۶ و ۳۴۸ و ۳۵۷ و ۳۵۸ و مسند إبراهيم بن أدهم ص ۴۰ و ۴۱ و نصب الراية ج ۱ ص ۱۳۷ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۳۰ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۶۳ و الضعفاء للعقيلى ج ۲ ص ۷۶ و تهذيب الكمال ج ۲ ص ۳۸ و ميزان الإعتدال ج ۲ ص ۸۹ و تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۶۴ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۹۳ و تاريخ جرجان ص ۲۲۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۱۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۲

قد نزلت فى هذه المناسبة.

و نقول:

إن ذلك لا يصح:

أولا: لأن هذه الآية وردت فى سورة المائدة، التى نزلت دفعة واحدة فى حجة الوداع «۱».

و حتى لو كانت قد نزلت بعد الحديبية، أو عام الفتح «۲»، فإن ذلك يدل على أنها لم تنزل فى هذه الغزوة التى حصلت قبل الحديبية.

و قد روى نزولها دفعة واحدة عن:

۱- عبد اللّه بن عمرو «۳».

۲- أسماء بنت يزيد «۴».

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن ابن جرير، و أبى عبيد، و راجع: البحار ج ۳۷ ص ۲۴۸ و الغدير ج ۶ ص ۲۵۶ و راجع: المستدرك للحاكم ج ۱ ص ۱۶۳.

(۲) الجامع لأحكام القرآن ج ۶ ص ۳۰ و راجع: فتح القدير ج ۲ ص ۴.

(۳) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۱۳ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۳ و فتح القدير ج ۲ ص ۳ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۲۴ عن أحمد.

(۴) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن أحمد، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و محمد بن نصر فى الصلاة، و الطبرانى، و أبى نعيم فى الدلائل، و البيهقى فى شعب الإيمان، و راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۳ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۱۳ و البيان فى تفسير القرآن للسيد الخوئى ص ۳۴۱ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۲۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۲ ص ۲۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۳

۳- أم عمرو بنت عبس «۱».

۴- محمد بن كعب القرظى «۲».

۵- و الربيع بن أنس «۳».

ثانيا: لقد رووا عن ابن عباس فى هذه الآية، قال: كان قوم من أهل الكتاب بينهم و بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عهد و ميثاق، فنقضوا العهد و أفسدوا فى الأرض، فخيّر اللّه فيهم نبيه، إن شاء أن يقتل، و إن شاء أن يصلب، و إن شاء أن يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف الخ .. «۴».

ثالثا: لقد اختلفت رواياتهم فى قبيلة القوم الذين نزلت فيهم هذه الآية، هل هم أهل الكتاب، أو هم من المشركين من عكل أو عرينة، أو بجيلة، (و قد تقدمت المصادر المصرحة بهذا أو بذاك).

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن ابن أبى شيبة فى مسنده، و البغوى فى معجمه، و ابن مردويه، و البيهقى فى دلائل النبوة. و راجع: الآحاد و المثانى ج ۲ ص ۴۳۱ و أسد الغابة ج ۵ ص ۳۴۴.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن أبى عبيد و راجع: الغدير ج ۶ ص ۲۵۶.

(۳) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن ابن جرير و جامع البيان لابن جرير الطبرى ج ۶ ص ۱۱۲.

(۴) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۷۷ عن ابن جرير، و الطبرانى فى المعجم الكبير و راجع:

المحلى لابن حزم ج ۱۱ ص ۳۰۰ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۱۵ و المعجم الكبير للطبرانى ج ۱۲ ص ۱۹۹ و جامع البيان ج ۶ ص ۲۸۰ و التبيان للطوسى ج ۳ ص ۵۰۵ و مجمع البيان للطبرسى ج ۳ ص ۳۲۴ و زاد المسير لابن الجوزى ج ۲ ص ۲۶۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۶ ص ۱۴۹ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۲ ص ۵۰ و فتح القدير ج ۲ ص ۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۴

أو من بنى فزارة «۱».

أو من بنى سليم «۲».

أو أنها نزلت فى بنى ضبة، كما سنرى «۳».

الصحيح فى نزول الآية:

الصحيح هو: أن هذه القضية بأسرها قد حرفت بصورة عمدية، و صرفت عن مسارها الطبيعى، و أن أميرها هو على «عليه السلام»، و أنها نزلت فى نفر من بنى ضبة، و أنهم إنما قتلوا ثلاثة من رعاة اللقاح إلى غير ذلك من تفاصيل، غيّروا فيها و بدلوا، و ظهرت الخلافات و الاختلافات نتيجة لتصرف كل راو على حدة ..

الرواية الصحيحة:

و الرواية المعقولة و المقبولة هى التالية:

روى عن أبى عبد اللّه الصادق «عليه السلام»، قال: قدم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قوم من بنى ضبة، مرضى.

فقال لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أقيموا عندى، فإذا برئتم

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۷۸ عن عبد الرزاق، و المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۱۰۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۵۲.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۷۸ عن ابن جرير و عبد الرزاق، و كنز العمال ج ۲ ص ۴۰۵ و جامع البيان ج ۶ ص ۲۸۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۵۲.

(۳) ستأتى المصادر لذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۵

بعثتكم فى سرية.

فقالوا: أخرجنا من المدينة.

فبعث بهم إلى إبل الصدقة، يشربون من أبوالها، و يأكلون من ألبانها، فلما برئوا و اشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كان فى الإبل.

فبلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ذلك، فبعث إليهم عليا «عليه السلام»، فإذا هم فى واد قد تحيروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه، قريبا من أرض اليمن، فأسرهم، و جاء بهم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

فنزلت هذه الآية: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ «۱».

فاختار رسول اللّه القطع، فقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف «۲».

۳- سرية زيد إلى وادى القرى:

و فى شهر رجب من سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة إلى وادى

---

(۱) الآية ۳۳ من سورة المائدة.

(۲) راجع: نور الثقلين ج ۱ ص ۶۲۱ و ۶۲۲ و البرهان ج ۱ ص ۴۶۵ و ۴۶۷ عن الكلينى، و العياشى، و الشيخ فى تهذيب الأحكام، و الكافى ج ۷ ص ۲۴۵ و كنز الدقائق ج ۴ ص ۱۰۲ و ۱۰۳ و تفسير العياشى ج ۱ ص ۳۱۴ و تفسير الصافى ج ۲ ص ۳۱ و تهذيب

الأحكام ج ۱۰ ص ۱۳۵ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۸ ص ۵۳۵ و ميزان الحكمة ج ۱۰ ص ۵۷۴ و تفسير الميزان ج ۵ ص ۳۳۱ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۶

القرى، فقتل من المسلمين قتلى، وارتث زيد بن حارثة، أى حمل من المعركة رثيثا أى جريحا، و به رمق «۱».

و نقول:

۱- إننا لا ندرى لماذا لم تصرح لنا الروايات بعدد القتلى من المسلمين، و لا بأسمائهم، مع الاهتمام الشديد بهذا الأمر فى الموارد الأخرى؟! ..

كما أننا لا ندرى: هل قتل أحد من المشركين فى هذه السرية؟! أو جرح، أم لم يقتل و لم يجرح أحد؟!

۲- ثم إننا لا ندرى أيضا لماذا لم تذكر أية تفاصيل عن مكان هذه المعركة، و عن أسبابها، و ضد من كانت من قبائل العرب ..

لكن بعضهم ذكر: أنها كانت ضد بنى فزارة.

مع أنهم يذكرون: أدق التفاصيل فى غزوات أو سرايا لم تجر فيها أحداث مهمة، بل هى مجرد سياحة استطلاعية رجع منها المسلمون، و لم يلقوا كيدا ..

و الظاهر هو: أن هذه الحادثة هى نفس ما ذكر من أنه قد حصل لزيد بن حارثة فى سرية أم قرفة الآتية، و أنه إنما كان فى تجارة له إلى الشام فأخذوه، و جرى عليه ما جرى، ثم غزاهم فى سرية بعثه بها الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، فأصابوا فيها أم قرفة كما سيأتى.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱ و راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۷۱ و عن تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ج ۲ ص ۲۸۷ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۳۵ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۷

۴- سرية ابن عوف إلى دومة الجندل:

اشارة

و فى شعبان من سنة ست بعث «صلى اللّه عليه و آله» عبد الرحمن بن عوف إلى بنى كلب فى دومة الجندل.

فزعموا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دعاه، فأجلسه بين يديه، و عممه بيده، و قال: اغز بسم اللّه، و فى سبيل اللّه، فقاتل من كفر باللّه. و لا تغدر، و لا تقتل وليدا. و قال له: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم.

فسار إليهم فى سبع مائة مقاتل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، و هم يأتون و يقولون: لا نعطى إلا السيف.

فلما كان اليوم الثالث أسلم أصبغ بن عمرو الكلبى- و كان نصرانيا، و كان رئيسهم- و أسلم معه ناس كثيرون من قومه، و أقام من أقام على دينه على إعطاء الجزية، و تزوج عبد الرحمن تماضر ابنة الأصبغ، فقدم بها المدينة، فولدت له أبا سلمة، عبد اللّه الأصغر، و هو من الفقهاء السبعة بالمدينة، و من أفضل التابعين «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۸۱ و ۱۸۲ و الإصابة ج ۱ ص ۱۰۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۹۳ و ۹۴ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۰۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۹ و الثقات ج ۱ ص ۲۸۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۴ و ج ۶۹

ص ۸۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۵۶۰ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۸ و عن تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ج ۲ ص ۲۸۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۸۵ و إعلام الورى بأعلام الهدى ج ۱ ص ۲۰۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۳۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۸

و زعم عطاء بن أبى رباح: أنه سمع رجلا من أهل البصرة يسأل عبد اللّه بن عمر عن إرسال العمامة من خلف الرجل، إذا اعتم.

فقال عبد اللّه: سأخبرك عن ذلك، إن شاء اللّه تعالى، ثم ذكر مجلسا شاهده من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أمر فيه عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها، قال: فأصبح و قد اعتم بعمامة من كرابيس سود، فأدناه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» منه، ثم نقضها، ثم عممه بها، و أرسل من خلفه أربع أصابع، أو نحوا من ذلك. ثم قال: هكذا يابن عوف فاعتم، فإنه أحسن، و أعرف. ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، فحمد اللّه، و صلى على نفسه، ثم قال: خذه يابن عوف، اغزوا جميعا الخ .. «۱».

شكوك فى سرية ابن عوف:

و لنا على هذه الغزوة ملاحظات عديدة هى التالية:

۱- إننا نشك فى أصل حدوث هذه الغزوة. و ذلك لأن بين دومة الجندل و بين دمشق خمس ليال، و تبعد عن المدينة حوالى خمس عشرة، أو

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱ و ۱۲ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۸۱ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۹۴ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۳۹ و المستدرك للحاكم ج ۴ ص ۵۴۱ و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۳۱۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۴۳۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۹ ص ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۳۹

ست عشرة ليلة، و هى بقرب تبوك «۱».

و على حد تعبيرهم: هى طرف من أفواه الشام «۲».

و نحن نستبعد: أن يخاطر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأصحابه، فيرسلهم إلى هذه المسافات البعيدة، إلى أناس لم يظهر الوجه و المبرر لأن يقصدهم «صلى اللّه عليه و آله» بجيوشه هذه، دون كل من عداهم ممن هم فى المناطق الأقرب منهم، و الأيسر، و الأقل مؤونة عليه.

هذا .. و الحال: أن مشركى العرب مبثوثون فى كل ناحية، و هم يترصدونهم فى ذهابهم، و إيابهم، ليوقعوا بهم، و ليوصلوا الأخبار إلى الأقطار عنهم .. خصوصا إذا كان مسيرهم أصبح يشى بأنهم يقصدون ملك قيصر، و كسر هيبته، بتناول أطراف بلاده ..

۲- إن هيمنة الإسلام لم تكن قد بلغت تلك المناطق، ليرضى نصارى

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ عن ابن سعد، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۷ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۶ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۲۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۵ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۳۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۳۴۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۷ ص ۲۰۱.

(۲) راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۴۰۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۰۵ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۳۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۴ ص ۳۴۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۷ ص ۲۰۰ و ۲۰۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۰

بنى كلب بدفع الجزية، مع قربهم من الشام، و مع وجود أكيدر فى دومة الجندل، و مع كون المحيط كله لا يدين بالإسلام، و لا يرضى بدفع الجزية.

۳- إن الحديث عن أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد عمم عبد الرحمن بن عوف بيده، لا يدل على أن ذلك كان كرامة و إكراما منه «صلى اللّه عليه و آله» لابن عوف ..

لأن حديث ابن عمر قد أوضح: أن السبب فى ذلك هو: أن ابن عوف لم يحسن التعمم، فأراد «صلى اللّه عليه و آله» أن يعلمه طريقة التعمم الفضلى، و يوضح ذلك قوله «صلى اللّه عليه و آله»: «هكذا يابن عوف فاعتم، فإنه أحسن، و أعرف».

۴- إننا لا ندرى ما هى المصلحة فى أن يتزوج ابن عوف ابنة أصبغ بن عمرو الكلبى؟!

و ماذا لو رفض أصبغ الموافقة على هذا الزواج؟!

فهل سيقهره عبد الرحمن عليه؟!

على أننا قد نفهم من بعضهم: أن ثمة شكا فى أن تكون تماضر هذه قد أدركت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فقد قال العسقلانى: عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف «أمه تماضر بنت الأصبغ، يقال: إنها أدركت النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..» «۱».

---

(۱) تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۱۱۶ و راجع: المصنف للصنعانى ج ۷ ص ۶۲ و سنن الدار قطنى ج ۴ ص ۱۰ و نصب الراية ج ۵ ص ۲۱۸ و إرواء الغليل ج ۶ ص ۱۵۹ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۱۸ ص ۱۵۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۹ و ج ۳ ص ۱۲۹ و ج ۵ ص ۱۵۵ و ج ۸ ص ۲۹۸ و ۹۹ و طبقات خليفة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۱

و يلاحظ: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد عبر عن الأصبغ بكلمة «ملك»، مع أنه مجرد زعيم قبيلة، و لا يوصف رئيس القبيلة بهذا الوصف.

۵- على أن ثمة ما يدل على خلاف ما ذكرته الروايات المتقدمة، فقد قالوا: إنه بعد إسلام أولئك القوم: «أرسل (ابن عوف) رضى اللّه عنه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يعلمه بذلك، و أنه يريد أن يتزوج فيهم، فكتب إليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أن يتزوج ببنت الأصبغ، فتزوجها، و بنى بها عندهم، و قدم بها المدينة» «۱». فإن هذه الرواية تدل على:

أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يأمره بالزواج من بنت ملكهم حين عممه و أرسله ..

بل إن عبد الرحمن بن عوف أرسل إليه رسالة يستأذن فيها بهذا الأمر.

۶- هل صحيح: أن أبا سلمة بن عبد الرحمن كان بهذه المثابة من الفضل و العلم؟ أم أنهم أطروه و رفعوا مقامه، فى نطاق سياسة خلق مرجعيات للناس، و استبعاد أهل البيت «عليهم السلام»؟

- بن خياط ص ۴۲۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۷ ص ۳۶۵ و ج ۶۹ ص ۷۹ و راجع: أسد الغابة ج ۱ ص ۱۱۵ و ج ۳ ص ۳۱۴ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۰۵.

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۸۲ و الإصابة ج ۱ ص ۱۰۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۹۴ و الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۲۸۵ و

موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۳ و إعلام الورى للطبرسى ج ۱ ص ۲۰۲ عن المغازى للواقدى ج ۲ ص ۵۶۰ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۸۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۶۴۲ و راجع: تاريخ خليفة بن خياط ص ۴۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۹ ص ۱۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۲

خصوصا و أنهم يذكرون: أن أبا سلمة هذا كان منسجما معهم فى طروحاتهم، و توجهاتهم، فهو قد روى عن عثمان بن عفان، و طلحة، و عبد اللّه بن سلام، و أبى هريرة، و المغيرة، و معاوية .. و غيرهم ممن هم على هذا النهج ..

كما أن هذا الرجل كان من أعوان النظام الأموى و الدموى، حيث يذكرون: أنه لما ولى سعيد بن العاص على المدينة من قبل معاوية فى المرة الأولى، استقضى أبا سلمة عليها «۱».

لقد فرغت من تسويد هذا الجزء ليلة الخميس الساعة الرابعة قبل الفجر .. و ذلك بتاريخ ۱۰/ ۶/ ۲۰۰۴ م الموافق ۲۱/ ۴/ ۱۴۲۵ ه بيروت.

و الحمد للّه أولا و آخرا، و باطنا و ظاهرا، و الصلاة و السلام على محمد و آله الطيبين الطاهرين.

---

(۱) تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۱۰۵ و الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۱۵۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۹ ص ۲۹۱ و راجع: ص ۳۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۳

الفهارس

اشارة

۱- الفهرس الإجمالى ۲- الفهرس التفصيلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۵

۱- الفهرس الإجمالى

الباب السادس: زواج زينب و أحداث أخرى بعد المريسيع

الفصل الأول: متفرقات فى السنة الخامسة ۷- ۳۸

الفصل الثانى: زينب بنت جحش فى بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله ۳۹- ۸۲

الفصل الثالث: اكاذيب و أباطيل فى حديث زواج زينب ۸۳- ۱۲۶

الفصل الرابع: الحجاب فى حديث الزواج ۱۲۷- ۱۷۲

الفصل الخامس: استطرادات على هامش حديث الزواج ۱۷۳- ۱۹۸

الباب السابع: سرايا و غزوات بين المريسيع و الحديبية

الفصل الأول: غزوة بنى لحيان ۲۰۱- ۲۲۰

الفصل الثانى: غزوة ذى قرد (الغابة) ۲۲۱- ۲۷۲

الفصل الثالث: سبع سرايا ۲۷۳- ۳۱۰

الفصل الرابع: سرايا أخرى قبل الحديبية ۳۱۱- ۳۴۲

الفهارس: ۳۴۳- ۳۵۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۷

۲- الفهرس التفصيلى

الباب السادس: زواج زينب و أحداث أخرى بعد المريسيع

الفصل الأول: متفرقات فى السنة الخامسة

النبى صلّى اللّه عليه و آله يعلم الغيب: ۹

سباق الخيل: ۱۲

سباق الإبل أيضا: ۱۴

سقوطه صلّى اللّه عليه و آله عن الفرس و نسخ حكم شرعى: ۱۸

الصحيح فى قضية الصلاة: ۲۳

بركات و فوائد: ۲۳

الصحيح فى قضية السقوط عن الفرس: ۲۳

الزلزال فى المدينة: ۲۴

النهى عن ادخار لحوم الأضاحى: ۲۶

فرض الحج: ۲۷

ملاحظات و توضيحات: ۳۱

النبى صلّى اللّه عليه و آله يحيى الموتى: ۳۲

التقليد و المحاكاة: ۳۴

قيمة الدعاء و آثاره: ۳۵

التشكيك الخفى: ۳۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۸

لا تكسروا عظما: ۳۶

إسلام خالد و عمرو بن العاص: ۳۷

الفصل الثانى: زينب بنت جحش فى بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله

زينب بنت جحش .. فى بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۴۱

ابن حارثة! أم ابن محمد؟! ۴۲

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أحب إليه: ۴۳

تاريخ زواج النبى صلّى اللّه عليه و آله بزينب بنت جحش: ۴۹

قصة هذا الزواج: ۵۱

موقف عائشة من هذا الزواج: ۵۴

اللّه المزوج، و جبريل الشاهد: ۵۶

المنافقون، و هذا الزواج: ۵۷

وقفات مع حديث الزواج: ۵۸

ألف: الكفاءة فى النكاح: ۵۸

ب: ما كان لهم الخيرة: ۶۱

ج: المعلم لكتاب اللّه أولى: ۶۵

د: زيد يراجع النبى صلّى اللّه عليه و آله فى طلاق زينب: ۶۶

إفتخار زينب على نساء النبى صلّى اللّه عليه و آله: ۶۷

ه: أمسك عليك زوجك: ۶۷

أخطاء منشؤها الجهل: ۶۷

كيف تمت الخطبة: ۶۸

و: و اتق اللّه: ۶۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۴۹

ز: مكانة زيد لدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۷۰

ح: زيد العفيف و التقى: ۷۱

ط: زوجناكها: ۷۲

ى: جمال زينب فى حسابات عائشة: ۷۵

الافتئات على الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۷۶

مهر زينب و دلالاته: ۷۹

الفصل الثالث: أكاذيب .. و أباطيل فى حديث زواج زينب

ماذا يقول الأفّاكون؟!: ۸۵

نقد الروايات المتقدمة: ۹۳

ألف: ما الذى يخفيه النبى صلّى اللّه عليه و آله فى نفسه؟! ۹۴

لا معنى للأمر بالإمساك: ۹۶

ب: ما الذى أبداه اللّه تعالى: ۹۷

ج: اللّه تعالى مصرّف القلوب: ۹۸

د: التحريض و الرجم بالغيب: ۹۹

ه: الأمر بتقوى اللّه!! ۱۰۰

و: أمسك عليك زوجك: ۱۰۰

ز: عشق النبى صلّى اللّه عليه و آله لزوجة غيره: ۱۰۰

عشق الأنبياء عليهم السّلام ممدوح!! ۱۰۱

ح: لا تمدنّ عينيك: ۱۰۲

ط: الحسد: ۱۰۲

ى: يراها .. فأعجبته!: ۱۰۲

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵۰

ك: العشق فى سن الكهولة!! ۱۰۳

ل: تناقض الروايات فى أمر الهوى: ۱۰۴

م: الجائزة للمذنبين: ۱۰۴

ن: زينب لا تمتنع، و زيد لا يستطيع: ۱۰۵

س: لماذا يكتم النبى صلّى اللّه عليه و آله هذا عن نفسه؟!: ۱۰۶

ع: النبى صلّى اللّه عليه و آله يتعرض للنساء!! ۱۰۷

إستدلال ابن الدبيع فاسد: ۱۰۸

لا يضر الهوى بالنبوة: ۱۱۳

لم يزوجه اللّه إياها لأنه أحبها: ۱۱۶

الأمر مفروض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۱۷

بين خشية الناس، و خشية اللّه: ۱۱۷

خشية النبى صلّى اللّه عليه و آله على الدين: ۱۱۹

«أحق» أن تخشاه: ۱۲۰

لا يكفى التشريع بالقول: ۱۲۲

هل كانت زينب: متزوجة قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۲۳

الفصل الرابع: الحجاب فى حديث الزواج

متى و لماذا نزل الحجاب؟!: ۱۲۹

آية الحجاب: ۱۳۲

مشاجرة زينب مع عمر: ۱۳۳

تناقض أسباب فرض الحجاب: ۱۳۳

ألف: من تناقضات الروايات: ۱۳۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵۱

ب: حماس عمر لفرض الحجاب: ۱۴۰

ج: موافقات عمر: ۱۴۲

د: فمرّ عمر: ۱۴۳

ه: هلا لنفسك كان ذا التعليم؟ ۱۴۴

و: عمر .. و سودة: ۱۴۴

ز: الخطاب للناس لا للنساء: ۱۴۵

ح: سودة خرجت ليلا: ۱۴۵

ط: الأجانب لا يجالسون نساء النبى صلّى اللّه عليه و آله: ۱۴۶

متى فرض الحجاب؟ و متى تزوج صلّى اللّه عليه و آله بزينب؟: ۱۴۷

الحجاب فى الكتب القديمة: ۱۵۱

۱- العهد القديم «التوراة»: ۱۵۱

۲- العهد الجديد: «الإنجيل»: ۱۵۲

الحجاب فى الجاهلية: ۱۵۳

المجتمع الإيرانى القديم: ۱۵۵

المجتمع الهندى: ۱۵۵

المملكة الرومانية: ۱۵۶

قدماء اليونان: ۱۵۶

تغطية الوجه فى حياة النبى صلّى اللّه عليه و آله: ۱۵۷

هل كان على عليه السّلام يجهل الجواب؟! ۱۶۵

تغطية الوجه بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و آله: ۱۶۶

لماذا الحجاب؟! ۱۷۱

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵۲

الفصل الخامس: استطرادات .. على هامش حديث الزواج

علاقات حميمة بين زينب و عائشة!! ۱۷۵

روحيات زينب: ۱۷۷

تصحيح خطأ: بين زينب و حمنة: ۱۸۲

النبى صلّى اللّه عليه و آله سماها: ۱۸۳

أطو لكن يدا: ۱۸۶

لمن صنع النعش؟: ۱۸۹

جهد العاجز: ۱۹۲

هل يجهل عمر حكم اللّه؟! ۱۹۳

عائشة: أنا أم رجالكم: ۱۹۴

الباب السابع: سرايا و غزوات بين المريسيع و الحديبية ..

الفصل الأول: غزوة بنى لحيان

غزوة بنى لحيان: ۲۰۳

إلى عسفان فى مائتى راكب: ۲۰۵

أبو بكر إلى كراع الغميم: ۲۰۶

دعاء السفر: ۲۰۸

زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله قبر أمه و براءته منها: ۲۰۹

لعن زوارات القبور: ۲۱۵

كسوف الشمس: ۲۱۹

الفصل الثانى: غزوة ذى قرد (الغابة)

غزوة الغابة: ۲۲۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵۳

بعض تفاصيل هذه الغزوة: ۲۲۶

مؤاخذات على ما تقدم و ما يأتى: ۲۳۷

من هو المغير؟: ۲۳۹

الغدر مرتعه و خيم: ۲۴۰

كيف علم ابن الأكوع بالغارة؟!: ۲۴۱

رباح مولى الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۲۴۳

رباح .. اسم مكروه ۲۴۳

رؤية سلمة للمغيرين: ۲۴۴

حليب اللقاح إلى المدينة: ۲۴۴

يا خيل اللّه اركبى: ۲۴۵

أمير الغزوة: ۲۴۵

عبد الرحمن بن عيينة: ۲۴۷

عمر سلمة بن الأكوع: ۲۴۸

هل أفلتت اللقاح؟ و من الذى أنقذها؟!: ۲۴۹

سهم فى جبهة أبى قتادة: ۲۵۰

ملكت .. فاسجح: ۲۵۳

لابن الأكوع سهم الراجل، و سهما الفارس: ۲۵۴

هل كان هناك قتال؟! ۲۵۷

الشك فى أخذ اللقاح: ۲۵۸

تركوا فرسين: ۲۵۸

يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو: ۲۵۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵۴

صلاة الخوف: ۲۶۰

الغفارية التى أفلتت: ۲۶۳

طلحة الفياض: ۲۶۶

أفاعيل و فظائع طلحة: ۲۷۰

الفصل الثالث: سبع سرايا

۱- سرية القرطاء: ۲۷۵

قصة ثمامة: ۲۷۹

ربط الأسير فى المسجد: ۲۸۲

متى أسر ثمامة؟!: ۲۸۳

أين أسر ثمامة: ۲۸۴

ثمامة المجهول لآسرية: ۲۸۵

أكلة لحم جزور أحب إليه: ۲۸۶

الإحسان إلى ثمامة .. ثم إسلامه: ۲۸۷

أمعاء الكافر .. و المؤمن: ۲۸۹

توجيهات معقولة: ۲۹۰

ثمامة أول من اعتمر: ۲۹۰

هل قطع النبى صلّى اللّه عليه و آله أرحامه؟!: ۲۹۱

۲- سرية عكاشة إلى غمر مرزوق: ۲۹۳

۳- سرية أبى مسلمة إلى ذى القصّة: ۲۹۴

۴- سرية أبى عبيدة إلى ذى القصّة: ۲۹۵

۵- سرية زيد إلى بنى سليم: ۲۹۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵۵

طبيعة سرايا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۲۹۶

الشهداء فى سرية ابن مسلمة: ۲۹۷

شكوك أخرى حول سرية ابن مسلمة: ۲۹۹

۶- سرية زيد إلى العيص: ۳۰۱

فضة صفوان: ۳۰۳

على نفسها جنت براقش: ۳۰۴

مدائح لأبى العاص بن الربيع: ۳۰۴

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يتصرف بما ليس له: ۳۰۵

لا يخلص إليك: ۳۰۶

رد زينب على أبى العاص: ۳۰۶

۷- سرية زيد إلى الطرف: ۳۰۸

الفصل الرابع: سرايا أخرى قبل الحديبية

۱- سرية زيد إلى حسمى: ۳۱۳

ألف: إرسال دحية إلى قيصر: ۳۱۶

ب: لماذا إرجاع الأموال؟!: ۳۱۷

ج: العصبية للحق، لا للعشيرة: ۳۱۹

د: خمس مائة رجل!! لماذا؟! ۳۲۰

ه: تسرع غير مقبول: ۳۲۰

و: كيف أصنع بالقتلى؟! ۳۲۱

ز: مالهم، عرفوه فأخذوه: ۳۲۲

ح: مبالغات لا مبرر لها: ۳۲۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۴،ص:۳۵۶

ط: زيد لا يطيعنى: ۳۲۳

۲- سرية كرز بن جابر إلى العرنيين: ۳۲۴

المثلة و التعذيب: ۳۲۷

عدد الرعاة المقتولين: ۳۲۹

أين كانت اللقاح؟!: ۳۲۹

أين صلب الجناة؟: ۳۳۰

من هو أمير السرية؟: ۳۳۰

آية جزاء المحاربين: ۳۳۱

الصحيح فى نزول الآية: ۳۳۴

الرواية الصحيحة: ۳۳۴

۳- سرية زيد إلى وادى القرى: ۳۳۵

۴- سرية ابن عوف إلى دومة الجندل: ۳۳۷

شكوك فى سرية ابن عوف: ۳۳۸

الفهارس:

۱- الفهرس الإجمالى ۳۴۵

۲- الفهرس التفصيلى ۳۴۷

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۵،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل

(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم

- فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّٰه تعالی؛ و اللّٰه ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹